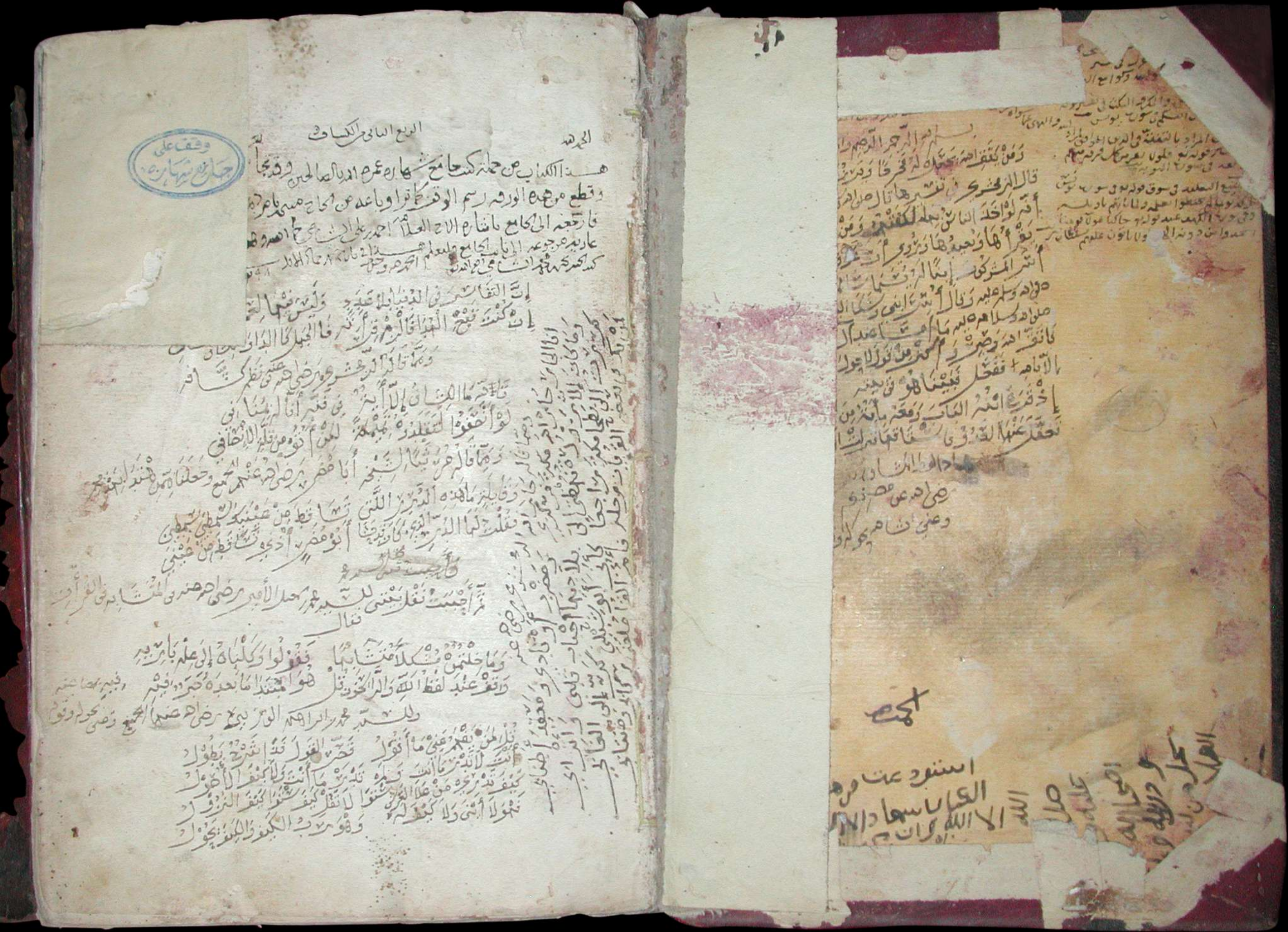

الجزء الثاني من الكشاف



الربع الثاني من الكشاف

الحمد لله

هذا الكتاب من جملة كتب جامع شهاره عمره الله بالصالحين وقد جا

وقطع من وجه الورقه رسم الوقف كما ترا

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن وصلى الله على محمد وآله وسلم

سورة الأعراف مكية غير ثماني آيات واسألهم عن القرية إلى وإذ نتقنا الجبل وهي
[مائت]ان وست آيات بسم الله الرحمن الرحيم كتاب خبر
[مبتدأ مح]ذوف أي هو كتاب وأنزل إليك صفة له والمراد بالكتاب السورة
[فلا يكن في] صدرك حرج منه أي شك منه كقوله فإن كنت في شك مما أنزلنا
[إليك] وسمي الشك حرجا لأن الشاك ضيق الصدر حرجه كما أن المتيقن منشرح الصدر
[منف]سحه أي لا تشك في أنه منزل من الله أو حرج منه بتبليغه لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم
[إيا]هم له وإعراضهم عنه وأذاهم فكان يضيق صدره من الأذى ولا ينبسط له فأمنه الله ونهاه عن
المبالاة بهم فإن قلت بم تعلق قوله لتنذر قلت بأنزل أي أنزل إليك
لإنذارك به أو بالنهي لأنه إذا لم يخفهم أنذرهم وكذلك إذا أيقن أنه من عند
الله شجعه اليقين على الإنذار لأن صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل
على عصمته فإن قلت فما محل ذكرى قلت يحتمل الحركات الثلاث
النصب بإضمار فعلها كأنه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لأن الذكرى اسم
بمعنى التذكير والرفع عطف على كتاب أو بأنه خبر مبتدأ محذوف والجر على
العطف على محل أن تنذر أي للإنذار وللذكرى فإن قلت النهي في قوله فلا يكن
متوجه إلى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا أرينك هاهنا اتبعوا
ما أنزل إليكم من القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله أولياء
أي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والإنس فيحملوكم على عبادة الأوثان والأهواء
والبدع ويضلوكم عن دين الله وما أنزل إليكم وأمركم باتباعه وعن الحسن
يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت آية إلا وهو يحب
أن تعلم فيما أنزلت وما معناها وقرأ ما تذكر ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ
غير الإسلام دينا ويجوز أن يكون الضمير في من دونه لما أنزل أي ولا تتبعوا
من دون دين الله دين أولياء قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره
وقرئ تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون
أي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة فجاءها فجاء أهلها بياتا
مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله
هم قائلون حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم بأسنا بائتين أو قائلين فإن قلت

هل يقدر حذف المضاف الذي هو الأهل قبل قرية أو قبل الضمير في أهلكناها
قلت إنما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فإن القرية تهلك كما يهلك أهلها وإنما قدرناه
قبل الضمير في فجاءها لقوله أو هم قائلون فإن قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو
فما بال قوله هم قائلون قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج
وقال لو قلت جاءني زيد راجلا أو هو فارس أو جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه إلى الواو
لأن الذكر قد عاد إلى الأول والصحيح أنها إذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا
لاجتماع حرفي عطف لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني
زيد راجلا أو هو فارس كلام فصيح وارد على حده وأما جاءني زيد هو فارس فخبيث
فإن قلت فما معنى قوله أهلكناها فجاءها بأسنا والإهلاك إنما هو بعد مجيء البأس
قلت معناه أردنا إهلاكها كقوله إذا قمتم إلى الصلاة وإنما خص هذان الوقتان
وقت البيات ووقت القيلولة لأنهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما
أشد وأفظع وقوم لوط أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة
فما كان دعواهم ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم إلا اعترافهم
ببطلانه وفساده وقولهم إنا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم
إلا قولهم هذا لأنه مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان
دعاهم ربهم إلا اعترافهم لعلمهم أن الدعاء لا ينفعهم وأن لات حين دعاء فلا يزيدون
على ذم أنفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وأن قالوا رفع
اسم له ويجوز العكس فلنسألن الذين أرسل إليهم أرسل مسند إلى الجار والمجرور
وهو إليهم ومعناه فلنسألن المرسل إليهم وهم الأمم يسألهم عما أجابوا به رسلهم كما قال
ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين عما أجيبوا كما قال
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل إليهم
ما كان منهم بعلم عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم وما
كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فإن قلت فإذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم
فما معنى سؤالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير إذا فاهوا به بألسنتهم
وشهد عليهم أنبياؤهم والوزن يومئذ الحق يعني وزن الأعمال والتمييز بين
راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته والوزن
يوم يسأل الله الأمم ورسلهم الوزن الحق أي العدل وقرئ القسط واختلف في كيفيته

الوزن وقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان تنظر اليه الخلائق
تاكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فيعترفون
بها بالسنتهم وتشهد بها عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الانبياء
والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب وقيل هي
عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون
اي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم
وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات
ان يخف بما كانوا بآياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما كقوله فظلموا بها مكناكم في الارض جعلنا
لكم فيها مكانا وقرارا ومكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها
معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك
والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز على التشبيه بصحائف ولقد خلقناكم ثم صورناكم
يعني خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم ۞ من الساجدين ممن سجد لآدم لا في ان لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم فان قلت
ما فائدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق
علم اهل الكتاب وما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك اذ امرتك لان امري لك بالسجود
اوجبه عليك ايجابا وحتمه عليك حتما لا بد لك منه فان قلت للتوبيخ ولاظهار معاندته
وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرائه باصل آدم وانه خالف امر ربه معتقدا
انه غير واجب عليه لما راى ان سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب فان قلت
كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا قلت
قد استانف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو انكار
للامر واستبعادا ان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه
الصفة كان مستبعدا ان يومر بما امر به فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين
المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك
فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان
على الله وعلى اوليائه لتكبرك كما تقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم
راشدا وذلك انه لما اظهر الاستكبار البس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع

لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه
الله الى الارض فان قلت لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم
قلت لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق
في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات
ليمتحن بها عباده فبما اغويتني فبسبب اغوائك اياي لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع
به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل منه ومن آدم انفسا ومناصب وعن
الاصم امرتني بالسجود فحملني الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن
في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم فان قلت بم تعلقت الباء فان تعلقها
بلاقعدن يصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لامرن قلت تعلقت بفعل القسم
المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب اغوائك اقسم ويجوز ان
تكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف
من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به ومن اكاذيب
المجبرة ما حكوا عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس
فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا لرجل
فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنك
بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله سبحانه ان لفقوا الاكاذيب على الرسول
والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدا لاقعدن
واثبات الالف اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ واصل الغي الفساد
ومنه غوى الفصيل اذا بشم والبشم فساد لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن
لهم على طريق الاسلام كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على
الظرف كقوله ٥ لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب ٥ وشبهه
الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال
له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب
فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك
وتنكح امراتك فعصاه فقاتل ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي ياتي منها العدو في الغالب
وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم

نصرتك واخلف ظنهم بحلمك ورحمتك فان قلت كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم
بحرف الابتدا وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدي اليه
الفعل تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذاك اختلفت في هذا
وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس
عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين
تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق
له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت
عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي
ويبتدي الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل
ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض
الليل وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن
خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرا واني لغفار لمن
تاب وامن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرا وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني من قبل الثنا فاقرا والعاقبة للمتقين
واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا تجد
اكثرهم شاكرين قاله تظنيا بدليل قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل
سمعه من الملائكة باخبار الله لهم مذؤما من ذامه اذا ذمه وقرى الزهري مذوما
بالتخفيف مثل مسول في مسؤل واللام في لمن تبعك موطية للقسم ولاملان جوابه
وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم
قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو
قوله لاملان جهنم منكم اجمعين على ان لاملان في محل الابتدا ولمن تبعك خبره ويا ادم
يا ادم وقرى هذي الشجرة والاصل اليا والها بدل منها ويقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا
يكرره ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المراة ووعوع الذيب ورجل
موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي
يلقي اليه الوسوسة ومعنى وسوس اليه القاها اليه (ويجوز ان يكون معنى وسوس له لاجله) ليبدي جعل ذلك غرضا له ليسوءهما
اذا رايا ما يوثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على الكشف وفيه دليل
على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول

فان قلت

(ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما قلبت في اويصل)

فان قلت ... قلت لان الثانية مدة كالف وارى وقد جا في قراة عبد الله اوري بالقلب
الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملائكة بالمنظر الاعلى
وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام كقوله وملك لا يبلى من
الخالدين من الذين لا يموتون ويخلدون في الجنة ساكنين وقرئ سوتهما بالتوحيد وسوتهما
بالواو المشددة وقاسمهما واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين فان قلت المقاسمة ان يقسم
لصاحبك ويقسم لك صاحبك فما معنى قوله وقاسمهما فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى
تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كانه قال لهما اقسم لكما اني لكما لمن الناصحين وقالا
له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم لهما بالنصيحة واقسما
له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلاهما
فنزلهما الى الاكل من الشجرة بغرور بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع
المومن بالله وعن ابن عمر انه كان اذا راى من عبده طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان
عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا
له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الاكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة
وقيل شجرة الكرم بدت لهما سوآتهما اي تهافت عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما وكانا
لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت منه ولا راى
مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا
يحول بينهما وبين النظر ويقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل وقرى ابو السمال
وطفقا بالفتح يخصفان ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف
النعل بان تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرا الحسن يخصفان بكسر الخا وتشديد الصاد
واصله يختصفان وقرى الزهري يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اي يخصفان
انفسهما وقرى يخصفان من خصف بالتشديد من ورق الجنة قيل كان ورق التين
الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطا حيث لم يتحذرا ما حذرهما
الله تعالى من عداوة ابليس وروي انه قال لادم الم يكن لك فيما منحتك من شجر
الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك
يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط
وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز
وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاوليا

والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات
اهبطوا الخطاب لادم وحوى وابليس **بعضكم لبعض عدو** في موضع الحال اي متعادين
يعاديهما ابليس ويعاديانه **ولكم في الارض مستقر** استقرار او موضع استقرار **ومتاع** واستمتاع بعيش **الى حين**
الى انقضاء اجالكم وعن ثابت البناني لما اهبط ادم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة
فجعلت حوا تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما
توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له
ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده جعل ما في
الارض منزلا من السماء لانه قضي ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج
وريشا لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي **انزلنا عليكم لباسا**
يواري سوءاتكم ولباسا تتزينون به لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم
فيها جمال وقرئ عثمان رضي الله عنه رياشا جمع ريش كشعب وشعاب **ولباس التقوى**
ولباس الورع والخشية من الله وارتفاعه على الابتداء وخبره اما الجملة التي هي **ذلك**
خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضماير فيما يرجع الى
عود الذكر واما المفرد الذي هو خير وذلك صفة المبتدا كانه قيل ولباس التقوى
المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى او ان تكون اشارة
الى اللباس المواري للسوءة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر
مبتدا محذوف اي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وابي ولباس
التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها
مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا **ذلك من**
ايات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس **لعلهم يذكرون**
فيعرفوا عظم النعمة فيه وهذه الاية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو
السوءات وخصف الورق عليهما اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف
العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بان التستر باب عظيم من ابواب التقوى ○
لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان لا تدخلوا الجنة كما محن **ابويكم** بان اخرجهما
منها **ينزع عنهما لباسهما** حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما
لباسهما **انه يراكم** هو تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم
ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد

المؤنة

المؤنة الا من عصمه الله **وقبيله** وجنوده من الشياطين وفيه دليل على ان الجن لا يرون
ولا يظهرون للانس واظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زوره
ويحرفه **انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون** اي خلينا بينهم وبينهم
لم نكفهم عنهم حتى تولوهم واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير
اخر ابلغ من الاول فان قلت علام عطف وقبيله قلت على الضمير في يراكم المؤكد
هو والضمير في انه ضمير الشان والحديث وقرا اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان
ان تعطفه على اسم ان وان يكون الواو بمعنى مع واذا عطف على اسم ان وهو الضمير في انه كان
راجعا الى ابليس **الفاحشة** ما تناهى قبحه من الذنوب اي اذا فعلوها اعتذروا بان
اباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من العذر
لان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله والحاد في صفاته كانهم
يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله بعث محمدا صلى الله عليه
وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله عز
وجل واذا فعلوا فاحشة **قل ان الله لا يامر بالفحشاء** لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم
الداعي ووجود الصارف فكيف يامر بفعله **اتقولون على الله ما لا تعلمون** انكار
لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد
بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة **بالقسط** بالعدل لما قام في النفوس انه مستقيم
حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد **واقيموا وجوهكم** وقل اقيموا وجوهكم اي
اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها **عند كل مسجد** في كل
وقت سجود او في كل مكان سجود وهو الصلاة **وادعوه** واعبدوه **مخلصين له**
الدين اي الطاعة فانكم صائرون اليه وجه الله خالصا **كما بداكم تعودون** كما انشاكم
ابتدا يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم
على اعمالكم فاخلصوا له العبادة **فريقا هدى** وهم الذين اسلموا اي وفقهم للايمان
وفريقا حق عليهم الضلالة اي كلمة الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون
وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا حق عليهم الضلالة **انهم** ان الفريق الذي حق عليهم الضلالة
اتخذوا الشياطين اولياء اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا دليل على ان
علم الله لا اثر له في ضلالهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون
الله **خذوا زينتكم** اي زينتكم ولباس زينتكم **عند كل مسجد** كلما صليتم او طفتم وكانوا

وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وإنما كان أحدهم
يطوف عرياناً ويدع ثيابه وراء المسجد وإن طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لأنهم
قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل تفاؤلاً ليتعروا من الذنوب كما تعروا
من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته
للصلاة وكان بنو عامر في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتاً ولا يأكلون دسماً
يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فإنا أحق أن نفعل فقيل لهم **وكلوا واشربوا ولا**
تسرفوا وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة
ويحكى أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في
كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان فقال له قد جمع
الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا
فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه
وسلم الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس
كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم
لجالينوس طباً **زينة الله** من الثياب وكل ما يتجمل به **والطيبات من الرزق**
المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام إنكار تحريم هذه الأشياء
وقيل كانوا إذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها
قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا غير خالصة لهم لأن المشركين شركاؤهم فيها
خالصة يوم القيامة لا يشركهم فيها أحد فإن قلت هلا قيل هي للذين آمنوا
ولغيرهم قلت لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة وأن الكفرة
تبع لهم كقوله ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وقرئ خالصة
بالنصب على الحال وبالرفع على أنها خبر بعد خبر **الفواحش** ما تفاحش قبحه أي
تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج **والإثم** عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر **والبغي**
الظلم والكبر أفرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي **ما لم ينزل به**
سلطاناً فيه تهكم لأنه لا يجوز أن ينزل برهاناً بأن يشرك به غيره **وأن تقولوا على**
الله وأن تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره **ولكل أمة أجل**
وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم وقرئ
فإذا جاء آجالهم وفي **ساعة** لأنها أقل الأوقات في استعمال الناس يقول المستعجل

لصاحبه في ساعة يريد أقصر وقت وأقربه **إما يأتينكم** هي إن الشرطية ضمت
إليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة والخفيفة فإن قلت
فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى **فمن اتقى وأصلح** منكم
والذين كذبوا منكم وقرئ تأتينكم **فمن أظلم** فمن أشنع ظلماً **ممن تقول على الله** ما لم يقله
أو كذب ما قاله **أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب** أي مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار
حتى إذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له أي إلى وقت وفاتهم وهي
حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام هاهنا الجملة الشرطية وهي إذا جاءتهم رسلنا
قالوا و**يتوفونهم** حال من الرسل أي متوفيهم والرسل ملك الموت وأعوانه وما
وقعت موصولة بأين في خط المصحف وكان حقها أن تفصل لأنها موصولة بمعنى أين
الآلهة الذين تدعون **ضلوا عنا** غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافاً منهم
بأنهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وأنهم لم يجدوه في العاقبة **قال ادخلوا** أي
يقول الله يوم القيامة لأولئك الذين قال فيهم فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب
بآياته وهم كفار العرب **في أمم** في موضع الحال أي كائنين في جملة أمم وفي غمارهم
مصاحبين لهم أي ادخلوا في النار مع أمم **قد خلت من قبلكم** وتقدم زمانهم زمانكم
لعنت أختها التي ضلت بالاقتداء بها **حتى إذا اداركوا فيها** أي تداركوا بمعنى تلاحقوا
واجتمعوا في النار **قالت أخراهم** منزلة وهي الأتباع والسفلة **لأولاهم** منزلة وهي
القادة والرؤوس ومعنى لأولاهم لأجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لا معهم **عذاباً**
ضعفاً مضاعفاً **لكل ضعف** لأن كلاً من القادة والأتباع كانوا ضالين مضلين
ولكن لا تعلمون وقرئ بالياء والتاء **فما كان لكم علينا من فضل** عطفوا هذا الكلام على
قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وإنا متساوون
في استحقاق الضعف **فذوقوا العذاب** من قول القادة أو من قول الله لهم جميعاً
لا تفتح لهم أبواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح إليه يصعد الكلم الطيب كلا إن
كتاب الأبرار لفي عليين وقيل إن الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود
السماء ولا تطرق لهم إليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد أرواحهم إذا ماتوا كما
تصعد أرواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون ففتحنا أبواب
السماء وقرئ لا يفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل
ونصب الأبواب على أن الفعل للآيات وبالياء على أن الفعل لله عز وجل وقرئ بن

وعن ابن عباس الجُمَّل بوزن القُمَّل وسعيد بن جبير الجُمَل بوزن النُّغَر وقرئ الجُمْل بوزن القُفْل
والجُمُل بوزن النُّصُب والجَمْل بوزن الحَبْل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت
وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس ان الله احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان
الحبل مناسب الخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة
اوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا
للدليل الماهر خريت للاهتداء به في المضايق المشبهة باخرات الابر والجمل
مثل في عظم الجرم قال جسم الجمال واحلام العصافير ان الرجال ليسوا بجزر
تراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا
الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة وعن ابن مسعود انه سئل عن
الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى اخر تكلف وقرئ
في سم بالحركات الثلاث وقرئ عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام
والمحزم ما يخاط به وهو الابرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين
ليؤذن ان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل من اجرم عوقب وقد كرره فقال
وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية وقرئ
غواشٌ بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله لا نكلف نفسا الا
وسعها جملة معترضة بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف
الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الامكان الواسع
غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرا الاعمش لا تكلف نفس من كان في
قلبه غل على اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم
الا التواد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم هدانا لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو
الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان
يستقيم ان نكون مهتدين لولا ان هدانا الله وتوفيقه وفي مصاحف اهل الشام
ما كنا لنهتدي بغير واو على انها جملة موضحة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق
فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا
بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا
يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة ان تلكم الجنة انا

مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة اورثتموها والضمير ضمير
الشان والحديث او تكون بمعنى اي لان المناداة من القول كانه قيل لهم
تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة
ان في ان قد وجدنا يحتمل ان يكون مخففة من الثقيلة وان يكون مفسرة وكذلك
آنفا وكذلك ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة
باصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن
بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يامره الله فينادي بينهم نداء يسمع اهل
الجنة واهل النار وقرئ أنّ لعنة الله بالتشديد والنصب وقرا الاعمش إنّ
لعنة الله بكسر ان على ارادة القول او على اجراء اذن مجرى قال فان قلت هلا
قيل وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة
وعدنا عليه ولقائل ان يقول اطلق ليتناول كل ما وعد مما وعد الله من
البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيمة لانهم كانوا مكذبين
بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذاب لهم فا
طلق لذلك وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين وهو السور
المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب وهو
السور المضروب بين الجنة والنار وهي اعاليه جمع عُرف استعير من عُرف الفرس
وعُرف الديك رجال من المسلمين من اخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم كانهم
المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن الله لهم في دخول الجنة
يعرفون كلا من زمر السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها
يلهمهم الله ذلك او تعرفهم الملائكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم
عليهم واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا
بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم ونادوا رجالا من رؤس الكفرة يقولون
لهم اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان
الرؤسا يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون
ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد
ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون
وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم والتاخر على حسبها وان

أحدًا لا يسبق عند الله إلا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنه إلا بتخلفه فيه وليرغب
السامعون في حال السابقين ويحرصوا على إحراز قصبهم وليتصوروا أن كل أحد
يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب أن يوسم بها من أهل الخير والشر فيرتدع المسيء
عن إساءته ويزيد المحسن في إحسانه وليعلم أن العصاة يوبخهم كل أحد منهم حتى أقصر
الناس عملًا وقوله وإذا صرفت أبصارهم فيه أن صارفًا يصرف أبصارهم
لينظروا فيستعيذوا ويتجأروا وقرأ الأعمش وإذا قلبت أبصارهم وقرئ أُدخِلوا
الجنة على البناء للمفعول وقرئ عكرمة دخلوا الجنة فإن قلت كيف لاءم
هاتين القراءتين قوله **لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون** قلت تأويله أُدخِلوا الجنة
أو دخلوا الجنة مقولًا لهم لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون فإن قلت ما محل قوله
لم يدخلوها وهم يطمعون قلت لا محل له لأنه استئناف كأن سائلًا سأل
عن حال أصحاب الأعراف فقيل له لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم أن دخولهم
الجنة استأخر عن دخول أهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون
لم ييأسوا ويجوز أن يكون له محل بأن يقع صفة لرجال **ما أغنى عنكم جمعكم** المال
أو كثرتكم واجتماعكم **وما كنتم تستكبرون** واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ
تستكثرون من الكثرة **أفيضوا علينا** فيه دليل على أن الجنة فوق النار **أو مما رزقكم**
الله من غيره من الأشربة لدخوله في حكم الإفاضة ويجوز أن يراد وألقوا علينا
مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله ٥ علفتها تبنًا وماءً باردًا ٥ وإنما
يطلبون ذلك مع يأسهم من الإجابة إليه حيرة في أمرهم كما يفعل المضطر الممتحن
حرمهما على الكافرين منعهما شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه
ويحظر كقوله ٥ حرام على عينيَّ أن تطعما الكرى وأن ترقأا حتى ألاقيك
يا هند ٥ **فاليوم ننساهم** نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير
لا يذكرونهم به **كما نسوا لقاء يومهم هذا** كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه
ببالهم ولم يهتموا به **فصلناه على علم** عالمين كيف نفصل أحكامه ومواعظه
وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيمًا قيمًا غير ذي عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه
بالضاد المعجمة يعني فضلناه على جميع الكتب عالمين أنه أهل للتفضيل عليها
وهدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما أن على علم حال من مرفوعه **إلا تأويله**
إلا عاقبة أمره وما يؤول إليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد

قد جاءت رسل ربنا بالحق أي تبين وصح أنهم جاؤوا بالحق **أو نرد** جملة معطوفة على الجملة
التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كأنه قيل **هل لنا من شفعاء** أو هل نرد ورافعه وقوعه
موقعًا يصلح للاسم كما تقول ابتداءً هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلا تقدر
هل يشفع لنا شافع أو نرد وقرأ ابن أبي إسحق أو نردَّ بالنصب عطفًا على فيشفعوا أو يكون أو بمعنى
حتى أن أي يشفعوا لنا حتى نرد **فنعمل** وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل **يغشي**
الليل النهار وقرئ يغشّي بالتشديد أي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعًا والدليل
على الثاني قراءة حميد بن قيس يَغشى الليلُ النهارَ بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار أي يدرك
النهار الليل **ويطلبه حثيثًا** حسن الملاءمة لقراءة حميد **بأمره** بمشيئته وتصريفه وهو متعلق
بمسخرات أي خلقهن مسخرات جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد أن يصرفها سمّى ذلك
أمرًا على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك وقرئ **والشمس والقمر والنجوم مسخراتٌ** بالرفع ولما
ذكر أنه خلقهن مسخرات بأمره قال **ألا له الخلق والأمر** أي هو الذي خلق الأشياء كلها وهو الذي
صرّفها على حسب إرادته **تضرعًا وخفية** نصب على الحال أي ذوي تضرع وخفية وكذلك
خوفًا وطمعًا والتضرع تفعّل من الضراعة وهي الذل أي تذللًا وتملقًا وقرئ خِفية
وعن الحسن رحمه الله إن الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي إن كان الرجل لقد
جمع القرآن وما يشعر به جاره وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر
الناس به وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزوّار وما يشعرون به ولقد
أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر فيكون علانية
أبدًا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همسًا
بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعًا وخفية وقد أثنى
على زكريا فقال إذ نادى ربه نداء خفيًا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون
ضعفًا **إنه لا يحب المعتدين** أي المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن
ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو
الإسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب
المرء أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار
وما قرب إليها من قول وعمل ثم قرأ قوله إنه لا يحب المعتدين **إن رحمة الله قريب**
من المحسنين كقوله وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا وإنما ذكر قريب على تأويل الرحمة
بالرحم والترحم أو لأنه صفة موصوف محذوف أي شيء قريب أو على تشبيهه بفعيل الذي

الذي بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قبله استوا على العرش بزنة المصدر الذي
هو النقض التشعيب او ان ناب الرحمة عن حمزة وعلي وقرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه
اما لان ارسل ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منشورات ونشرا
جمع نشور ونشر تخفيف نشر كرسل ورسل وقرئ منشورة بمعنى منشورات فعول بمعنى
مفعول كالنقض والحسب ومنه قولهم ضم نشره ونشرا جمع بشير عاصم وبشرا بفتح الباء مصدر
من بشره بمعنى بشره اي باشرات وبشرى بين يدي رحمته امام نعمته وهو الغيث الذي هو
من اجل النعم واحسنها اثرا اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع
المطيق يرى الذي يرفعه قليلا سحابا ثقالا سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة سقناه الضمير
للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل على الوصف على اللفظ لقيل
ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ميت ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت فانزلنا به بالبلد او
بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به كذلك نخرج الموتى مثل ذلك الاخراج وهو
اخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين
اذ كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه والبلد الطيب الارض العذاة الكريمة التربة
والذي خبث الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال
كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير
فيه وقرئ يخرج نباته اي يخرجه البلد وينبته وقوله والذي خبث صفة للبلد
ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف
اليه الذي هو الراجع الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا
لوقوعه موقع الفاعل او يقدر ونبات الذي خبث وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر
اي ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل
لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن مجاهد آدم
وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله فوعاه بعقله وانتفع به
كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على
اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك
مثل ذلك التصريف نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون
ليتفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء اي يصرفها الله لقد ارسلنا جواب قسم محذوف
فان قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله

حلفت

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال قلت انما كان ذلك
لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة
لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل ارسل نوح وهو ابن خمسين
سنة وكان نجارا وهو نوح بن لملك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي
صلى الله عليه وسلم وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله
غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك
ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد فان قلت فما موقع الجملة بعد قوله اعبدوا الله
قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعي الى عبادته
لانه هو المحذور عقابه دون من كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم
يوم القيامة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان الملأ الاشراف والسادة
وقيل الرجال ليس معهم نساء في ضلال في ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى
الرؤية رؤية القلب فان قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا
قلت الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس
بي شيء من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت كيف وقع قوله ولكني
رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله مبلغا
رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا
للانتفاء عن الضلالة وقرئ ابلغكم بالتخفيف فان قلت كيف موقع ابلغكم قلت
فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا بيانا لكونه رسول رب العالمين
والثاني ان يكون صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول
لفظه لفظ الغائب قلت جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب
فكان في معناه كما قال علي انا الذي سمتني امي حيدره رسالات ربي ما اوحي الي
في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة في الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر
والبشائر والنذائر ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده
ادريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي
زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا
بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة
امحض من نصيحة الله ورسله واعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفات الله واحواله

يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدايه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين
وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا امنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي
الله اليه واراد واعلم من جهة الله اشيا لا علم لكم بها قد اوحي الي بها **اوعجبتم** الهمزة
للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم **ان جاكم** من
ان جاكم **ذكر** موعظة **من ربكم على رجل منكم** على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك
وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين يعنون
ارسال البشر ولو شا ربنا لانزل ملايكة **لينذركم وليتقوا** ليحذركم عاقبة الكفر ولتوجد
منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار **ولعلكم ترحمون** ولترجوا الرحمة ان وجدت
منكم **والذين معه** قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام
وحام ويافث وستة ممن امن به فان قلت **في الفلك** بم يتعلق قلت هو
متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك او صحبوه في الفلك ويجوز ان يتعلق
بفعل الانجا اي انجيناهم في السفينة من الطوفان **عمين** عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ
عامين والفرق بين العمي والعامي ان العمي يدل على عمى ثابت ونحوه قوله وضايق به
صدرك **اخاهم** واحدا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا
منهم لانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله في صدقه وامانته وهو هود بن
شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح واخاهم عطفا على نوحا و**هودا** عطف بيان له
فان قلت لم حذف العاطف من قوله **قال يا قوم** ولم يقل فقال كما في قصة نوح
قلت هو على تقدير سؤال سايل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم **اعبدوا
الله** وكذلك **قال الملا** فان قلت لم وصف الملا بالذين كفروا دون الملا من قوم
نوح قلت كان في اشراف قوم هود من امن به منهم مرثد بن سعد الذي اسلم
وكان يكتم اسلامه فاريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح مومن
ونحوه قوله وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقا الاخرة ويجوز ان
يكون وصفا واردا للذم لا غير **في سفاهة** في خفة حلم وسخافة عقل حيث
تهجر دين قومك الى دين اخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز ارادوا
انه متمكن فيها غير منفك عنها وفي اجابة الانبيا عليهم السلام من نسبهم الى الضلال
والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضا وترك المقابلة بما
قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم

وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفها وكيف يغضون
عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون منهم **ناصح امين** اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة
فما حقي ان اتهم وانا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه
خلفا من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض او جعلكم ملوكا في الارض قد استخلفكم فيها بعدهم
في الخلق بسطة فيما خلق من اجرامكم ذهابا في الطول والبدانة قيل كان اقصرهم ستين
ذراعا واطولهم ماية ذراع **فاذكروا الا الله** في استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواها
من عطاياه وواحد الالا الى ونحوه اني واناء وضلع واضلاع وعنب واعناب
فان قلت ما معنى المجي في قوله **اجيتنا** قلت فيه اوجه ان يكون لهود عليه السلام مكان
معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرا قبل
المبعث فلما اوحي اليه جا قومه يدعوهم وان يريدوا به الاستهزا لانهم كانوا يعتقدون
ان الله لا يرسل الا الملايكة فكانهم قالوا اجيتنا من السما كما يجي الملك ولا يريدون حقيقة
المجي ولكن التعريض بذلك والتهكم كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب
كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك **فاتنا بما تعدنا** استعجال
منهم للعذاب **قد وقع عليكم** اي حق عليكم ووجب او قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي
لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن
حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجا يبكي فقال له يا بني ما لك
فقال لسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر
والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب **في اسما سميتموها** في اشيا ما هي الا
اسما ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها الهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال وجوده
وهذا كقوله ما تدعون من دونه من شي ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا
وقطعنا دابرهم استاصلناهم ودمرناهم عن اخرهم **وقصتهم** ان عادا قد تبسطوا في
البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمود والهبا
فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا
عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا
نزل بهم بلا طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل
مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر
فجهزت عاد من اماثلهم الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عتر ومرثد بن سعد

الذي كان بمكة اماثله فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم
فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم
الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه
ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خشية
ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون
من قاله فقال

الا يا قيل ويحك قم فهينم ۞ لعل الله يسقينا غماما ۞
فيسقي ارض عاد ان عادا ۞ قد امسوا ما يبينون الكلاما ۞

فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا
الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم
نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن
معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق
عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله سحابات ثلاثا بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد
من السما يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السودا فانها اكثرهن ما
فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض
ممطرنا فجاتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمومنون معه فاتوا مكة
فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فان قلت ما فائدة نفي الايمان عنهم في قوله ما كانوا
مومنين مع اثبات التكذيب بايات الله قلت هو تعريض بمن امن منهم كمرثد بن سعد
ومن نجا مع هود عليه السلام كانه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا ولم يكونوا مثل
من امن منهم ليوذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المومنين وقرى الى ثمود بمنع
الصرف بتاويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم
ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح اخو جديس وقيل سمي
ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام
الى وادي القرى قد جاتكم بينة اية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي وكانه قيل ما هذه
البينة فقال هذه ناقة الله لكم اية واية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم
الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها اية ولكم بيان لمن هي له اية موجبة عليه
الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة
كانه قال لكم خصوصا وانما اضيف الى اسم الله تعظيما لها ومجيئها لشانها وانها جاءت من عنده

مكونة من غير فحل وطروقة اية من اياته كما تقول اية الله وروي ان عادا لما اهلكت
عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض فكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل
كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من
العيش فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا
قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم
وانذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون فقالوا اخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة
فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال
صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم
جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من
هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت
صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن
فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة
عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون
ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس
من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد
غبا فاذا كان يومها وضعت راسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج
فيحتلبون ما شاؤوا حتى تمتلي اوانيهم فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري
اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة
اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع
البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزين عقرها لهم
امراتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي
المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة
فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا
عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد
غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات
طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا
بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السما فتقطعت قلوبهم فهلكوا تاكل في ارض الله

اي بالارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تاكل في ارض ربها فليست الارض
لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم **ولا تمسوها بسوء** لا تضربوها ولا تطردوها ولا
تقربوها بشي من الاذى اكراما لاية الله ويروى ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها
ولا تدخلوا على هولا المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال
صلى الله عليه وسلم يا علي اتدري من اشقى الاولين قلت الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة
صالح اتدري من اشقى الاخرين قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك وقرى ابو جعفر
في رواية تاكل في ارض الله وهو في موضع الحال بمعنى اكلة **وبوأكم** ونزلكم والمباءة
المنزل **في الارض** في ارض الحجر بين الحجاز والشام **من سهولها قصورا** اي تبنونها من
سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والاجر وقرا الحسن **وتنحتون**
بفتح الحا وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله ٥ ينباع من ذفرى غضوب جسرة ٥
فان قلت علام انتصب **بيوتا** قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه
القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب والقصبة
قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال
في الشتا **للذين استضعفوا** للذين استضعفهم روسا الكفار واستذلوهم ٥
لمن امن منهم بدل من الذين استضعفوا فان قلت الضمير في منهم راجع الى ماذا قلت
الى قومه او الى الذين استضعفوا فان قلت هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف
المعنى قلت نعم وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من امن مفسرا لمن
استضعف منهم فدل ان استضعافهم كان مقصورا على المومنين واذا رجع الى
الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا
مومنين وكافرين **اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه** شي قالوه على سبيل الطنز
والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله فوق العرش فان قلت كيف صح
قولهم **انا بما ارسل به مومنون** جوابا عنه قلت سالوهم عن العلم بارساله
فجعلوا ارساله امرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كانهم قالوا العلم
بارساله وبما ارسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما
الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مومنون ولذلك كان جواب الكفرة
انا بالذي امنتم به كافرون فوضعوا امنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله

الاحسن ان يقال يسكنون السهول في الشتا والجبال في الصيف صح

المومنون

المومنون معلوما واخذوه مسلما **فعقروا الناقة** اسند العقر الى جميعهم
لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا
وما فعله الا واحد منهم **وعتوا عن امر ربهم** وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله
وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تاكل في ارض الله او شان
ربهم وهو دينه ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كان امر ربهم هو
تركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن امري
ايتنا بما تعدنا اراد من العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم
له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه **من المرسلين الرجفة** الصيحة
التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها **في دارهم** في بلادهم او في مساكنهم **جاثمين**
هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون
نبسة ومنه المجثمة التي جا النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى
وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسالوا الايات
فقد سالها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله
قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه
وروي ان صالحا كان بعثه الى قوم فخالف امره وروي انه صلى الله عليه وسلم
مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة
ابي رغال وانه دفن هاهنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عليه
باسيافهم فاستخرجوا الغصن **فتولى عنهم** الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى
عليهم وانه تولى عنهم بعدما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم
يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم ال جهدا في ابلاغكم والنصيحة
لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر
لاصرارهم حين راى العلامات قبل نزول العذاب وروي ان عقرهم الناقة
كان يوم الاربعا ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة
من المسلمين وهو يبكي فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا
الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم فان قلت
كيف صح خطاب الموتى وقوله **ولكن لا تحبون الناصحين** قلت قد يقول الرجل لصاحبه
وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى القى بنفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك

وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية
ولوطا وارسلنا لوطا او اذ ظرف لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر
وقت قال لقومه اتأتون الفاحشة اتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم
بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه
قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من احد من العالمين من الاولى زائدة لتوكيد النفي
وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت
هي جملة مستأنفة انكر عليهم اولا بقوله اتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من
عملها او على انه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها احد
فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به انكم لتأتون الرجال بيان لقوله اتأتون الفاحشة والهمزة
مثلها في اتأتون للانكار والتعظيم وقرئ انكم على الاخبار المستأنف لتأتون الرجال
من اتى المرأة اذا غشيها شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد
الشهوة من غير داع اخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمة وانه
لا داعي له من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين
للشهوة غير ملتفتين الى السماجة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى
الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعوا الى اتباع الشهوات
وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحد في كل شيء فمن ثم اسرفوا في باب
قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون
وما كان جواب قومه الا ان قالوا يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به
لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو
اصل الشر كله ولكنهم جاؤوا بشيء اخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن
معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم
انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه
من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا
هذا المتقشف واريحونا من هذا المتزهد واهله ومن يختص به من ذويه او من المؤمنين
من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور
على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت
وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر

الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين وامطرت الحجارة على
مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم
فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فان قلت اي فرق
بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حري غير مطير
ممطور ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم
ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر علينا حجارة
من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم نوعا
من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين كان يقال
لشعيب خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين
قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ
بما امرتكم به والانتهاء عما نهيتكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا فان قلت ما كانت معجزته
قلت قد وقع العلم بانه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه
لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبئا
لا نبيا غير ان معجزته لم تذكر في القران كما لم تذكر اكثر معجزات نبينا فيه ومن
معجزات شعيب عليه السلام ما روي من محاربة عصا موسى للتنين حين دفع اليه غنمه
وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع
عصا ادم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الايات لان هذه كانت كلها قبل
ان يستنبئ موسى عليه السلام وكانت معجزات لشعيب فان قلت كيف قيل الكيل والميزان
وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود قلت اريد بالكيل آلة الكيل
وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل
ويجوز ان تكون الميزان هو
ووزن الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ولا تبخسوا يقال بخسته حقه اذا نقصته
اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس وقيل اشياءهم لانهم
كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم او كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه
كما يفعل امراء الحرمين ودوانيهم وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه
الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر واعطوه بدلها زيوفا
بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعد ما اصلح فيها الصالحون من
الانبياء واتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافته في قوله بل مكر الليل والنهار

معنى بل يكون كثير في الفيل والانهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف ذلكم اشاره
الى ما ذكر من الوفا بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض والى العمل بما امرهم
به ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من التكسب
والتربح لان الناس ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانه والتسوية ان كنتم مومنين
[مومنين بي]
ان كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان
في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين
والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله ومحل
توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اي ولا تقعدوا موعدين وصادين
عن سبيل الله وباغيها عوجا فان قلت صراط الحق واحد وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط قلت
صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيره مختلفه فكانوا
اذا راوا احدا يشرع في شي منها اوعدوه وصدوه فان قلت الام يرجع الضمير
في امن به قلت الى كل صراط تقديره توعدون من امن به وتصدون عنه فوضع
الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما
يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم ان
ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كانت تفعل قريش بمكه وقيل كانوا
يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا
اي تصفونها للناس بانها سبيل معوجه غير مستقيمه لتصدوهم عن سلوكها والدخول
فيها او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج
واذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اي واذكروا على جهة الشكر وقت
كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت
لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركه والنما فكثروا وفشوا ويجوز
اذ كنتم مقلين فقرا فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم اقلة اذلة فاعزكم
بكثرة العدد والعدد وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين اخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم
نوح وهود وصالح وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكه فاصبروا فتربصوا
وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم
وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون او هو

عظه

عظه للمومنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم
الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اي ليصبر المومنون على
اذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من امن منهم حتى يحكم الله فيميز
الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف
اي لتكونن في احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر فان قلت كيف خاطبوا
شعيبا عليه السلام بالعود في الكفر في قولهم او لتعودن في ملتنا وكيف اجابهم بقوله
ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها والانبيا لا يجوز عليهم
[الكبائر فضلا عن]
من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب
والذين امنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا
لتعودن فغلبوا الجماعه على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا اجرا للكلام على حكم التغليب
وعلى ذلك اجرى الكلام على حكم التغليب وكذا اجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال
ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه في
جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجرا للكلام على حكم التغليب فان قلت فما معنى قوله وما يكون
لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله والله متعال ان يشا ردة المومنين وعودهم في
الكفر قلت معناه الا ان يشا الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا
ويكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شي علما اي
هو عالم بكل شي مما كان وما يكون فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب
وكيف تقسو بعد الرقه وتمرض بعد الصحه وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا
في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان
يشا الله حسما لطمعهم في العود لان مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمه
اولو كنا كارهين الهمزه للاستفهام والواو واو الحال تقديره اتعيدوننا في ملتكم
في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح ربنا افتح بيننا
احكم بيننا والفتاحه الحكومه او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بان
تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير
الحاكمين فان قلت كيف اسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في
ملتكم قلت هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا
فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام

لان المرتد ابلغ في الافتراء من الكافر لانه مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله
ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزاد عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفي عليه
من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام معناه والله
لقد افترينا على الله كذبا وقال الملأ الذين كفروا من قومه اي اشرافهم للذين دونهم
يثبطونهم عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى
كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل لخاسرون باسقاط
فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية فان قلت ما جواب
القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت قوله انكم اذا
لخاسرون ساد مسد الجوابين الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها وكذلك
كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم
المخصوصون بان اهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا
قد انجاهم الله والذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم
هم الرابحون وفي هذا الاستيناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ
لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم ه الاسى
شدة الحزن ه قال العجاج ه وانحلبت عيناه من فرط الاسى ه اشتد حزنه على
قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم
واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة
والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني انه لا يأسى
عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى وقرئ يحيى بن وثاب فكيف إيسى بكسر الهمزة الا
اخذنا اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم
عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر
والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة
الرخاء والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا ونموا
في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله
عليه السلام واعفوا اللحى ه وقال الحطيئة ه بمستأسد القريان عاف نباته ه
وقال ه ولكنا يعض السيف منها ه باسوق عافيات الشحم كوم ه وقالوا قد
مس آباءنا الضراء والسراء يعني وابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر

القريان جمع قري
وهو مسيل الماء

نعاقب

يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده
فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا ان ناخذهم بالعذاب فأخذناهم اشد
اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم فجاءة من غير شعور منهم اللام في القرى اشارة
الى القرى التي دل عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو ان اهل
تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل اراد
المطر والنبات ولكن كذبوا فأخذناهم بسوء كسبهم ويجوز ان يكون اللام
في القرى للجنس فان قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها عليهم كما
يتيسر امر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا تعذرت عليه
القراءة فيسرتها عليه بالتلقين البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله
فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون وقد يكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال
بيته العدو بياتا فيجوز ان يراد ان يأتيهم بأسنا بائتين او وقت بيات او مبيتا
او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا كأنه قيل ان يبيتهم بأسنا بياتا وضحى نصب على الظرف
يقال اتانا ضحاء وضحيا وضحا والضحى في الاصل اسم لضوء الشمس اذا اشرقت وارتفعت
والفاء والواو في أفأمن وأوأمن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار فان قلت
ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو قلت المعطوف عليه قوله
فأخذناهم بغتة ... أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا ان يأتيهم بأسنا
ضحى وقرئ أو أمن على العطف وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون
فان قلت فلم رجع فعطف بالفاء قوله أفأمنوا مكر الله قلت هو تكرير لقوله أفأمن
اهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل
ان يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة
وعن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام
قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد قوله ان يأتيهم بأسنا بياتا اذا قرئ أولم
يهد بالياء كان ان لو نشاء مرفوعا بانه فاعله بمعنى أولم يهد للذين يخلفون
من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشأن وهو ان لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين واذا قرئ بالنون
فهو منصوب كأنه قيل أولم يهد الله للوارثين هذا الشأن بمعنى أولم يبين

٧ وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين
المعطوف والمعطوف عليه وانما عطف بالفاء لان المعنى

لهم انه لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وانما عدي فعل الهدايه
باللام لانه بمعنى التبيين فان قلت بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم
قلت فيه اوجه ان يكون معطوفا على ما دل عليه معنى او لم يهد كانه قيل يغفلون
عن الهدايه ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض او يكون منقطعا بمعنى ونحن
نطبع على قلوبهم فان قلت هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى طبعنا كما كان لو نشاء
بمعنى لو شئنا ويعطف على اصبناهم قلت لا يساعد عليه المعنى لان القوم كانوا مطبوعا
على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابه بها وهذا التفسير
يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفه وان الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك
من انبائها كقوله هذا بعلي شيخا في انه مبتدا وخبر وحال ويجوز ان
يكون القرى صفه لتلك ونقص خبرا وان يكون القرى نقص خبرا بعد خبر فان
قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد ولكن بشرط التقييد
بالصفه في قولك هو الرجل الكريم فان قلت ما معنى الاخبار عن القرى بنقص عليك
من انبائها قلت معناه ان تلك القرى المذكوره نقص عليك بعض انبائها ولها انباء
غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوا من
ايات الله من قبل مجيء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى اخر اعمارهم بما كذبوا به اولا
حين جاءتهم الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا
مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع
الايات ومعنى اللام تاكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر
وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد
يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير للناس على الا
طلاق اي وما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في
الايمان والتقوى وان وجدنا وان الشان والحديث وجدنا اكثرهم لفاسقين
خارجين عن الطاعه مارقين والايه اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين
وانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافه لئن انجيتنا لنؤمنن ثم لما انجاهم نكثوا كما قال
قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى قوله اذا هم ينكثون
والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففه واللام
الفارقه ولا يسوغ ذلك الا في المبتدا والخبر والافعال الداخله عليهما من بعدهم الضمير للرسل

في قوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات او للامم فظلموا بها فكفروا بآياتها اجرى
الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس
بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا من امن بها ولانه اذا وجب الايمان بها
فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اي كفروا بها واضعين
الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان يقال لملوك مصر الفراعنه كما يقال لملوك فارس
الاكاسره فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان
حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراءات المشهوره وحقيق علي ان
لا اقول وهي قراءه نافع وحقيق ان لا اقول وفي قراءه عبد الله وحقيق بان لا
اقول وهي قراءه ابي وفي المشهوره اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان تكون مما
يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطره الحمر ومعناه
وتشقى الضياطره بالرماح وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءه نافع والثاني ان ما
لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق
اي لازما له والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في
بيت الكتاب والرابع وهو الاوجه الادخل في نكت القران ان يغرق موسى
عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي ان عدو
الله فرعون قال له لما قال اني رسول من رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق
على قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا
بمثلي ناطقا به فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض
المقدسه التي هي وطنهم ومولد ابائهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي
وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله بموسى وكان
بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى اربعمائه عام فان
قلت كيف قال له فات بها بعد قوله ان كنت جئت باية قلت معناه ان كنت
جئت من عند من ارسلك باية فاتني بها واحضرها عندي ليصح دعواك ويثبت صدقك
ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وروي انه كان ثعبانا ذكرا اشعر
فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على
سور القصر ثم توجه نحو فرعون لياخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث
ولم يكن احدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم

خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه
وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا فان قلت بم يتعلق
للناظرين قلت يتعلق ببيضا والمعنى فاذا هي بيضا للنظارة ولا تكون بيضا للنظارة
الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما تجتمع النظارة
للعجايب وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها
جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضا بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع
وقال الملا من قوم فرعون
الشمس وكان موسى عليه السلام ادم شديد الادمة ان هذا لساحر عليم اي عالم بالسحر
ماهر فيه قد اخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والادم
ابيض فان قلت قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعرا وانه قاله للملا
وعزي هاهنا اليهم قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكي ثم قوله وهاهنا قولهم
او قاله ابتدا فتلقته منه الملا فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه للناس على طريق
التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الراي فيكلم من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة
العامة والدليل عليه انهم اجابوه في قولهم ارجه واخاه وارسل في المداين
حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم وقرئ سحار اي ياتوك بكل ساحر مثله في العلم
والمهارة او بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تامرون
من امرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك براي وقيل فماذا تامرون من
من كلام فرعون قاله للملا لما قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم كانه
قيل قال فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه ومعنى ارجه واخاه اخرهما
واصدرهما عنك حتى ترى رايك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما وقرئ ارجئه
بالهمز وارجه من ارجاه وارجاه فان قلت هلا قيل وجا السحرة فرعون
فقالوا قلت هو على تقدير سايل سال ما قالوا اذ جاوه فاجيب بقوله قالوا
ائن لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة وقرئ ان لنا لاجرا على الاخبار واثبات الاجر
العظيم وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له
لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة فان قلت وانكم لمن المقربين ما الذي عطف
عليه قلت هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ايجابا لقولهم
ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر بكم على الثواب وحده
وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب انما

يهنا

يهنا بما يصل اليه ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة وروي انه قال
لهم تكونون اول من يدخل واخر من يخرج وروي انه دعا برؤسا السحرة ومعلميهم فقال لهم ما
صنعتم فقالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السما فانه
لا طاقة لنا به وروي انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلثين
الفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى
وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر تخييرهم اياه ادب حسن راعوه
معه كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل ان يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين
قبل ان يتاخذوا للصراع وقولهم واما ان نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا
قبله من تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر او اقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما
راغبوا فيه ازدرا لشانهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التاييد السماوي
وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا سحروا اعين الناس اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها
ما الحقيقة بخلافه كقوله يخيل اليه من سحرهم انها تسعى روي انهم القوا حبالا غلاظا
وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملات الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم
وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر روي
انهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزيبق ما
يافكون ما موصولة او مصدرية بمعنى ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل
ويزورونه او افكهم تسمية للمافوك بالافك وروي انها لما تلقفت ملء الوادي من
الخشب والحبال رفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك
الاجرام العظيمة او فرقها اجزا لطيفة فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا
فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فاثر فيها من قولهم قاس
وقيع وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلا مبهوتين والقي السحرة وخروا سجدا كانما القاهم
ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا عن قتادة كانوا اول
النهار كفارا سحرة وفي اخره شهدا بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشا
بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهولا كفار نشوا في الكفر بذلوا انفسهم لله
امنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتعنيفا وقرئ اامنتم
بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة ان
صنيعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه الصحرا

قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوها بني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان موسى قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن وقرئ لاقطعن بالتخفيف كذلك ثم لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل انه اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون انا الى ربنا منقلبون فيه اوجه ان يريدوا انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا الا ان آمنا وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله ارادوا وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله ٥ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ٥ افرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اي يغمره بالحياء والخجل او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام ويذرك عطف على يفسدوا لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك آلهته فكانه تركهم لذلك او هو جواب الاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة ٥ الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء ٥ والنصب باضمار ان تقديره ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وآلهتك ٥ وقرئ ويذرك وآلهتك بالرفع عطفا على اتذر بمعنى اتذره وايذرك اي اتطلق له ذلك او يكون مستانفا او حالا على معنى اتذره وهو يذرك وآلهتك وقرئ الحسن ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا ويذرك واكن من الصالحين كانه قيل ان تصدق واكن وقرا انس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب اي يصرفونا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والاهتك اي عبادتك وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة

بيان لوجه اضافة الالهة الى فرعون مع انه كان يدعي الالهية ولا يعبد احدا

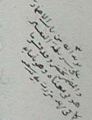
الاصنام

الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك حين قال لهم فرعون سنقتل ابناءهم تجزعوا منه وتضجروا تسكينا لهم وتسلية ووعدهم النصر عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم فان قلت لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها قلت هي جملة مبتداة مستانفة واما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون وقوله ان الارض لله يجوز ان يكون اللام للعهد ويراد ارض مصر خاصة كقوله واورثنا الارض وان يكون للجنس فيتناول ارض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة ايها المرء ... فاراد بالمرء الجنس وغرضه ان يثبتوا وله تثبيتا ولا اولي والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وان المشية متناولة لهم وقرا والعاقبة بالنصب ابن مسعود عطفا على الارض اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى الى ان استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن وصنوف العذاب عسى ربكم ان يهلك عدوكم تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله عليه انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرا عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعدما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون بالسنين بسني القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا وقال ابن عباس اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم وعن كعب ياتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة لعلهم يذكرون فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم

لايات الله في حال الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افيدة وقيل
عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في
تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية **فاذا جاءتهم الحسنة** من الخصب والرخا **قالوا
لنا هذه** اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام
مثلها في قولك الجل للفرس **وان تصبهم سيئة** من ضيقة او جدب **يطيروا بموسى ومن
معه** يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما قال
الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك فان قلت كيف قيل فاذا جاءتهم
الحسنة باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة قلت لان جنس
الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع
الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلا فهلا عددت ايام الرخا
طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو
الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم احد ولا يمنه بسببه كقوله قل
كل من عند الله ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب
عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون عليه بعد موتهم بما وعدهم الله
في قوله النار يعرضون عليها الآية ولا طائر اشأم من هذا وقرئ انما طيرهم
عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن
هو تكسير **مهما** هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى
ما تخرج اخرج اينما تكونوا يدرككم الموت فاما نذهبن بك الا ان الالف
قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس
من زعم ان مه هو الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كانه قيل كف ما
تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فان قلت ما محل مهما قلت
الرفع بمعنى ايما شيء تاتنا به او النصب بمعنى ايما شيء تحضرنا تاتنا به ومن آية تبيين
لمهما والضميران في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والثاني
انث على المعنى لانه في معنى الآية ونحوه قول زهير

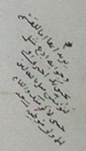
ومهما تكن عند امرئ من خليقة ... وان خالها تخفى على الناس تعلم

وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها
غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا من



وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تاتنا به من آية بمعنى
الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدي
الناظر في كتاب سيبويه فان قلت كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما سموها
آية لاعتقادهم انها آية وانما سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء
والتلهي **الطوفان** ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم
وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر
احدهم ان يخرج من داره وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت
بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى
تراقيهم من جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم
وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وعن ابي قلابة
الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان
وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع
عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله فاقاموا
شهرا فبعث الله عليهم **الجراد** فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء
حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء
ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج موسى عليه
السلام الى الفضا فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى
النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله
عليهم **القمل** وهو الحمنان في قول ابي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو
اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس
فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده
فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة
الى الرحى فلا يرد منها الا يسيرا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه
موسى بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم
وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى
فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا
فارسل الله عليهم بعد شهر **الضفادع** فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم

ولا يطعمهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع
وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثب الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا
يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور
فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود
فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم
الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان يجمع بين
القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون مما يلي الاسرائيلي ماء ومما يلي القبطي دما
ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المراة القبطية
تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما
وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار
ماؤها الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل
سلط الله عليهم الرعاف وروي ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعدما غلب
السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروي انه لما اراهم اليد والعصا
ونقص النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه
بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث
الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرئ القمل بفتح القاف
وسكون الميم يريد القمل المعروف **آيات مفصلات** نصب على الحال
ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا تشكل على عاقل انها من آيات الله التي
لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض
بزمان تمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون
الزاما للحجة عليهم **بما عهد عندك** ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة
والباء اما ان يتعلق بقوله **ادع لنا ربك** على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب
اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع لنا
الله متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا
بعهد الله عندك **لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى اجل هم بالغوه**
الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من
الامهال وكشف العذاب الى حلوله **اذا هم ينكثون** جواب لما يعني فلما كشفنا



عنهم فاجؤوا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن لما كشف عنهم نكثوا **فانتقمنا**
منهم فاردنا الانتقام منهم **فاغرقناهم في اليم** البحر الذي لا يدرك قعره
وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه
بانهم كذبوا بآياتنا اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها
وقلة فكرهم فيها واورثنا **القوم الذين كانوا يستضعفون** هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم
فرعون وقومه **في الارض** ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة
وتصرفوا كيف شاؤوا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية **باركنا فيها** بالخصب
وسعة الارزاق **كلمة ربك الحسنى** قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا الى قوله ما
كانوا يحذرون والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت **على بني اسرائيل** مضت
عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه **بما صبروا** بسبب صبرهم وحسبك
به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله
بالصبر وانتظار النصر ضمن له الله الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد
سمع قوله تعالى وتلا الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولي
الصبر وقراءة عاصم في رواية **وتمت كلمات ربك الحسنى** ونظيره من آيات ربه
الكبرى **ما يصنع فرعون وقومه** ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء
القصور **وما كانوا يعرشون** من الجنات وهو الذي انشأ جنات معروشات
او ما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون
بالكسر والضم وذكر اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني انه قرأ بعض الناس
يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا وهذا آخر ما اقتص الله من نبأ
فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه باقتصاص
ما احدثه بنو اسرائيل بعد انقاذهم من مملكة فرعون واستعباده
ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية
الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما
وصفه ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور
وليسلي رسول الله مما راى من بني اسرائيل بالمدينة وروي انه عبر بهم موسى
يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله **فاتوا على قوم**
فمروا عليهم **يعكفون على اصنام لهم** يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال

يوحى أنه كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا
من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى أجزنا يقال أجاز المكان وجوزه
وجاوزه بمعنى جازه كقولك أعلاه وعلاه وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها
اجعل لنا إلها مثالا نعكف عليه كما لهم آلهة أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف
ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه أن يهوديا قال له اختلفتم بعد
نبيكم قبل أن يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا إلها قبل أن تجف أقدامكم قال إنكم قوم
تجهلون تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل
المطلق وأكده لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع إن هؤلاء يعني عبدة تلك
التماثيل متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم إناء متبر إذا كان فضاضا
ويقال لكسارة الذهب التبر أي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم
أصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون أي ما عملوا شيئا من عبادتها
فيما سلف إلا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وإن كان في زعمهم تقربا إلى الله كما قال
وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي إيقاع هؤلاء اسم إن وتقديم خبر
المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الأصنام بأنهم هم المعرضون للتبار
وأنه لا يعدوهم البتة وأنه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض
إليهم ما أحبوا أغير الله أبغيكم إلها أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا
وهو فعل بكم ما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها أحدا غيركم
لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الإنكار والتعجب من طلبهم مع
كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة
العذاب من سام السلعة إذا طلبها فإن قلت ما محل يسومونكم قلت هو
استئناف لا محل له ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين أو من آل فرعون وذلكم
إشارة إلى الإنجاء أو إلى العذاب والبلاء النعمة أو المحنة وقرئ يقتلون
بالتخفيف وروي أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله
عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك
فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصيام ثلاثين يوما وهو شهر ذي القعدة
فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك
فأفسدته بالسواك وقيل أوحى الله تعالى إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب

عندي من ريح المسك فأمره الله أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك وقيل أمره
الله بأن يصوم ثلاثين يوما وأن يعمل فيها ما يقربه من الله ثم أنزلت عليه التوراة في
العشر وكلم فيها ولقد أجمل ذكر الأربعين في سورة البقرة وفصلها هاهنا
فتم ميقات ربه ما وقته له من الوقت وضربه له أربعين ليلة نصب على الحال أي تم
بالغا هذا العدد وهارون عطف بيان لأخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي
كن خليفتي فيهم وأصلح وكن مصلحا أو وأصلح ما يجب أن يصلح من أمور بني إسرائيل ومن دعاك
منهم إلى الإفساد فلا تتبعه ولا تطعه لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا
ومعنى اللام الاختصاص فكأنه قيل اختص مجيئه لميقاتنا كما تقول أتيته لعشر خلون
من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقا
به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي أن موسى كان يسمع ذلك
الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه أربعين يوما وأربعين ليلة وكتب له الألواح
وقيل إنما كلمه في أول الأربعين قال رب أرني أنظر إليك ثاني مفعولي أرني محذوف أي أرني
نفسك أنظر إليك فإن قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل أرني أنظر إليك قلت
معنى أرني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر إليك وأراك فإن
قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي لقوله أنظر إليك قلت
لما قال أرني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الإدراك علم أن الطلبة هي الرؤية
لا النظر الذي لا إدراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي فإن قلت كيف
طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من أعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما
لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي إدراك ببعض الحواس وذلك إنما يصح فيما كان في جهة
وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون في جهة ومنع المجبرة إحالته في العقول غير
لازم لأنه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وهو القائل حين أخذت
الرجفة الذين قالوا أرنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إلى قوله تضل بها
من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلب الرؤية
إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك
أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا
في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأراد أن يسمعوا النص من عند الله
باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك

فلذلك قال رب ارني انظر اليك فان قلت فهلا قال ارهم ينظروا اليك قلت
لان الله سبحانه وتعالى انما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة
ارادوا ان يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية
على قياس فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك ولانه اذا زجر عما طلب وانكر عليه
في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى
بالانكار ولان الرسول امام امته فكان ما يخاطب به او ما يخاطب راجعا اليهم
وقوله انظر اليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل
على انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا
اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة الله من واصل بن عطاء
وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين فان قلت ما معنى لن
قلت تاكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك ان لا تنفي المستقبل تقول لا افعل غدا
فاذا اكدت نفيها قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن
تراني تاكيد وبيان لان المنفي مناف لصفاته فان قلت كيف اتصل الاستدراك في
قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت اتصل به على معنى ان النظر الي محال
فلا تطلبه ولكن عليك بنظر اخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلب
الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما
اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما
مثله عند نسبة الولد اليه في قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن
ولدا فان استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني
تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا
ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع
الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة
الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله فان استقر مكانه
فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله
دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك
والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة او ارضا دكا

مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع
بن خثيم ابسط يدك دكاء اي مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا اي قطعا
دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا من هول ما راى وصعق من باب فعلته ففعل يقال
صعقته فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه على راسه
ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه
فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة فلما
افاق من صعقته قال سبحانك انزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك
من طلب الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس
فان قلت فان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت من
اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه
من الله فانظر الى اعظام الله تعالى امر الرؤية في هذه الاية وكيف ارجف الجبل
بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في اعظام
الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال انا
اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة
كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم
والقول ما قال بعض العدلية فيهم

لجماعة سموا هواهم سنة ° وجماعة حمر لعمري موكفة
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ° شنع الورى فتستروا بالبلكفة

ان تريد بقوله ارني انظر اليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كانها اراءة في
جلائها باية مثل ايات القيامة التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفة
اضطرار كاني انظر اليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى
ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلا واستوى قال لن تراني
لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الاية المضطرة ولكن انظر الى
الجبل فاني اورد عليه واظهر له اية من تلك الايات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه
ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له اية من
قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما راى فلما افاق قال سبحانك
تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك وان شيئا

لا تهتم لبعثتك ومناجاتك اصطفيتك على الناس اخترتك على أهل زمانك وآثرتك
عليهم برسالاتي وهي أسفار التوراة وبكلامي وبتكليمي إياك فخذ ما آتيتك ما أعطيتك
من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من أجل النعم وقيل
خر موسى صعقا يوم عرفة وأعطي التوراة يوم النحر فإن قلت كيف قيل اصطفيتك على
الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا قلت أجل ولكنه كان تابعا له وردءا ووزيرا
والكليم هو موسى والأصيل في حمل الرسالة ذكر في عدد الألواح وفي جوهرها
وطولها أنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وأنها كانت من زمرد جاء بها جبريل
وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل أمر الله موسى بقطعها
من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها بأصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت
من السماء فيها التوراة وأن طولها كان عشرة أذرع وقوله من كل شيء في محل النصب
مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو إسرائيل محتاجين
إليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام وقيل أنزلت التوراة وهي سبعون
وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى
وعن مقاتل كتب في الألواح إني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا
السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فإن من حلف باسمي كاذبا فلا أزكيه ولا تقتلوا
ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز أن يكون
بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير في فخذها للألواح أو لكل شيء لأنه في معنى الأشياء
أو للرسالات أو للتوراة ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل أولي العزم من الرسل يأخذوا
بأحسنها أي فيها ما هو حسن وأحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم
أن يحملوا على أنفسهم في الأخذ بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل
إليكم وقيل يأخذوا بما هو واجب أو ندب لأنه أحسن من المباح ويجوز أن يراد يأخذوا
بما أمروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف أحر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين
يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف أقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا
تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين
أهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في أسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم
وقرئ الحسن سأوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال أورني كذا وأوريته ووجهه
أن يكون من أوريت الزند كأن المعنى بينه لي وأنره لأستبينه وقرئ سأورثكم

وهي قراءة حسنة يصححها قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون سأصرف
عن آياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون
بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذا عظمت أمتي الدنيا نزع عنها هيبة الإسلام وإذا تركوا
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن إبطالها وإن
اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل آية موسى بأن جمع لها السحرة فأبى الله إلا علو
الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها
سحرا بإهلاكهم وفيه إنذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها
لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان أن يكون حالا بمعنى يتكبرون
غير محقين لأن التكبر بالحق لله وحده وأن يكون صلة لفعل التكبر أي يتكبرون بما ليس بحق
وما هم عليه من دينهم وإن يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرأ مالك
بن دينار وإن يروا بضم الياء وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم
والسقم والسقام وما أسفه من ركب المفازة فإن رأى طريقا مستقيما أعرض عنه وتركه
وإن رأى معتسفا مرديا أخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه أسفه ذلك في محل
الرفع أو النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم أو صرفهم الله ذلك الصرف بسببه
ولقاء الآخرة يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به أي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم
أحوالها أو من إضافة المصدر إلى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة من بعده من بعد
فراقه إياهم إلى الطور فإن قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري
قلت فيه وجهان أحدهما أن ينسب الفعل إليهم لأن رجلا منهم باشره ووجد
فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا والقائل والفاعل واحد
ولأنهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكأنهم أجمعوا عليه والثاني أن يراد اتخذوه
إلها وعبدوه وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن
حليهم بالكسر للإتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما يتحسن به
من الذهب والفضة فإن قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم إنما
كانت عواري في أيديهم قلت الإضافة تكون بأدنى ملابسة وكونها عواري
في أيديهم كفاية فيه ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم
ألا ترى إلى قوله عز وجل فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم

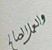
كيد لكم واورثناها بني اسرائيل جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد والخوار
صوت البقر قال الحسن ان السامري قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل يوم
قطع البحر فقذفه في في العجل فكان عجلا له خوار وقرئ علي رضي الله عنه جؤار
بالجيم والهمز من جأر اذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا الم يروا حين
اتخذوه الاها انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان
البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبل
الحق بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدا فقال اتخذوه
اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شي في غير
موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم ولما سقط في ايديهم
ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شان من اشتد ندمه وحسرته
ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في
ايديهم على تسمية الفاعل وهو من باب الكناية وقرى ابو السميفع سقط على بدهم
على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم
اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد
تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين وراوا انهم قد
ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم وقري لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا
بالتا وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحوى عليهما السلام
وان لم ترحمنا وتغفر لنا الاسف الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل
هو الحزين خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي حيث عبدتم العجل مكان
عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما تقتضيه بئس من
الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص
بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم فان قلت اي معنى
لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رايتم مني من توحيد الله
ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على
التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا
الها كما لهم الهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه
ونحوه خلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة [illegible]

عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق
فعدى تعديته فقيل عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى
وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره
ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري
قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات
وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا والقى
الالواح طرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا
لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا
ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وروي ان التوريه كانت سبعة اسباع فلما
القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل
كل شي وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ براس اخيه اي بشعر راسه يجره اليه
بذوائبه وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا
باخيه انه فرط في الكف ابن ام قري بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء
الاضافة وابن امي بالياء وبن ام بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه
فان صح فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف
والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مومنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي
قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها ان القوم استضعفوني يعني انه لم يال
جهدا في كفهم بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى
قهروه واستضعفوه ولم يبق الا ان يقتلوه فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما هو امنيتهم
من الاستهانة بي والاساءة الي وقرى فلا تشمت بي الاعداء على نهي الاعداء عن الشماتة
والمراد ان لا يحل به ما يشمتون به لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني
في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين
مع براءتي منهم ومن ظلمهم لما اعتذر اليه اخوه وذكر له شماتة الاعداء قال رب اغفر
لي ولاخي ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا يتم لهم شماتتهم واستغفر
لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا
عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة غضب من ربهم وذلة العضب

ما أمروا به من قتل أنفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لأن ذل الغربة مثل
مضروب وقيل هو ما نال أبناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله
بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية **المفترين** المتكذبين على الله ولا فرية
أعظم من قول السامري هذا إلهكم وإله موسى ويجوز أن يتعلق **في الحيوة الدنيا**
بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب في الآخرة وذلة في الحيوة الدنيا كقوله لهم وضربت
عليهم الذلة والمسكنة وباءو بغضب من الله **والذين عملوا السيئات** من الكفر والمعاصي
كلها **ثم تابوا** ثم رجعوا **من بعدها** إلى الله واعتذروا إليه **وآمنوا** وأخلصوا الإيمان
إن ربك من بعدها من بعد تلك العظائم **لغفور** لستور عليهم محاء لما كان منهم **رحيم**
منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذوا العجل ومن عداهم عظم جنايتهم
أولا ثم أردفها بعظيم رحمته ليعلم أن الذنوب وإن جلت وعظمت فإن عفوه وكرمه
أعظم وأجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والإنابة وما وراءه
طمع فارغ وأشعبية باردة لا يلتفت إليها حازم **ولما سكت عن موسى الغضب** هذا
مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الألواح
وجر برأس أخيك إليك فترك النطق بذلك وقطع الإغراء ولم يستحسن هذه الكلمة
ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك ولأنه من قبيل شعب
البلاغة وإلا فما لقراءة معوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها
شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سكت وأسكت أي أسكته
الله أو أخوه باعتذاره إليه وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه **أخذ الألواح** التي
ألقاها **وفي نسختها** وفيما نسخ منها أي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة
لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لأن تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه
ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت **واختار موسى قومه** أي من
قومه فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله ٥ ومنا الذي اختير الرجال سماحة ٥
قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال
ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال إن لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد
كالب ويوشع وروي أنه لم يصب إلا ستين شيخا فأوحى الله إليه أن تختار من الشبان
عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخا وقيل كانوا أبناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا

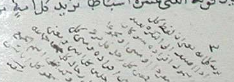
الأربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا فأمرهم موسى أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا
ثيابهم ثم خرج بهم إلى طور سينا لميقات ربه وكان أمره ربه أن يأتيه في سبعين
من بني اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا
موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه
وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه فطلبوا الرؤية
فوعظهم وزجرهم وأنكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فقال رب أرني أنظر إليك يريد أن يسمعوا الرد والإنكار من جهته فأجيب بلن تراني
ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة قال موسى **رب لو شئت أهلكتهم من
قبل وإياي** وهذا تمن منه للإهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية
كما يقول النادم على الأمر إذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لأهلكني قبل هذا **أتهلكنا
بما فعل السفهاء منا** يعني أتهلكنا جميعا يعني نفسه وإياهم لأنه إنما طلب الرؤية زجرا
للسفهاء وهم طلبوها سفها وجهلا **إن هي إلا فتنتك** أي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني
وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا
تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي
العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك إضلالا من الله وهدى منه لأن
محنته لما كانت سببا لأن ضلوا واهتدوا فكأنه أضلهم بها وهداهم على الاتساع في
الكلام **أنت ولينا** مولانا القائم بأمورنا **واكتب لنا** في هذه الدنيا حسنة واثبت لنا
واقسم **في هذه الدنيا حسنة** عافية وحياة طيبة أو توفيقا في الطاعة **وفي الآخرة**
الجنة **إنا هدنا إليك** تبنا إليك وهاد يهود إذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو
التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هد هد واسجد كأنك هدهد وقرأ
أبو وجزة السعدي هدنا إليك بكسر الهاء من هاده يهيده إذا حركه وأماله
ويحتمل أمرين أن يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى حركنا إليك أنفسنا وأملناها
أو حركنا إليك وأملنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت
من العيادة ويجوز عدت بالإشمام وعدت بإخلاص الضمة فيمن قال عود المريض
وقول القول ويجوز على هذه اللغة أن يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده
قال عذابي من حاله وصفته أني **أصيب به من أشاء** أي من وجب علي في الحكمة تعذيبه
ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة **ورحمتي** من حالها وصفتها أنها

واسعة تبلغ **كل شيء** ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي
وقرأ الحسن من أشاء من الاساءة فسأكتب هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل **للذين**
يكونون في آخر الزمان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم **الذين هم** بجميع آياتنا وكتبنا **يؤمنون**
لا يكفرون بشيء منها **الذين يتبعون الرسول** الذي نوحي إليه كتابا مختصا به وهو
القرآن **النبي** صاحب المعجزات **الذي يجدونه** يجد نعته أولئك الذين يتبعونه من بني إسرائيل
مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة
كالشحوم وغيرها أو ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما
خلا كسبه من السحت **ويحرم عليهم الخبائث** ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير
وما أهل لغير الله به أو ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة
الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل
تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الأنفس في صحة توبتهم وكذلك **الأغلال** مثل لما
كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ
من غير شرع الدية وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب
وإحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو إسرائيل إذا قامت
تصلي لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل
فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ **آصارهم**
على الجمع **وعزروه** ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف وأصل العزر المنع ومنه
التعزير للضرب دون الحد لأنه منع من معاودة القبيح ألا ترى إلى تسميته الحد والحد
هو المنع **والنور** القرآن فإن قلت ما معنى قوله **أنزل معه** وإنما أنزل مع جبريل قلت
معناه مع نبوته لأن استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز أن يعلق باتبعوا
أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما أمر به ونهى عنه أو
واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فإن قلت كيف انطبق الجواب على
قول موسى عليه السلام ودعائه قلت لما دعا لنفسه ولبني إسرائيل أجيب بما
هو منطو على توبيخ بني إسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله وعلى كفرهم بآيات الله
العظام التي أجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون
وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله وما جاء به كعبد الله
بن سلام وغيره من أهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في إخلاص الإيمان والعمل



والعمل الصالح وفي أن يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين أعقابهم في رحمة الله التي
وسعت كل شيء **إني رسول الله إليكم جميعا** قيل بعث كل رسول إلى قومه خاصة
وبعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى كافة الإنس وكافة الجن وجميعا نصب
على الحال من إليكم فإن قلت **الذي له ملك السموات والأرض** ما محله قلت
الأحسن أن يكون منتصبا بإضمار أعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز أن
يكون جرا على الوصف وإن حيل بين الصفة والموصوف بقوله إليكم جميعا وقوله
لا إله إلا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والأرض وكذلك يحيي ويميت
وفي لا إله إلا هو بيان للجملة قبلها لأن من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة
وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالإلهية لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره
وكلماته وما أنزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته
على الإفراد وهو القرآن أو أراد جنسها كلما به وعن مجاهد أراد عيسى بن مريم
وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وإنما قيل لعيسى
كلمة الله وخص بهذا الاسم لأنه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى
لعلكم تهتدون إرادة أن تهتدوا فإن قلت هلا قيل **فآمنوا بالله** وبي
بعد قوله إني رسول الله إليكم قلت عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر لتجري عليه
الصفات التي أجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم
أن الذي وجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه **النبي الأمي**
الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيري إظهارا للنصفة وتفاديا من
العصبية لنفسه **ومن قوم موسى أمة** هم المؤمنون التائبون من بني إسرائيل لما ذكر
الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى أقدموا على العظيمتين عبادة العجل
واستجازة رؤية الله ذكر أن منهم أمة ثابتين موقنين يهدون الناس بكلمة الحق
ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق **يعدلون** بينهم في الحكم لا يجورون
أو أراد الذين وصفهم ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به من أعقابهم
وقيل إن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط
منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين إخوانهم ففتح الله
لهم نفقا في الأرض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم
هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ان جبريل ذهب به ليلة الاسرا نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون
من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى
اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرا عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام
السلام ثم اقراهم عشر سور من القران نزلت بمكه ولم تكن نزلت فريضة غير الصلوة
والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا و يتركوا
السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم فقال له عبد الله
يعني لمن كان في مجلسه من المومنين وهل يزيد صلحا وكم عليهم شيئا منكم من يهدي بالحق
وبه يعدلون وقيل هم قوم كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم تبلغهم نسخها كانوا
معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر ببعثة محمد صلى
الله عليه واله وسلم الى كل افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل مدر
ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد
القاه اليهم وملأ به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سايلهم عنه يوم القيمة
وقطعناهم وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم
وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة اسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة
والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر
ولدا من ولد يعقوب عليه السلام فان قلت مميز ما عدا العشرة مفرد
فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا قلت لو قيل ذلك لم يكن
تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط
فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره بين رماحي مالك ونهشل وامما
بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة
كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد
تأتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين فانبجست فانفجرت والمعنى واحد وهو
الانفتاح بكثرة وسعة قال العجاج وكيف غربي دالج تبجسا فان
قلت هلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الالباس وليجعل الانبجاس
مسببا عن الايحا بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف على اتباع
الامر وانه من انتفا الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله
كل اناس نظير قوله اثنتي عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الاثنتي عشرة



والاناس

والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتؤام واخوات لها ويجوز
ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو سكارى
وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم في التيه وكلوا
على ارادة القول وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا
يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم واذكر اذ قيل لهم والقرية
بيت المقدس فان قلت كيف اختلفت العبارة هاهنا وفي سورة البقرة قلت
لا باس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية
وكلوا منها وبين قوله فكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للاكل منها
فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسوى قدموا الحطة على دخول الباب
او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله
نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح
الواو لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران
فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا
ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرئ تغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم
خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم على البنا للمفعول واسألهم وسل اليهود وقرئ
واسلهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم
لحدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحي
فاذا اعلمهم به من لم يقرا كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام
التي يراد بها التقرير في قولك اعدوتم في السبت والقرية ايلة وقيل مدين
وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو بن العلاء ما رايت قرويين
افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة
لشاطئه اذ يعدون في السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم
في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدّون بمعنى يعتدون وادغمت التا في
الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون الات
الصيد يوم السبت وهم مامورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر
سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون
في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت

ويدل عليه قوله **ويوم لا يسبتون** وقراءة عمر بن عبد العزيز ويوم اسباتهم
وقرئ لا يُسْبِتون بضم الياء وقرأ علي رضي الله عنه لا يُسَبِّتون بضم الياء من اسبتوا
وعن الحسن لا يُسْبَتون على البناء للمفعول اي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بان
يسبتوا فان قلت اذ يعدون واذ تاتيهم ما محلهما من الاعراب قلت اما الاول
فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه قيل واسألهم عن اهل القرية
وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا
بكانت وبحاضرة واما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل
والحيتان السمك واكثر ما يستعمل العرب الحوت في معنى السمكة **شرعا** ظاهرة على
وجه الماء وعن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان
اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرايته يفعل كذا **كذلك
نبلوهم** مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم **واذ قالت** معطوف على اذ يعدون
وحكمه حكمه في الاعراب **امة منهم** جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا
الصعب والذلول في موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم ومطهر الارض منهم **او معذبهم عذابا
شديدا** لتمادیهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم **قالوا
معذرة الى ربكم** اي موعظتنا ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر
الى بعض التفريط **ولعلهم يتقون** ولطمعنا في ان ينتفعوا بعض الانتفاع وقرئ معذرة
بالنصب اي وعظناهم معذرة الى ربكم او اعتذرنا معذرة **فلما نسوا** يعني اهل القرية
فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه **انجينا الذين ينهون عن السوء
واخذنا الظالمين** الراكبين المنكر فان قلت الامة الذين قالوا لم تعظون
من اي الفريقين هم امن فريق الناجين ام المعذبين قلت من فريق الناجين لانهم
من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث
لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي وان
النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث الا
ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب
لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهي بك واما
الاخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان ياسهم لم يستحكم ياس الاولين ولم يخبروهم

كما استحكم

18

كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله رسوله في قوله
فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم
تعظون منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس قال ليت شعري
ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك
الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم
فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة
وهم الذين اخذوا الحيتان وروي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو
يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا
بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها المخاض لا يرى
الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم
ابليس لعنه الله فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا
تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتاخذونها يوم
الاحد واخذ منهم رجل حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم
شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى
الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب
لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار
اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون
قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا
القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح
الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس شانا
فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود
انسباءها من الانس والانس لا يعرفون انسباءهم من القرود فجعل القرد ياتي
نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول براسه بلى وقيل صار الشباب
قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها
اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه
اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر
بئيس شديد يقال بؤس يبؤس باسا اذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئيس على

قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبَيئِس على فَيْعِل بكسر الهمزة وفتحها وبَيِّس بوزن رَيِّس
على قلب همزة بَيْئِس ياء وادغام الياء فيها وبَيْس على تخفيف بَيِّس كهَيْن في هَيِّن وبائس على فاعل
فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم
كونوا قردة عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون
والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير
لقوله فلما نسوا والعذاب البيس هو المسخ تأذن ربك عزم ربك وهو تفعّل من الايذان
وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويوذنها بفعله واجري مجرى
فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن
والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء
العذاب فكانوا يودون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها
عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى اخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله تعالى
بعثنا عليهم عبادا لنا اولي باس شديد وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها فلا يكاد
تخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين امنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم دون
ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة فان قلت ما
محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون
عن الصلاح ونحوه وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام
وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم ينتهون فينيبون فخلف
من بعدهم من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله ورثوا الكتاب
التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي
والتحليل والتحريم ولا يعملون بها ياخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشي
الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير والادنى
اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها
وقلتها والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشا في الاحكام وعلى تحريف الكلم
للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يواخذنا الله بما اخذنا والفعل
سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ الذي هو مصدر ياخذون
وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون
عايدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر

لا غفران له الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التورية من ارتكب ذنبا عظيما
فانه لا يغفر له الا بالتوبة ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران
الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه
الله ياتي على الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا لم نشرك بالله شيا
كل امرهم الى الطمع خيارهم فيه المداهنة فهولا من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم
الله وتلا الاية والدار الاخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون
الرشا ومحارم الله وقرئ ورثوا الكتاب والا تقولوا بالتا وادارسوا بمعنى
تدارسوا وافلا تعقلون بالتا واليا فان قلت ما موقع قوله الا تقولوا على
الله الا الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب
الميثاق المذكور في الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن
ميثاق الكتاب وافترا على الله وتقول عليه على الله ما ليس بحق وان فسر
ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان ان لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا تقولوا
ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم لا يقولوا على
الله الا الحق فان قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على الم يوخذ
عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين
يمسكون بالكتاب فيه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا بالابتدا وخبره انا لا
نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب
والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا والثاني ان يكون مجرورا
عطفا على الذين يتقون ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا وقرئ تمسكون بالتشديد
وينصره قراءة ابي والذين مسكوا بالكتاب فان قلت التمسك بالكتاب يشتمل
على كل عبادة ومنها اقامة الصلوة فكيف افردت قلت اظهارا لمزية الصلوة
لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان وقرا ابن مسعود والذين استمسكوا
بالكتاب واذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم
الطور ومنه نتق السقا اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما اظلك
من سقيفة او سحاب وقرئ بالطا من اطل عليه اذا اشرف وظنوا انه واقع
بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لغلظها

ورفع الله الطور على رؤسهم بقدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ عليه التورية الا اهتز وانغض لها رأسه خذوا ما اتيناكم على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما اتيناكم او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه او واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز ان يراد خذوا ما اتيناكم من الاية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة والانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا من ظهورهم بدل من بني ادم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا بعد نسل واشهدهم على انفسهم وقوله الست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم وكأنهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله

اذا قالت الانساع للبطن الحق ... قالت له ريح الصبا قرقار

ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى ان تقولوا مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او كراهة ان تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالاباء كما لا عذر لابائهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم فان قلت بنو ادم وذرياتهم

من هم قلت عنى بني ادم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلافهم المقتدين بابائهم والدليل على انها في المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل والدليل على انها في اليهود الايات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها وهي على نظيرها واتلوها وذلك قوله واسألهم عن القرية واذ قالت امة منهم واذ تأذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كان اباؤنا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الايات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذرياتهم على التوحيد وان يقولوا بالياء واتل عليهم على اليهود نبأ الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الايات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له او فاتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى فتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الايات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها وقيل مال الى السفالة فان قلت كيف علق رفعه بمشيئة الله ولم يعلقه بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل بالايات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الايات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ فمثله كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها

ولكنه اخلد الى الارض حططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع حططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته على حاله لهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعد ما قرأوا نعت رسول الله في التوراة وذكروا القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص القصص على بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم اي مثل القوم او ساء اصحاب مثلا القوم وقرئ الجحدري ساء مثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم تتعدها الى غيرها من يهد الله فهو المهتدي حمل على اللفظ ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون حمل على المعنى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وانه لا يأتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر واني لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الامور ما خلق فلان الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله مع علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يتأتى منهم كانهم خلقوا للنار اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام عن الفقه والاعتبار والتدبر اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة

وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا نخي او ان يأبوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ويجوز ان يراد ولله الاوصاف الحسنى وهو الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في اوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فاخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله وممن خلقنا امة يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة قال الاعشى

فلو كنت في جب ثمانين قامة ... ورقيت اسباب السماء بسلم

ليستدرجنك القول حتى تهره ... وتعلم اني عنكم غير مفحم

ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم في اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه واملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين ان كيدي متين سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان

وفي الحقيقة خذلان {ما بصاحبهم} محمد صلى الله عليه وسلم {من جنة} من جنون وكانوا
يقولون شاعر مجنون وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم
فخذا فخذا يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات تهوت الى الصبح
{او لم ينظروا} نظر استدلال {في ملكوت السموات والارض} فيما يدلان عليه من عظم
الملك والملكوت الملك العظيم {وما خلق الله من شيء} وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء
من اجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف {وان عسى} ان مخففة من الثقيلة والاصل
انه عسى على ان الضمير ضمير الشان والمعنى او لم ينظروا في ان الشان والحديث
عسى {ان يكون قد اقترب اجلهم} ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعون الى النظر وطلب
الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل وحلول العقاب ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب
الساعة ويكون من كان التي اسمها ضمير الشان فان قلت بم يتعلق قوله {فباي حديث بعده
يؤمنون} قلت بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد
اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقران قبل الموت وماذا ينتظرون بعد وضوح
الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا قرئ {ويذرهم} بالياء والنون
والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه
قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم {يسالونك} قيل ان قوما من اليهود قالوا
يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم
ان الله تعالى قد استاثر بعلمها وقيل السائلون قريش {والساعة} من الاسماء الغالبة
كالنجم للثريا وتسميتها بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس
لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق {ايان} بمعنى متى
وقيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت واي فعل من اويت اليه
لان البعض اوٍ الى الكل متساند اليه قاله ابن جني وابى ان يكون من اين لانه زمان
واين مكان وقرأ السلمي ايان بكسر الهمزة {مرساها} ارساؤها او وقت ارسائها اي اثباتها
واقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارست السفينة
والمرسى الانجر الذي ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات
والارض والمعنى متى يرسيها الله {انما علمها} اي علم وقت ارسائها عنده استاثر
به لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل لكاد يخفيها من نفسه ليكون
ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت

الموت

الموت لذلك {لا يجليها لوقتها الا هو} اي لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء
علمها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد
من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها {ثقلت في السموات والارض}
اي كل من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شان الساعة ويتمنى ان يتجلى له علمها
وشق عليه خفاؤها وثقل او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها
واهوالها او لان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها {الا بغتة} الا فجاة على غفلة
منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه
والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه
{كانك حفي عنها} كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ
في المسالة عن الشيء والتفتيش عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه
المبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استئصاله واحفى في المسالة
اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها
السؤال حتى علمت وقرئ ابن مسعود كانك حفي بها اي عالم بها بليغ في العلم
بها وقيل عنها متعلق بيسالونك اي يسالونك عنها كانك حفي اي عالم بها
وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسالونك
عنها كانك حفي تتحفى بهم فتخصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم
ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله [علمها] واخبارك به لكنت تبلغه القريب والبعيد
من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وقيل كانك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره
يعني انك تكره السؤال عنها لانها من علم الغيب الذي استاثر الله به ولم يؤته
احدا من خلقه فان قلت لم كرر يسالونك و{انما علمها عند الله} قلت للتاكيد
ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في
كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة {ولكن
اكثر الناس لا يعلمون} انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها {قل لا املك لنفسي}
هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا
املك لنفسي اجتلاب نفع ولا جلب [دفع] ضرر كالمماليك والعبيد {الا ما شاء} ربي ومالكي
من النفع لي والدفع عني {ولو كنت اعلم الغيب} لكانت حالي على خلاف ما هو عليه
من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء

مبهما ولو كنت غالبا مرة ومغلوبا أخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات
ومصيبا ومخطئا في التدابير إن أنا إلا عبد أرسلت نذيرا وبشيرا وما من شأني أن
أعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز أن يتعلق بالبشير والنذير جميعا لأن النذارة
والبشارة إنما تنفعان فيهم أو يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا
أي إلا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون من نفس واحدة وهي نفس آدم
وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه أو من
جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ليسكن إليها ليطمئن إليها ويميل ولا
ينفر لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس وإذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة
أبلغ كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وذكر ليسكن
بعد ما أنث في قوله واحدة ومنها زوجها ذهابا إلى المعنى ليناسب
أن المراد بها آدم ولأن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشاها فكان التذكير
أحسن طباقا فلما تغشاها والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والإتيان حملت
حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذى
ولم يستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن يقول في ولدها ما كان أخفه علي ولا أكربه
حين حملته فمرت به فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق
وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرئ
فمرت بالتخفيف فاستمرت به وقرئ فمارت من المور وهو المجيء والذهاب وقرئ فمارت
من المرية كقوله أفتمارونه وأفتمرونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت
به فلما أثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك أقربت وقرئ أثقلت على البناء للمفعول
أي أثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذي هو الحقيق
بأن يدعى ويلتجأ إليه فقالا لئن آتيتنا صالحا ولدا صالحا سويا قد
صلح بدنه وقيل ولدا ذكرا لأن الذكورة من الصلاح والجودة
والضمير في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما آتاهما ما طلباه
من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء أي جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف
وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك فيما آتاهما أي آتى أولادهما وقد دل على ذلك
بقوله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك
ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس

وما أشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو
أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله وهم آل قصي ألا ترى
إلى قوله في قصة أم معبد ●
فيال قصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يبارى وسؤدد ● ويراد هو
الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها
فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا
أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير
في يشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا إشكال
فيه وقرئ شركا أي ذوي شرك وهم الشركاء أو أحدثا لله إشراكا في الولد أجريت
الأصنام مجرى أولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم
إياها آلهة والمعنى أيشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون
لأن الله خالقهم أو لا يقدر على اختلاق شيء لأنه جماد وهم يخلقون لأن عبدتهم
يختلقونهم فهم أعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون
فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون
عليهم وإن تدعوهم وإن تدعوا هذه الأصنام إلى الهدى أي إلى ما هو هدى
ورشاد أو إلى أن يهدوكم والمعنى وإن تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير
والهدى لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه
قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين سواء عليكم أدعوتموهم أم صمتم
في دعائهم في أنه لا فلاح معهم فإن قلت هلا قيل أم صمتم ولم وضعت
الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر دعوا الله
دون أصنامهم كقوله وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه وكانت حالهم
المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل إن دعوتموهم لم تفترق الحال بين
إحداثكم دعاءهم وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم إن الذين تدعون
من دون الله أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد أمثالكم وقوله
عباد أمثالكم استهزاء بهم أي قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء فإن ثبت
ذلك فهم عباد أمثالكم لا تفاضل بينكم ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم فقال
ألهم أرجل يمشون بها وقيل عباد أمثالكم مملوكون أمثالكم وقرئ تعدون من حيز

ان الذين تدعون من دون الله عباداً امثالكم مخففة ونصب عباداً
امثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عباداً امثالكم على اعمال ان النافية
عمل ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعاً انتم
وشركاؤكم فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم ولا نقول هذا الا واثق بعصمة الله
وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود ان نقول الا
اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم
لا تنظرون ان وليي الله اي ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب اي الذي
اوحى الي كتابه واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته ان يتولى نصر الصالحين
من عباده وانبيائه ولا يخذلهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم
صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون
وهم لا يدركون المرئي العفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم
وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق
عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا قال
خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما
نزلت امر ان ياخذهم بها طوعاً او كرهاً وامر بالعرف المعروف والجميل من الافعال
واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على
ما يسوؤك منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل فقال لا ادري حتى اسأل ثم
رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القرآن
آية اجمع لمكارم الاخلاق منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما ينخسنك منه
نخس بان يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ
والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ
نازغاً كما قيل جد جده وروي انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان
اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي الله عنه ان لي شيطاناً يعتريني طيف من الشيطان
لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفاً قال

اني الم بك

اني الم بك الخيال يطيف ... او هو مخفف طيّف فيعل من طاف يطيف
كليّن او من طاف يطوف كهيّن وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين ايضاً وهذا
تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان
المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته تذكروا
ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه
انفسهم واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم في
الغي اي يكونون مدداً لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم
بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله
واخوانهم يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها ... في ان الخبر
جار على غير ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق
به الى الجاهلين فيكون الخبر جارياً على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة
الذين اتقوا فان قلت لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد قلت المراد
به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي
جمعه كقولك اجتمعه او جبى اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت اليه العروس
فاجتلاها والمعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالاً من عند نفسك لانهم
كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة
قل انما اتبع ما يوحى الي ولست بمفتعل للآيات او لست بمقترح لها هذا بصائر
هذا القرآن بصائر من ربكم اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى او هو
بمنزلة بصائر القلوب واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا ظاهره وجوب
الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة وقيل كانوا
يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صارت سنة في غير الصلاة ان ينصت القوم اذا
كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القرآن
عند نزوله فاستمعوا له وقيل معناه اسمعوا له واعملوا بما فيه ولا تجاوزوه
واذكر ربك في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح
والتهليل وغير ذلك تضرعاً وخيفة متضرعاً وخائفاً ودون الجهر ومتكلماً كلاماً
دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو
والآصال لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات

العدوة وهي الغدوات وقرئ والإيصال من آصل إذا دخل في الأصيل كأقصر وأعتم
وهو مطابق للغدو والآصال لفضل هذين الوقتين أو أراد الدوام ومعنى بالغدو بأوقات
الغدو وهي الغدوات وقرئ والإيصال مصدر آصل إذا دخل في الأصيل كأقصر وأعتم
وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه إن الذين
عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفى والقرب من رحمة الله
وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويخصونه بالعبادة لا يشركون
به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

سورة الأنفال مدنية وهي ست وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم النفل
الغنيمة لأنها من فضل الله وعطائه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل
والنفل ما ينفله الغازي أي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو أن يقول الإمام
تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه أو من سرية ما أصبتم فهو لكم أو
فلكم نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الإمام الوفاء بما وعد منه وعن الشافعي
في أحد قوليه لا يلزمه ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها
فسألوا رسول الله كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها أللمهاجرين أم للأنصار أم لهم
جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء
ليس لأحد حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم أن ينفله فتسارع شبانهم
حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا
فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات
كنا ردءا لكم وفئة تنحازون إليها إن انهزمتم وقالوا لرسول الله المغنم قليل
والناس كثير وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت وعن سعد
بن أبي وقاص قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه
فأعجبني فجئت به إلى رسول الله فقلت إن الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا
السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه إلا
الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلا حتى جاءني رسول الله وقد أنزلت
سورة الأنفال فقال يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي
فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل

وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء
وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين وقرئ يسلونك
يسلونك عن الأنفال بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام وقرئ ابن
مسعود يسألونك الأنفال أي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الأنفال فإن قلت ما معنى
الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الأنفال لله والرسول قلت معناه أن حكمها مختص
بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها مفوضا إلى رأي أحد والمراد أن الذي اقتضته حكمة
الله وأمر به رسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله
فيها وليس الأمر في قسمتها مفوضا إلى رأي أحد والمراد أن الذي اقتضته حكمة الله
وأمر به رسوله أن يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند
الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فإنهم إن فعلوا لم يؤمن
أن يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم
وكونوا متحدين متآخين في الله وأصلحوا ذات بينكم وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم
الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الإصلاح بينهم أن دعاهم وقال اقسموا
غنائمكم بالعدل فقالوا لقد أكلنا وأنفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض فإن قلت
ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال حتى تكون
أحوال ألفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت
الأحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا إنائك يريدون ما
في الإناء من الشراب وقد جعل التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله
من لوازم الإيمان وموجباته ليعلمهم أن كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها
ومعنى قوله إن كنتم مؤمنين إن كنتم كاملي الإيمان واللام في قوله إنما المؤمنون
إشارة إليهم أي إنما الكاملو الإيمان الذين من صفتهم كذا وكذا بدليل قوله أولئك هم حقا
وجلت قلوبهم فزعت وعن أم الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة أما
تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فإن الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره
استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا
الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله لأن ذلك ذكر رحمته
ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فيقال له اتق
الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله

تُلِيَتْ عليهم آياته زادتهم إيمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لأن تظاهر الأدلة أقوى
للمدلول عليه وأثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن أبي هريرة الإيمان بضع
وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق
والحياء شعبة من الإيمان وعن عمر بن عبد العزيز إن للإيمان سننا وفرائض وشرائع فمن
استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان وعلى ربهم يتوكلون ولا
يفوضون أمورهم إلى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون إلا إياه جمع بين أعمال القلوب من
الخشية والإخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف
أي أولئك هم المؤمنون إيمانا حقا أو هو مصدر مؤكد للجملة التي هي أولئك هم المؤمنون
كقولك هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا وعن الحسن أن رجلا سأله أمؤمن أنت قال
الإيمان إيمانان فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وإن كنت تسألني عن قوله إنما المؤمنون فوالله
لا أدري أمنهم أنا أم لا وعن الثوري من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة
فقد آمن بنصف الآية وهذا إلزام منه يعني كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا
يقطع بأنه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الإيمان وكان أبو حنيفة ممن لا يستثني فيه
وحكي عنه أنه قال لقتادة لم تستثني في إيمانك قال اتباعا لإبراهيم في قوله والذي أطمع
أن يغفر لي خطيئتي فقال له هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى درجات
شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم
منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما أخرجك ربك فيه وجهان
أحدهما أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك
يعني أن حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني
أن ينتصب على أنه صفة لمصدر الفعل المقدر في قوله الأنفال لله والرسول أي الأنفال
استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك
وهم كارهون من بيتك يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لأنها مهاجره ومسكنه
فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق أي إخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب
الذي لا محيد عنه وإن فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال أي أخرجك في حال
كراهتهم وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا
منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاخبر

فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة
خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول
عيركم أموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس بن عبد
المطلب رؤيا فقالت لأخيها إني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من
الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس
فقال أبو جهل ما ترضى رجالهم أن يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم
النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له إن العير أخذت طريق الساحل
ونجت فارجع بالناس إلى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب
الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وأن محمدا
لم يصب العير وإنا قد أعضضناه فمضى بهم إلى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه
لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين
إما العير وإما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه وقال ما تقولون
إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب إليكم أم النفير قالوا بل
العير أحب إلينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه ثم ردد عليهم
فقال إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول
الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر
وعمر رضي الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله
لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو يا
رسول الله امض لما أمرك الله فإنا معك حيث ما أحببت لا نقول لك كما قال بنو
إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك
فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله ثم قال أشيروا
علي أيها الناس وهو يريد الأنصار لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة إنا برآء
من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع
منه أبناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى
عليهم نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا
يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق
وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت

والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد
وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقا ولعل الله يريك منا ما تقر
به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة
الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطايفتين والله لكاني الان انظر الى مصارع القوم وروى
انه قيل لرسول الله حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شي فناداه العباس وهو في وثاقه
لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطايفتين وقد اعطاك
ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المومنين والحق الذي جادلوا فيه
رسول الله تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله بانهم
ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب
وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر
والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد
لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة
وروى انه ما كان فيهم الا فارسان اذ منصوب باضمار اذكر وانها لكم بدل من احدى
الطايفتين والطايفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها
الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة
مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شايك
السلاح اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطايفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا
تريدون الطايفة الاخرى ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته باياته المنزلة في
محاربة ذات الشوكة وبما امر الملايكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم
في قليب بدر والدابر الاخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطاير وقطع
الدابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم تريدون الفايدة العاجلة وسفساف الامور
وان لا تلقوا ما يرزوكم في ابدانكم واحوالكم والله عز وعلا يريد معالي الامور وما يرجع
الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين
ولذلك اختار لكم الطايفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم
واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا يعارض ادناه العير وما فيها وقرى بكلمته على التوحيد
فان قلت بم تعلق قوله ليحق الحق قلت بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل
الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه فان قلت

رضي الله عن سعد ابن معاذ وهو الذي اهتز لموته عرش الرحمن وهو من الانصار

اليس هذا تكريرا قلت لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول تمييز بين الارادتين
وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه
ما نصرهم ولا خذل اوليك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر
المحذوف متاخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق
بيقطع فان قلت بم يتعلق اذ تستغيثون ربكم قلت هو بدل من اذ يعدكم وقيل
بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا
يدعون الله يقولون اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر
رضي الله عنه ان رسول الله نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثماية فا
ستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه
العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداوه فاخذه ابو بكر رضي
الله عنه فالقاه على منكبه والتزمه من ورايه وقال يا رسول الله كفاك
مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف
الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن ابي عمرو انه قرى اني ممدكم بالكسر على
ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول فان
قلت هل قاتلت الملايكة يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبريل في
خمسماية ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكاييل في خمسماية على الميسرة وفيها
علي بن ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمايم بيض قد ارخوا اذنابها
بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم
حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع
ولا نرى شخصا قال من الملايكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروى ان
رجلا من المسلمين بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة
بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري
رسول الله فقال صدقت ذاك من مدد السما وعن ابي داود المازني
تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل
اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المومنين
والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة
من جناحه مداين قوم لوط واهلك قوم ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة

وقرئ **مُرْدِفين** بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه إذا تبعه ومنه قوله تعالى
ردف لكم بمعنى ردفكم وأردفته إياه إذا أتبعته ويقال
أردفته كقولك أتبعته إذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من أن يكون بمعنى متبعين
أو متبعين فإن كان بمعنى متبعين فلا يخلو من أن يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا أو متبعين بعضهم لبعض أو بمعنى متبعين إياهم المؤمنين أي يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم أو متبعين
لبعضهم يتبعونهم ويتقدمونهم بين أيديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على أعينهم وحفظهم أو بمعنى
متبعين أنفسهم ملئكة آخرين أو متبعين غيرهم من الملئكة منزلين لجنسه الا وما للملئكة
مسومين ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين أو متبعين وقرئ مُرِدِّفين بكسر الراء
وضمها وتشديد الدال وأصله مرتدفين أي مترادفين أو متبعين من ارتدفه فأدغمت
تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الأصل أو على إتباع الدال
وبالضم على إتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملئكة على الجمع ليوافق ما في سورة
آل عمران فإن قلت فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بإرداف
الملئكة ملئكة آخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم قلت بأن المراد بالألف من قاتل
منهم أو الوجوه منهم الذين من سواهم أتباع لهم فإن قلت إلام يرجع الضمير في
وما جعله قلت إلى قوله أني ممدكم لأنه مفعول المعنى فاستجاب لكم بإمدادكم فإن
قلت فيمن قرأ بالكسر قلت إلى قوله إني ممدكم لأنه مفعول القول المضمر فهو
في معنى القول ويجوز أن يرجع إلى الإمداد الذي يدل عليه ممدكم **إلا بشرى**
إلا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني إسرائيل يعني أنكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم
فكان الإمداد بالملئكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم **وما النصر**
إلا من عند الله يريد ولا تحسبوا النصر من الملئكة فإن الناصر هو الله لكم وللملئكة
أو وما النصر بالملئكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله والمنصور من نصره الله
إذ يغشاكم بدل ثان من إذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو بما في من عند الله من معنى الفعل
أو بما جعله الله أو بإضمار اذكر وقرئ يُغْشِيكم بالتخفيف والتشديد ونصب
النعاس والضمير لله عز وجل وأمنة مفعول له فإن قلت أما وجب أن يكون فاعل
الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم **النعاس**
تنعسون انتصب **أمنة** على أن النعاس والأمنة لهم والمعنى إذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا
أي لأمنكم و**منه** صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من الله فإن قلت فما معنى هذه القراءة
قلت يجوز أن تكون الأمنة بمعنى الإيمان أي ينعسكم إيمانا منه أو يغشيكم النعاس

فتنعسون

فتنعسون أمنا فإن قلت هل يجوز أن ينتصب على أن الأمنة للنعاس الذي هو
فاعل يغشاكم أي يغشاكم النعاس لأمنه على أن إسناد الأمن إلى النعاس إسناد مجازي
وهو لأصحاب النعاس على الحقيقة أو على أنه أنامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل
ذلك الوقت المخوف أن لا يقدم على غشيانكم وإنما غشيكم أمنة حاصلة له من الله
لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل قلت لا تبعد فصاحة القرآن
عن احتماله وله فيه نظائر وقد ألم به من قال

* يهاب النوم أن يغشى عيونا * تهابك فهو نفار شرود *

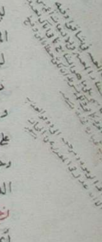
وقرئ أمْنة بسكون الميم ونظير أمن أمنة حيي حياة ونحو أمن أمنة رحم رحمة والمعنى أن ما كان بهم
من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وأمنهم رقدوا وعن ابن عباس
النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان **وينزل** قرئ
بالتخفيف والتثقيل وقرأ الشعبي **ما ليطهركم به** قال ابن جني ما موصولة وصلتها
حرف الجر بما جره فكأنه قال ما للطهور **رجز الشيطان** وسوسته إليهم وتخويفه
إياهم من العطش وقيل الجنابة لأنها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك أن
إبليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء ونزل المؤمنون في كثيب أعفر
تسوخ فيه الأقدام على غير ماء فاحتلم أكثرهم فقال لهم أنتم يا أصحاب محمد
تزعمون أنكم على الحق وإنكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم
ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش
فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم إلى
مكة فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا فأنزل الله المطر فمطروا ليلا حتى
جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الحياض على
عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي
كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت وسوسة الشيطان
وطابت النفوس والضمير في **به** للماء ويجوز أن يكون للربط لأن القلب إذا تمكن فيه
الصبر والجرأة ثبتت القدم في مواطن القتال **إذ يوحي** يجوز أن يكون بدلا ثالثا
من إذ يعدكم وأن ينتصب بيثبت **أني معكم** مفعول يوحي وقرئ إني بالكسر على
إرادة القول أو على إجراء يوحي مجرى يقول كقوله أني ممدكم والمعنى أني معينكم على
التثبيت فثبتوهم وقوله **سألقي** فاضربوا يجوز أن يكون تفسيرا لقوله أني معكم

فثبتوا ولا تعوقه اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهولاء لا يعبدونه وقوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب بالتثقيل **فوق الاعناق** اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للروس وقيل اراد الروس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام

واضرب هامة البطل المشيح ... عشيته

وهو في جاوابا سلع غضبا اصاب شوا الراس فانفلقا

والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقي الى قوله **كل بنان** عقيب قوله فثبتوا الذين امنوا تلقينا للملائكة ما هو يثبتونهم به كانه قيل قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب او كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سالقي في قلوب فالضاربون على هذا هم المومنون **ذلك** اشارة الى ما اصابهم من القتل والضرب والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتدا **بانهم** خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وشلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم اي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل احد منكم وفي **ذلكم** للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم **فذوقوه** ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه **وان للكافرين** عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الاجل الذي لكم في الاخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرئ الحسن وان للكافرين بالكسر **زحفا** حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع



زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من المومنين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من المومنين كانهم اشعروا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله **ومن يولهم يومئذ** امارة عليه **الا متحرفا لقتال** هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها **او متحيزا** او منحازا **الى فئة** اي جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فيتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المومنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر انا فيتك وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الفرار من الزحف من اكبر الكباير فان قلت بم انتصب الا متحرفا قلت على الحال والا لغو وعلا الاستثنا من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرا الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القايل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المومنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم **فلم تقتلوهم** والفاء جواب شرط محذوف وتقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم **ولكن الله قتلهم** لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع **وما رميت** انت يا محمد **اذ رميت ولكن الله رمى** يعني ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا تطيقه البشر فعل الله عز وعلا فكان الله

هو فاعل الرميه على الحقيقه وكانها لم يوجد من الرسول اصلا وقرئ ولكن
الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المؤمنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء
جميلا قال زهير • فابلاهما خير البلاء الذي يبلو •
والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع
لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم اشاره الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان
الله موهن معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين
وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافه وعلى الاصل الذي هو التنوين
والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكه وذلك انهم حين ارادوا
ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبه وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا
للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وروي
انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وروي ان
ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه
وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا للكافرين يعني وان تنتهوا
عن عداوة رسول الله فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم
وان الله قرئ بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه
اوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء
للفصل ولا تولوا قرئ بطرح احدى التاءين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله
لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان
طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان
رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في
فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعه اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله
وانتم تسمعونه او ولا تولوا عن رسول الله ولا تعرضوا عنه وانتم تسمعون اي تصدقون
لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفره ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي
ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى
انكم تصدقون بالقران والنبوه فاذا توليتم عن طاعه الرسول في بعض الامور من
قسمه الغنايم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن
ثم قال ان شر الدواب اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهايم

الذين

الذين هم صم بكم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهايم ثم جعلهم شرها ولو علم
الله فيهم هؤلاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع
المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك
منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل
هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا
يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب
اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب اذا دعاكم وحد الضمير ايضا
كما وحده فيما قبله لان استجابه رسول الله كاستجابته وانما يذكر احدهما مع
الاخر للتوكيد والمراد بالاستجابه الطاعه والامتثال وبالدعوه البعث والتحريض
وروى ابو هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في
الصلاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر
فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان
احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله والثاني ان دعاءه كان لامر لم يحتمل
التاخير واذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلاته لما يحييكم من علوم الديانات
والشرايع لان العلم حياه كما ان الجهل موت ولبعضهم •
• لا تعجبن الجهول حلته • فذاك ميت وثوبه كفن • وقيل لمجاهده الكفار
لانهم لو تركوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حيوه وقيل
للشهاده لقوله احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته
فتفوته الفرصه التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجه ادوايه وعلله
ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصه واخلصوا قلوبكم لطاعه الله
ورسوله واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامه القلوب واخلاص
الطاعه وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزايمه ويغير نياته
ومقاصده ويبدله بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا
وما اشبه ذلك مما هو جاير على الله عز وجل فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب
من افعال القلوب فلا والمجبره على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه
وبين الكفر اذا امن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه انه مطلع
على كل ما يخطر المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمايره فكانه بينه وبين قلبه وقرئ

[illegible] وجهه انه قد حذف [illegible] على [illegible] كالحب تروى
[illegible] فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل
افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا
بعد امر او صفة لفتنة فاذا كان جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة
ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كان
نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب
او اثر الذنب من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل
واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن الذين ونظيره قوله ٥ حتى اذا جن الظلام واختلط ٥
جاوا بمذق هل رايت الذئب قط ٥ اي بمذق مقول فيه هذا القول لانه سمار
فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود لتصيبن
على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم
الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من اهلها واذا
نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر واقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير
كان يساير النبي صلى الله عليه يوما اذ اقبل علي عليه السلام فضحك اليه الزبير فقال
رسول الله صلى الله عليه كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه
كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان قلت
كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة في جواب الامر قلت لان فيه معنى النهي
اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن
ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله والذين ظلموا منكم قلت التبعيض على
الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان
الظلم اقبح منكم من سائر الناس اذ انتم نصبه على انه مفعول به مذكور لا ظرف
اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين في الارض ارض مكة قبل الهجرة
يستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا اعداء منافين
مضادين فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة
يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنايم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه
النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم
جلدا وابينهم ضلالا يوكلون ولا ياكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق

والعنام

والغنايم وجعلهم ملوكا معنى الخون النقص كما ان معنى الوفا التمام ومنه تخونه اذا
تنقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفا لانك اذا خنت الرجل في شي فقد ادخلت النقصان
فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع
به فكانه لم يف له ومنه قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه
ورسوله بان لا تستنوا به واماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك
ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن
سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروي ان نبي الله صلى الله عليه
وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم
بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله الا
ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن المنذر
وكان مناصحا لهم لان ماله وعياله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل
ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى
علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد
وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة
ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال
والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام
توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام
يجزيك الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي
الله عنه وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرايضه وحدوده فان قلت وتخونوا
جزم هو ام نصب قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا
باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقرا مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد جعل
الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة
من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان
تنوطوا بطلبه وبما يؤدي اليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال
وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله المال والبنون الاية وقيل
هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده فرقانا نصرا لانه يفرق
بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى

ينظر نزول [illegible] عثمان [illegible] نزول الاية

يوم الفرقان او نبأنا وظهوراً يشهر امركم ويثبت صيتكم وآثاركم في اقطار الارض
من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجاً من الشبهات وتوفيقاً
وشرحاً للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلاً ومزية في الدنيا
والاخرة لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من
مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر واذ يمكرون
بك وذلك ان قريشاً لما اسلمت الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في
دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد
ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني
رأياً ونصحاً فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا
بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال
ابليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو
رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم
فقال بئس الرأي يفسد قوماً غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا
من كل بطن غلاماً وتعطوه سيفاً صارماً فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه
في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه
واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رأياً فتفرقوا على رأي ابي
جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان لا يبيت في
مضجعه واذن له في الهجرة فامر علياً رضي الله عنه فنام في مضجعه وقال له اتشح
ببردي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه
فابصروا علياً فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ليثبتوك ليحبسوك
او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به
ولا براح وفلان مثبت وجعاً وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرئ ليبيتوك
من البيات وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق ويمكرون
ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفي الله ما اعد لهم حتى يأتيهم بغتة والله خير
الماكرين اذ مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تأثيراً او لانه لا ينزل الا ما هو حق
وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب ولو نشاء لقلنا مثل هذا نفاجة منهم وصلف
تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان

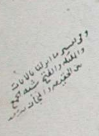
كانوا مستطيعين ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز حتى تقودوا بالقدح
المعلى دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا في باب البيان خاصة وانهم
واجد يتعللون بامتناع المشيئة ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على ان يقهروا
رسول الله وتهالكهم على ان يغمروه وقيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبراً حين
سمع اقتصاص الله احاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد
فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذاك وانه من جملة
تلك الاساطير وهو القائل وان كان هذا هو الحق وهذا اسلوب من الجحود بليغ
يعني ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالتعجيل كما فعلت باصحاب الفيل
او بعذاب آخر ومراده نفي كونه حقاً واذا انتفى كونه حقاً لم يستوجب منكره
عذاباً فكان تعليق العذاب بكونه حقاً مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال
في قولك ان كان الباطل حقاً فامطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم لمن يقول على سبيل
التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرأ الاعمش هو الحق بالرفع على انه مبتدأ عن فصل
وهي في القراءة الاولى فصل ويقال امطرت السماء كقولك انجمت واسبلت ومطرت
كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار في معنى العذاب فان قلت ما فائدة قوله
من السماء والامطار لا يكون الا منها قلت كأنه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل
وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما يقول صب عليه مسرودة
من حديد تريد درعاً بعذاب اليم اي بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعني ان
امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع آخر من انواعه وعن معاوية
انه قال لرجل من سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومي
قومك قالوا لرسول الله حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة
ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له اللام لتأكيد النفي والدلالة على ان
تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته ان لا
يعذب قوماً عذاب استئصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون
بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم ان لا يعذبهم
الله وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كأنه قال وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع
الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما

كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون
ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر
وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله من المستضعفين وما لهم الا يعذبهم الله واي
شي لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون
وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية واخراجهم
رسول الله والمومنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشا
وندخل من نشا وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا
ولاة امره وارباره ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح
لان يلي امره انما يستاهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام ولكن
اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد
بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم المكا فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو
اذا صفر ومنه المكا كانه سمي بذلك لكثرة مكايه واصله الصفة نحو الوضاء
والفراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكا والبكاء والتصدية التصفيق تفعلة
من الصدا او من صد يصد اذا ضج ومنه اذا قومك منه يصدون وقرا الاعمش وما كان صلاتهم
بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه فان قلت ما وجه هذا الكلام قلت هو نحو قوله
وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه اداهم سودا او محدرجة سمرا والمعنى
انه وضع القيود والسياط موضع العطا ووضعوا المكا والتصدية موضع الصلاة
وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنسا وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون
فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرا رسول الله في صلاته يخلطون عليه
فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها
الا الكفرة قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر
جزاير وقيل قالوا لكل من كان له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا
ندرك منه ثارنا بما اصيب منا ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر ليوم احد
الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية
اثنان واربعون مثقالا ليصدوا عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن
اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة اي يكون عاقبة
انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون اخر الامر وان

كانت الحرب بينهم وبين المومنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقا كتب الله لاغلبن انا
ورسلي والذين كفروا والكافرون منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن
اسلامه ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المومنين فيجعل
الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا
كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم اولئك اشارة الى الفريق
الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله من
المال الطيب الذي انفقه المسلمون كابي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله
في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الاية واللام
على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة
الى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف قل للذين كفروا من ابي سفيان واصحابه اي قل
لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر
لكم وهي قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما
سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول
الله وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من العداوة وان يعودوا
لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او قد مضت سنة
الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل
معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف لهم من الكفر والمعاصي
وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله
وقالوا الحربي اذا اسلم لم تبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضا حقوق الله
وتبقى عليه حقوق الادميين وبه احتج ابو حنيفة في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضا
العبادات المتروكة ويحبط الردة وقبلها وقيل وان يعودوا بالارتداد وقرئ
يغفر على ان الضمير لله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك
قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده
فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم
وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى
دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزا وان تولوا
ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته
انعامهم

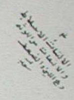
ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فأن لله مبتدأ خبره محذوف
تقديره فحق أو فواجب أن لله خمسه وروى الجعفي عن أبي عمرو فإن لله بالكسر وتقويه
قراءة النخعي فلله خمسه والمشهور آكد وأثبت للإيجاب كأنه قيل فلا بد من ثبات
الخمس فيه ولا سبيل إلى الإخلال به والتفريط فيه من حيث إنه إذا حذف الخبر واحتمل غير
واحد من المقدرات كقوله ثابت واجب حق لازم وما أشبه ذلك كان أقوى لإيجابه
من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون فإن قلت كيف قسمة الخمس قلت
عند أبي حنيفة أنها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم لرسول
الله وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه
حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم أنهما قالا لرسول الله
هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت إخواننا
بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام إنهم لم
يفارقونا في جاهلية ولا إسلام إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين
أصابعه وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله فسهمه ساقط
بموته وكذلك سهم ذوي القربى وإنما يعطون لفقرهم فهم أسوة سائر الفقراء ولا
يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وأما عند الشافعي فيقسم على
خمسة أسهم سهم لرسول الله يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة
من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم
للذكر مثل حظ الأنثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن أنس الأمر فيه مفوض
إلى اجتهاد الإمام إن رأى قسمه بين هؤلاء وإن رأى أعطاه بعضهم دون بعض وإن رأى
غيرهم أولى وأهم فغيرهم فإن قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه
قلت يحتمل أن يكون معنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله أحق
أن يرضوه وأن يراد بذكره إيجاب سهم سادس يصرف إلى وجه من وجوه القرب وأن
يراد بقوله فأن لله خمسه أن من حق الخمس أن يكون متقربا به إلى الله لا غير ثم خص
من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكال
فعلى الاحتمال الأول مذهب الإمامين وعلى الثاني ما روي عن أبي العالية أنه يقسم على
ستة أسهم سهم لله تعالى يصرف إلى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة

وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل إن سهم الله لبيت المال وعلى الثالث
مذهب مالك بن أنس وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان على ستة لله وللرسول
سهمان وسهم لأقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر الخمس على ثلاثة وكذلك روي عن عمر
ومن بعده من الخلفاء وروي أن أبا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال
إنما لكم أن يعطى فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من لا خادم له منكم فأما الغني منكم
فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي
رضي الله عنه كذلك قال ليس لنا أن نبني منه قصورا ولا أن نركب منه البراذين
وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي عليه السلام أنه قيل له إن الله تعالى قال واليتامى
والمساكين فقال أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله أنه لولي
الأمر من بعده وعن الكلبي أن الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة
بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة
فإن قلت بم تعلق قوله إن كنتم آمنتم بالله قلت بمحذوف يدل عليه واعلموا
المعنى إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه
أطماعكم واقنعوا بالأخماس الأربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم
المضمن بالعمل والطاعة لأمر الله لأن العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر وما
أنزلنا معطوف على بالله أي إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عُبُدنا كقوله
وعُبُد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من



المسلمين والكافرين والمراد ما نزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ والله
على كل شيء قدير يقدر على أن ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما
فعل بكم ذلك اليوم إذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر
والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لأن بينها وبين الكسرة
حاجزا غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تأنيث الأدنى والأقصى فإن
قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت إحداهما بالياء والثانية بالواو قلت
القياس هو قلب الواو ياء كالعليا وأما القصوى فكالقود في مجيئه على الأصل
وقد جاء القصيا إلا أن استعمال القصوى أكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب
وأغيلت مع أغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة
والركب أسفل منكم يعني الركب الأربعين الذين كانوا يقودون العير أسفل

منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدا فان قلت ما فايده هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير اسفل منهم قلت الفايده فيه الاخبار عن الحال الداله على قوه شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبه له وضعف شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوه القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الما وكانت ارضا لا باس بها ولا ما بالعدوه الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقه وكانت العير ورا ظهور العدو مع كثره عددهم فكانت الحمايه دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتله عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيره على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وان لا يتركوا وراهم ما يحدثون به انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من امر وقعه بدر ليقضي امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلا كلمته حين وعد المسلمين احدى الطايفتين مبهمه غير مبينه حتى خرجوا ليا خذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هولا بالعدوه الدنيا وهولا بالعدوه القصوى وراهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان **ولو تواعدتم** انتم واهل مكه وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفا بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له **ليقضي** متعلق بمحذوف اي ليقضي **امرا كان** واجبا ان يفعل وهو نصر اوليايه وقهر اعدايه دبر ذلك وقوله **ليهلك** بدل منه واستعير الهلاك والحيوه للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح **بينه** لا عن مخالجه شبهه حتى لا يبقى له على الله حجه ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعه بدر من الايات الغر المحجله التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرى ليهلك بفتح اللام



نافع والبزي عن ابن كثير وابو بكر عن عاصم

وحيي باظهار التضعيف **لسميع عليم** يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم او لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من امن وثوابه **اذ يريكهم الله** نصبه باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك **في منامك** في رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراه اياهم في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفه المنامه لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الروايه صحيحه فيه عن الحسن وما يلايم علمه بكلام العرب وفصاحته **لفشلتم** لجبنتم وهبتم الاقدام **ولتنازعتم في الامر** وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار **ولكن الله سلم** اي عصم وانعم بالسلامه من الفشل والتنازع والاختلاف **انه عليم بذات الصدور** يعلم ما سيكون فيها من الجراه والجبن والصبر والجزع **واذ يريكموهم** الضميران مفعولان يعني واذ يبصركم اياهم **قليلا** نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مايه فاسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال الفا **ويقللكم في اعينهم** حتى قال قايل منهم انما هم اكله جزور فان قلت الغرض في تقليل الكفار في اعين المومنين ظاهر فما الغرض في تقليل المومنين في اعينهم قلت قد قللهم في اعينهم قبل اللقا ثم كثرهم فيها بعده ليجتروا عليهم قله مبالاه بهم ثم تفجاهم الكثره فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم راي العين لئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الايه البينه من قلتهم اولا وكثرتهم اخرا فان قلت باي طريق يبصرون الكثير قليلا قلت بان يستر الله عنهم بعضه بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعه **اذا لقيتم فئه** اذا حاربتم جماعه من الكفار وترك ان يصفها لان المومنين ما كانوا يلقون الا الكفار **واللقا** اسم للقتال غالب **فاثبتوا** لقتالهم ولا تفروا **واذكروا الله كثيرا** في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم **لعلكم تفلحون** لعلكم تظفرون بمرادكم من النصره والمثوبه

وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبًا وأكثر ما يكون همًّا وأن يكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب أمير المؤمنين في أيام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلًا على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وإن تفاقم الأمر **ولا تنازعوا** قرئ بتشديد التاء **فتفشلوا** منصوب بإضمار أن أو مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على التقدير من قرأ من قرئ **وتذهب ريحكم** بالتاء والنصب وقراءة من قرئ ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره ومنه قوله

أتنظران قليلًا ريث غفلتهم أم تعدوان فإن الريح للعادي

وقيل لم يكن قط نصر إلا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم بأحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه من فشلهم وذهاب ريحهم **كالذين خرجوا من ديارهم** هم أهل مكة حين نفروا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرًا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس بإطعامهم فوافوها فسقوا كأس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله واذكر **إذ زين لهم الشيطان أعمالهم** التي عملوها في معاداة رسول الله ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت الذي بينها وبين بني كنانة من الحرب وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني وكان من أشرافهم في جند من الشياطين معه راية **وقال لا غالب لكم اليوم وإني جار لكم** من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل **نكص** كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث إلى أين

أتخذلنا في هذه الحال يا سراقة فقال **إني أرى ما لا ترون** ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وفي الحديث ما رئي إبليس يومًا أصغر ولا أدحر ولا أغيظ منه يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة إلا ما رئي يوم بدر فإن قلت هلا قيل لا غالبًا لكم كما يقال لا ضاربًا زيدًا عندنا قلت لو كان لكم مفعولًا لغالب بمعنى لا غالب إياكم لكان الأمر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم **إذ يقول المنافقون** بالمدينة **والذين في قلوبهم مرض** يجوز أن يكون من صفة المنافقين وأن يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام وعن الحسن هم المشركون **غر هؤلاء دينهم** يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يتقوون به وينصرون من أجله فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف ثم أجابهم بقوله **ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز** غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي **ولو ترى** ولو عاينت وشاهدت لأن لو ترد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد إن الماضي إلى معنى الاستقبال وإذ نصب على الظرف وقرئ **يتوفى** بالياء والتاء و**الملائكة** رفعها بالفعل و**يضربون** حال منهم ويجوز أن يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد **أدبارهم** أستاههم ولكن الله كريم [illegible] يكني وإنما خصصوهما بالضرب لأن الخزي والنكال في ضربهما أشد وبلغني عن أهل الصين أن عقوبة الزاني عندهم أن يعطى الرجل القوي البطش شيئًا ثقيلًا من حديد لهيئة الطبق فيه زرانيه وله مقبض فيضربه على دبره ضربة واحدة يتفقأ فيحمل في مكانه وقيل يضربون ما أقبل منه وما أدبر **وذوقوا** معطوف على يضربون على إرادة القول ويقولون ذوقوا **عذاب الحريق** أي مقدمة عذاب النار أو وذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار أو ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف أي لرأيت أمرًا فظيعًا منكرًا **ذلك بما قدمت أيديكم** يحتمل أن يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره **وأن الله** عطف عليه أي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن الله **ليس بظلام للعبيد** لأن تعذيب الكفار من العدل كإثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لأجل العبيد ولأن العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب

مثله طلاثا بليغ الظلم متعلقة الكاف في محل الرفع اي داب هؤلاء مثل داب
آل فرعون ودابهم عادتهم وعملهم الذي دابوا فيه اي داوموا عليه وواظبوا وكفروا
تفسير لداب آل فرعون ذلك اشارة الى ما حل بهم يعني ذلك العذاب او الانتقام بسبب
ان الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته ان يغير نعمة عند قوم حتى يغيروا ما بهم من
الحال فان قلت فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم يكن
لهم حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة قلت كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة
تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة
اصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في
اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوء مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال
وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع لما يقول مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون
كداب آل فرعون تكرير للتاكيد وفي قوله بآيات ربهم وكانوا ظالمين زيادة دلالة
على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالكفر والمعاصي الذين كفروا
فهم لا يؤمنون اي اصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة
عاهدهم رسول الله ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا
نسينا واخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف
الى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا اي الذين عاهدتهم من الذين
كفروا جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر
المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من
العار والنار فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق
عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا
يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرا ابن مسعود فشرذ بالذال
المعجمة بمعنى ففرق كانه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر
الملتقط من المعدن لتفرقه وقرا ابو حيوة من خلفهم والمعنى فافعل التشريد من ورائهم
لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء واوقعه فيه لان الوراء جهة
المشرد بهم فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين
القراءتين لعلهم يذكرون لعل المشردين من وراءهم يتعظون واما تخافن من قوم خيانة
معاهد وخيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء

على طريق مستو قصد وذلك ان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا
انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك
خيانة منك ان الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على
استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم على طريق
قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم او العداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ
اليهم معا سبقوا فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون
طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح بمعنى لانهم وكل واحد من المكسورة والمفتوحة
تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون
بالتشديد وقرا ابن محيصن يعجزون بكسر النون وقرئ لا تحسبن الذين كفروا بكسر الباء
وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقرئ حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفاعل الذين كفروا
وقيل فيه اضمار ان سبقوا بحذف ان كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة
ابن مسعود انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في
محل الحال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا
فحذف الضمير وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة
بنيرة وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين من قوة من كل ما يتقوى به
في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا
في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز
ان تسمى بالرباط هو الذي بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال
وقرا الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز ان يكون قوله ومن رباط
الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل وعن ابن سيرين انه
سئل عمن اوصى بثلثه للحصون فقال يشترى به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزى
عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر
ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون تخوفون وعن يعقوب ترهبون بالتشديد وقرا
ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير في به راجع الى ما استطعتم عدو الله وعدوكم
يعني اهل مكة وآخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم اهل
فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها

فرسٍ عتيق وروي ان صهيل الخيل ترهب الجن جنح له واليه اذا مال والسلم تؤنث تانيث نقيضها وهي الحرب قال

السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع

وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس ان الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر فيه على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرئ الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة فان حسبك الله فان محسبك الله قال جرير

اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

والف بين قلوبهم التاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله واتحدوا وانشأوا يرمون عن قوس واحد وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع من كلمتهم واحدث بينهم من التحاب والتوادد واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما يشاء ويصنع فيها ما اراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك ساداتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافر وعادة كل طائفة كانت بهذه المثابة ان تتجنب هذه ما آثرته اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا اعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب نحو قوله حسبك وزيدا درهم ولا يجوز جره لان عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع قال

فحسبك والضحاك سيف مهند

والمعنى كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا او يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الاية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في اسلام عمر وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت حرّض

المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت او ان تسميه حرضا وتقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر وممرضا فيه ليهيجه ويحمله منه ويقال حركه وحرضه وحرشه وحربه بمعنى وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة ماخوذ من الحرص هذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتائيده ثم قال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله بعث حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف وقرئ الفعل المسند الى المائة بالياء والتاء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده قلت للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد يتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين قوي للنبي على التحريف وقرئ اسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقله عن الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي ان رسول الله صلى الله عليه اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب ابن عمه فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس

ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال عليه الصلاة والسلام ان الله ليلين
قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشد قلوب رجال حتى تكون اشد من
الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني
ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا فخير اصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي
انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا
بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس
اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما و
دنانير وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان
لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم
ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل العذاب من السماء
لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي عرض الدنيا
حطامها سمي به لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء والله يريد الاخرة يعني ما
هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ يريد بالياء وقرئ بعضهم الا
يريد الاخرة بجر الاخرة على اضمار المضاف وابقاء الجر على حاله كقوله ●
● ونار توقد بالليل نارا ● ومعناه والله يريد عرض الاخرة على التقابل يعني ثوابها
والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم
الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون لولا كتاب من الله
لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب احدا بخطاء وكان هذا خطاء في
الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم
يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم
وافل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم الغنيمة التي اخذوها وقيل ان اهل
بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم
نهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت
وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم والفاء للتسبب فلا تعدوا على شيء
لم يعهد ابيكم منه فان قلت ما معنى الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف ومعناه

قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم حلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر
اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ذلك فانه مستكم
من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم في ايديكم في
مملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم وقرئ من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية
يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الاخرة
وفي قراءة الاعمش يثبكم خيرا وروي ان العباس رضي الله عنه كان يقول ابدلني الله
خيرا مما اخذ مني ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك
فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا الطعام اهل بدر وخرج بالذهب لذلك ○
وروي ان رسول الله قال للعباس افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث
فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذي دفعته الى
ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني وجهي هذا
فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل فقال العباس وما
يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا
الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها
في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال
العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب
ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروي انه قدم على رسول
الله مال البحرين ثمانون الفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس
ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو
المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما اخذ منكم على البناء للفاعل وان يريدوا خيانتك
نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين ابائهم فقد خانوا الله من قبل
في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم كما رايتم يوم بدر فسيمكن
منهم ان عادوا الى الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء ان الذين هاجروا اي
فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ولرسوله هم المهاجرون والذين اووا هم الى ديارهم
ونصروهم على اعدائهم هم الانصار بعضهم اولياء بعض اي يتولى بعضهم بعضا في الميراث
وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابة حتى نسخ

ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر اي من
توليهم في الميراث ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كانه
بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم
على المشركين الا على قوم منهم بينكم وبينهم عهد فانه لا يجوز لكم نصركم عليهم لانهم لا
يبتدؤون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات
الموالاة بينهم كقوله تعالى في المسلمين اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين
عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب
فان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه اي الا تفعلوا ما امرتكم
به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا للنسبة الاسلامية
على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة
يحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على
الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زايدا وقرئ كثير بالثا اولئك هم المؤمنون
حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل
والانسلاخ من المال لاجل الدين ليس بتكرار لان هذه الاية واردة للثناء عليهم
والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل والذين امنوا من بعد يريد
بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا واولوا الارحام
اولو القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله
في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القران وهو اية المواريث وبذا استدل
اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال
وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات
بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته في
الدنيا سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون اية

لها عدة اسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة
الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش
من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم
وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة

وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه فان قلت هلا صدرت باية التسمية
كما في سائر السور قلت سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه و
سلم اذا نزلت عليه السورة او الاية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي
رسول الله ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما
وكانتا تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود
وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب
في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا قيل فان
النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما
ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن
دعي الى الله فاجاب ودعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما
هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لهم لا تفرق ولا تخف
ومترس ولا باس هذا امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلاهما
نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون
وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقد اختلف
اصحاب رسول الله فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم
هما سورتان وترك بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر
مبتدا محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في
قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم
كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان تكون براءة مبتدا لتخصصها بصفتها
والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة وقرئ
اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى
ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين فانه منبوذ
اليهم فان قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت
قد اذن الله في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم
فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك
فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين روي انهم عاهدوا
المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة

فنبذ العهود الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤوا لا
يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر
الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان
وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامّر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر على موسم
سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له
لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء
فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور
وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد
لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول الله فقال يا رسول
الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان
قبل التروية خطب ابو بكر وحدث عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة
فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين
او اربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت
بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة
وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا
العهود وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب
بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض
عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان
يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فازيحت علتهم بتوليته ذلك عليا
عليه السلام فان قلت الاربعة الاشهر ما هي قلت عن الزهري ان براءة نزلت
في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون
من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما
لانهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها
وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة
كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة
فان قلت ما وجه اطباق اكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في
الاشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك قلت قالوا قد نسخ وجوب الصيانة

وابيح قتال المشركين فيها غير معجزي الله لا يفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي
مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب واذان ارتفاعه كارتفاع
براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما ان
عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان
وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء فان قلت اي فرق
بين معنى الجملة الاولى والثانية قلت تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار
بوجوب الاعلام بما ثبت فان قلت لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق
الاذان بالناس قلت لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان
فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم
الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف
والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما
الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا
يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف
بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك
ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن
سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين وموافقته لاعياد اهل الكتاب
ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر وحذفت الباء التي هي
صلة الاذان تخفيفا وقرئ إن الله بالكسر لان الاذان في معنى القول ورسوله
عطف على المنوي في بريء او على محل إن المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم
إن او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله
لعمرك ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا
منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر بتعليم العربية
فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي
والاعراض عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير سابقي الله تعالى ولا فائتين اخذه
وعقابه فان قلت مم استثني قوله الا الذين عاهدتم قلت وجهه ان يكون
مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله

إلى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا إلا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم فأتموا إليهم
عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كأنه قيل بعد أن أمروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا
فأتموا إليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر إن الله يحب المتقين يعني أن
قضية التقوى أن لا يسوى بين القبيلين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا
منكم أحدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على
خزاعة عيبة رسول الله فظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على
رسول الله فأنشد: لاهم إني ناشد محمدا ، حلف أبينا وأبيك الأتلدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا ، ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا ، وقتلونا ركعا وسجدا
فقال عليه السلام لا نصرت إن لم أنصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة أي لم ينقضوا عهدكم
ومعنى فأتموا إليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة أشهر
فأتم إليهم عهدهم انسلخ الشهر كقولهم انجرد الشهر وسنة جرداء والأشهر الحرم التي
أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا واقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم
حيث وجدتموهم من حل أو حرم وخذوهم وأسروهم والأخيذ الأسير واحصروهم
وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس حصرهم أن يحال بينهم وبين المسجد
الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لأقعدن
لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فأطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا
تتعرضوا لهم كقوله: خل السبيل لمن يبني المنار به. وعن ابن عباس رضي الله عنه
دعوهم وإتيان المسجد الحرام إن الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر
والغدر أحد مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وإن استجارك أحد
استجارك ولا يرتفع بالابتداء لأن إن من عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى وإن
جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق
فاستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن ويتبين ما بعثت له فأمنه حتى
يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر ثم أبلغه بعد ذلك داره التي يأمن فيها
إن لم يسلم ثم قاتله إن شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن
الحسن هي محكمة إلى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين إلى علي عليه السلام فقال
إن أراد الرجل منا أن يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الأجل يسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل

فقال لا لأن الله يقول وإن أحد من المشركين استجارك الآية وعن السدي والضحاك
هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك أي ذلك الأمر يعني الأمر بالإجارة في قوله فأجره
بسبب أنهم قوم جهلة لا يعلمون ما الإسلام وما حقيقة ما تدعو إليه فلا بد من إعطائهم
الأمان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لأن يكون
للمشركين عهد عند رسول الله وهم أضداد وغرة صدورهم يعني محال أن يثبت لهؤلاء عهد
فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله إلا الذين
عاهدتم أي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة
وبني ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا على العهد فاستقيموا لهم على مثله
إن الله يحب المتقين يعني أن التربص بهم من أعمال المتقين كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين
على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال
وخبرتماني أنما الموت بالقرى ، فكيف وهاتا هضبة وقليب
يريد فكيف مات أي كيف يكون لهم عهد وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الأيمان
والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا إلا لا يراعوا حلفا وقيل
قرابة وأنشد لحسان: لعمرك إن إلك من قريش ، كإل السقب من رأل النعام
وقيل إلا إلها وقرئ إيلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرائيل من ذلك وقيل منه اشتق
الإل بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه أن اشتقاق الإل بمعنى
الحلف لأنهم إذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه من الأل وهو الجؤار وله
أليل أي أنين يرفع به صوته ودعت ألليها إذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق
إل وسميت به القرابة لأن القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم
كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على
العهد وتأبى القلوب مخالفة ما فيها من الأضغان لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل
وأكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروءة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم
كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم
العرض ويجر أحدوثة السوء اشتروا استبدلوا بآيات الله بالقرآن والإسلام
ثمنا قليلا وهو اتباع الأهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه أو صرفوا
غيرهم عنه وقيل هم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم المعتدون المجاوزون
الغاية في الظلم والشرارة فإن تابوا عن الكفر ونقض العهد فإخوانكم فهم إخوانكم على حذف

المستدرك كقوله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم **ونفصل الآيات** ونبينها وهذا اعتراض كانه
قيل وان من تأمل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل الله من احكام المشركين
المعاهدين وعلى المحافظة عليها **وطعنوا في دينكم** وثلبوه وعابوه **فقاتلوا ائمة الكفر** فقاتلوهم
فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا
لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم آمنوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وصاروا اخوانا
للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء
بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر وذووا الرياسة
والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا
جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج
من الذمة **انهم لا ايمان لهم** جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان
بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه فان قلت كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا
ايمانهم ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان في قوله
~~وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم قلت اراد~~ لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه
استشهد ابو حنيفة على ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين وقال معناه
انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث **لعلهم ينتهون** متعلق بقوله فقاتلوا
ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعدما وجد منهم ما وجد من العظائم ان تكون
المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء
بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ ائمة قلت همزة بعدها همزة بين بين
اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن مقبولة عند البصريين
واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف **الا
تقاتلون** دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على
سبيل المبالغة **نكثوا ايمانهم** التي حلفوها في المعاهدة **وهموا باخراج الرسول** من مكة
حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه **وهم
بدءوكم اول مرة** اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله جاءهم اولا
بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون
بالقتال والبادئ اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صد
موكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر ان

من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير
موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها **اتخشونهم** تقرير بالخشية منهم
وتوبيخ عليها **فالله احق ان تخشوه** فتقاتلوا اعداءه **ان كنتم مؤمنين** يعني ان قضية
الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا الا الله
لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر بالقتال فقال **قاتلوهم** ووعدهم ليثبت قلوبهم
ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديهم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم
ويشف صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس هم بطون من اليمن
وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله يشكون
اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب **ويذهب غيظ قلوبهم** لما لقيتم منهم
من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق
رسول الله وصحة نبوته **ويتوب الله على من يشاء** ابتداء كلام واخبار بان بعض
اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب
بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى **والله
عليم** يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان **حكيم** لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة **ام**
منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على
ما انتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم **الذين جاهدوا** في سبيل الله لوجه الله **ولم
يتخذوا وليجة** اي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين **ولما** معناها التوقع
وقد دلت على ان تبين ذلك وايضاحه متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز
بينهم وبين المخلصين وقوله **ولم يتخذوا** معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه
قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة
فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله
مني ما قيل فيّ يريد ما وجد ذلك مني **ما كان للمشركين** ما صح لهم وما استقام **ان
يعمروا مساجد الله** يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام واما القراءة
بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة
المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد
والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا
يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لان طريقه طريقة

الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك
بذلك و﴿شاهدين﴾ حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين
عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم ﴿على أنفسهم بالكفر﴾
ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون بها عراة ويقولون
لا نطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل
هو قولهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد أقبل المهاجرون
والأنصار على أسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوبخ
العباس بقتال رسول الله وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول فقال العباس تذكرون
مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا أولكم محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا إنا
لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت ﴿حبطت أعمالهم﴾
التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة وإذا هدم الكفر والكبيرة الأعمال
الثابتة الصحيحة إذا تعقبتها فما ظنك بالمقارن وإلى ذلك أشار في قوله شاهدين
حيث جعله حالا عنهم ودل على أنهم قارنوا بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في
حال واحدة وذلك محال غير مستقيم ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ وقرئ بالتوحيد أي إنما تستقيم
عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها
بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو
أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلا عن فضول
الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون
المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم
فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة
الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى إن بيوتي في أرضي المساجد وإن
زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن
يكرم زائره وعنه عليه السلام من ألف المسجد ألفه الله وقال صلى الله عليه
وسلم إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان وعن أنس رضي الله
عنه من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام
في ذلك المسجد ضوءه فإن قلت هلا ذكر الإيمان برسول الله قلت
لما علم وشهر أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة

والأذان والإقامة وغيرهما عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير
منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الإيمان بالله الإيمان بالرسول وقيل
دل عليه بذكر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فإن قلت كيف قيل ﴿ولم يخش إلا الله﴾
والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها قلت هي الخشية والتقوى
في أبواب الدين وأن لا يختار على رضى الله رضى غيره لتوقع مخوف وإذا اعترضه
أمران أحدهما حق الله والآخر حق نفسه أن يخاف الله فيؤثر حق الله على
حق نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك
الخشية عنهم ﴿فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ تبعيد للمشركين عن مواقف
الاهتداء وحسم لأطماعهم في الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها
وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع مع استشعار
الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون أنهم
مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح
الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله السقاية والعمارة مصدران من سقى
وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره ﴿أجعلتم أهل سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله﴾ وتصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة
السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى إنكار
والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة
وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي أن المشركين
قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه
فقالت لهم اليهود أنتم أفضل وقيل إن عليا قال للعباس يا عم ألا تهاجرون
ألا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألست في أفضل من الهجرة أسقي حاج
بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما أراني إلا تارك سقايتنا
فقال عليه السلام أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرا ﴿أعظم درجة عند الله﴾
من أهل السقاية والعمارة عندكم ﴿وأولئك هم الفائزون﴾ لا أنتم المختصون بالفوز
دونكم وقرئ ﴿يبشرهم﴾ بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء
صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح

مكة من لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم
فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا اباءنا وابناءنا وعشائرنا
وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا
فجعل الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله
ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا
بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان
حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس منه ويبغض في الله اقرب
الناس اليه وقرئ عشيرتكم وعشيراتكم وقرأ الحسن وعشائركم فتربصوا
حتى يأتي الله بامره وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة
عاجلة او اجلة وهذه اية شديدة لا ترى اشد منها كانها تنعى على الناس
ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف اورع
الناس واتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات في
دين الله ما يستحب له دينه على الاباء والابناء والاخوان والعشائر والمال
والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لاجله ام يزوي الله عنه احقر شيء
منها لمصلحته فلا يدري اي طرفيه اطول ويغويه الشيطان عن اجل
حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كانما وقع على انفه ذباب فطيره مواطن
الحرب مقاماتها ومواقفها قال
۝ وكم موطن لولاي طحت كما هوى ۝ باجرامه من قلة النيق منهوي ۝
وامتناعها من الصرف لانه جمع على صيغة لم يات عليها واحد والمواطن الكثيرة
وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة فان قلت
كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن قلت معناه
وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان يراد بالموطن
الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا
بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه
هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في
جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ باضمار اذكر

وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا
الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم الفان من الطلقا وبين هوازن وثقيف وهم اربعة
الاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من
المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله وقيل قائلها رسول الله وقيل
ابو بكر وذلك قوله اعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وادركت المسلمين كلمة
الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ
فلهم مكة وبقي رسول الله وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس
اخذا بلجام دابته وابو سفيان بن الحرث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة
صدق على تناهي شجاعته ورباطة جاشه وما هي الا من ايات النبوة وقال
يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى
الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا
وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فنظر رسول
الله الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم
به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكاني انظر الى رسول الله
يركض خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته
ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب
السفر اي ملتبسا بها لم احلها تعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا
تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكانها ضاقت عليكم ثم وليتم
مدبرين ثم انهزمتم سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا وعلى المؤمنين
الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله حين وقع الهرب وانزل جنودا
يعني الملائكة وكانوا ثمانية الاف وقيل خمسة الاف وقيل ستة عشر الفا
وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي النسا والذراري ثم يتوب الله
اي يسلم بعد ذلك ناس منهم وروي ان ناسا منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله على
الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اولادنا
واهلونا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل
والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا
اما ذراريكم ونسايكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول

الله فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرتهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا
بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن
قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري
لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد
رضوا ● النجس مصدر نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لان معهم
الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات
فهي ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس
اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب
على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف
الموصوف كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس
وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا
يفعلون في الجاهلية بعد عامهم هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة
حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه ويدل
عليه قول علي عليه السلام حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون
من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي يمنعون من المسجد
الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء ان المراد
بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه
راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام
والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين
من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من
فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم
واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك
اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس القى الشيطان في قلوبهم الخوف
وقال من اين تأكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بخصب
البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا عائلة ونحو قوله ان
شاء ان اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم
لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في

حيزه

حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم
الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب ويحرم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم
في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التوراة والانجيل ولا يدينون
دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله
تعالى يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده سميت جزية لانها طائفة مما
على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من منّ عليهم بالاعفاء عن القتل
عن يد اما ان يراد يد المعطي او الآخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد
اي عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد
ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة
كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد نقدا غير نسيئة
لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ واما على ارادة يد الآخذ
فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم
وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة وهم صاغرون اي تؤخذ منهم على الصغار
والذل وهو ان يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم
جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان
يؤديها ويزج في قفاه وتسقط بالاسلام عند ابي حنيفة ولا تسقط به خراج
الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي
ومجوسي وصابي ووثني الا على مشركي العرب وحدهم روى الزهري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب
وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت الجزية العجم
وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم والمأخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من
الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف
الضعف ثمانية واربعون درهما ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي يؤخذ
في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا كان له كسب او لم يكن عزير
ابن الله مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم عجمي كعازر وعيزار وعزرائيل
ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا واما قول من اسقط
التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ احد الله او لان الابن وقع وصفا

والكبر بعد وفيه وهو نعتقد ما يحتمل عنه من كل وجه وهو قول ناس من اليهود ممن كان
بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم
ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب
هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوريه
ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال له الى اين
تذهب فقال اطلب العلم فحفظه التوريه فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا
ما جمع الله التوريه في صدره وهو غلام الا لانه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم
ان الايه تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب فان قلت
كل قول يقال بالفم فما معنى قوله **ذلك قولهم بافواههم** قلت فيه وجهان احدهما
ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته
كالالفاظ المهمله التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على
معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير
والثاني ان يراد بالقول المذهب كقولهم قول ابي حنيفه يريدون مذهبه وما يقول
به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجه معه ولا شبهه
حتى يؤثر في القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبه له لم تبق شبهه في انتفاء
الولد **يضاهون** لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف
واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في
عهد رسول الله من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم
فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين الملائكه بنات الله وقيل الضمير للنصارى
اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون
بالهمز من قولهم امراه ضهيا على فعيل وهي التي ضاهات الرجال في انها لا تحيض وهمزتها
مزيده كما في غرقئ **قاتلهم الله** اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعه
قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعا قاتلهم الله ما اعجب فعلهم **انى يؤفكون** كيف
يصرفون عن الحق اتخاذهم **اربابا** انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله
وتحريم ما حلله كما تطاع الارباب في اوامرهم ونحوه تسميه اتباع الشيطان فيما يوسوس
عباده بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم انتهيت الى
رسول الله وفي عنقي صليب من ذهب فقال الق هذا الوثن عنك ... اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون

ماحرمه

ما حرمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا
في معصيه الخالق او صليت لغير القبله واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله
فقد اهلوه للعباده الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين **وما
امروا الا ليعبدوا الها واحدا** امرتهم بذلك ادله العقل والنصوص في الانجيل والمسيح
عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنه **سبحانه** تنزيه له عن الاشراك
واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء
الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يكونوا اربابا وهم مامورون
مستعبدون مثلهم مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوه محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب
بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغايه
القصوى من الاشراق والاضاءه ليطفئه بنفخه ويطمسه **ليظهره** ليظهر الرسول على الدين
كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين فان قلت كيف جاز ابى الله الا
كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا قلت قد اجري ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف
قوبل **يريدون ان يطفئوا نور الله** بقوله **ويابى الله** وكيف اوقع موقع ولا يريد الله
الا ان يتم نوره معنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى
قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يؤكل بها فهي سبب الاكل ومنه قوله
ياكلن كل ليله اكافا يريد علفا يشترى بثمن اكاف ومعنى اكلهم **بالباطل**
انهم كانوا ياكلون الرشا في الاحكام والتخفيف والمسامحه في الشرايع **والذين يكنزون**
يجوز ان يكون الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلاله على اجتماع خصلتين
مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير
ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين
من اليهود والنصارى تغليظا ودلاله على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم
طيب ماله سواء في استحقاق البشاره بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكوه اية الكنز
وقيل هي ثابته وانما عني بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكوه وعن النبي صلى الله عليه
وسلم ما ادي زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز
وان كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا سأله عن ارض له باعها فقال احرز
مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش امراتك قال اليس بكنز قال ما ادي زكوته فليس
بكنز وعن ابن عمر كل ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكوته

هو الذي ذكره الله وان كان على ظهر الارض فان قلت فما تصنع بما روى سالم
بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له اي مال
نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبقوله عليه
السلام من ترك صفرا او بيضا كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول
الله كية وتوفي اخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان قلت كان هذا قبل ان
تفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن
له فيه ويودي عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن
بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض
عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء
مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي رضي الله عنه اربعة الاف
فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الافضل فان قلت لم قيل ولا ينفقونها
وقد ذكر شيئان قلت ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد
منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها
والذهب كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب وقيار كذلك فان قلت
لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال قلت لانهما قانون التمول واثمان الاشياء ولا
يكنزهما الا فاضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر اجناس المال
فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما فان قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل
تحمى من قولك حمي الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد قلت معناه ان النار
تحمى عليها اي توقد ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا
المعنى فان قلت فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت لانه مسند الى الجار
والمجرور اصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن
النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير
وعن ابن عامر انه قرئ تحمى بالتاء وقرا ابو حيوة فيكوى بالياء فان قلت لم خصت
هذه الاعضاء قلت لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا الاغراض
الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون
بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون ومن كل طيبات يتطعمون منها وينعمون



جنوبهم ومن تحت ابطهم من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى اغنياء زماننا هذه
اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا
ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه
يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم لانفسكم
على ارادة القول في قوله لانفسكم اي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها
الاغراض التي حامت حولها وما علمتم انكم كنزتموها لتستضر به انفسكم وتعذب هو
توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنزون بضم النون اي وبال المال الذي
كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين في كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه ورآه
حكمة وصوابا وقيل في اللوح اربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام في خطبته في حجة الوداع الا ان
الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا
منها اربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر
الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في
ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا
الحجة وكانت حجة ابي بكر قبلها في ذي القعدة ذلك الدين القيم يعني ان تحريم
الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابرهيم واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت
به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي
الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت
النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن في الحرم انفسكم اي لا تجعلوا حرامها حلالا وعن
عطاء تالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله
وقيل معناه لا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن
الحج فلا رفث ولا فسوق الاية وان كان ذلك محرما في سائر الشهور كافة حال من
الفاعل او المفعول مع المتقين ناصر لهم حثهم على التقوى بضمان النصرة لاهلها النسيء
تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء
الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا
اخر حتى رفضوا خصوص تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور

العام أربعة أشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء أي إذا أحلوا شهرا من الأشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل يروى أنه حدث ذلك في كنانة لأنهم كانوا فقراء محاويج إلى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول بأعلى صوته إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في القابل فيقول إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر لأن الكافر كلما أحدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا إلى رجسهم كما أن المؤمن إذا أحدث طاعة ازداد إيمانا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على أن الفعل لله عز وجل وقرأ الزهري ليوطيوا بالتشديد والنسيء مصدر نسأه إذا أخره يقال نسأه نسأ ونساء ونسيئا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الندي والنسي بوزن النهي وهما تخفيف النسيء والنسيء فإن قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله قلت معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها زين لهم سوء أعمالهم خذلهم الله فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي أي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء أعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل اثاقلتم تثاقلتم وبه قرأ الأعمش أي تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والإخلاد فعدي بإلى والمعنى ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه أخلد إلى الأرض واتبع هواه وقيل ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم وقرئ أاثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ فإن قلت ما العامل في إذا وحرف الاستفهام مانع أن يعمل فيه قلت ما دل عليه أو ما في ما لكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون إذا قيل لكم كما تعمله في الحال إذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله في غزوة إلا ورى عنها بغيرها إلا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة من الآخرة بدل الآخرة

كقوله

كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الأرض في الآخرة في جنب الآخرة إلا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم وأطوع وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول أي ولا تضروه لأن الله وعده أن يعصمه من الناس ووعد أن ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم أهل اليمن وقيل أبناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص فإن قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط قلت فيه وجهان أحدهما إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد ولا أقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني أنه أوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده وأسند الإخراج إلى الكفار كما أسنده إليهم في قوله من قريتك التي أخرجتك لأنهم حين هموا بإخراجه أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه ثاني اثنين أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه يروى أن جبريل صلوات الله عليه لما أمره بالخروج قال من يخرج معي قال أبو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون إذ هما بدل من إذ أخرجه والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا إذ يقول بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله فقال إن تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لإنكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة سكينته ما ألقى في قلبه من الأمنة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه والجنود الملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم إلى الكفر وكلمة الله دعوته إلى الإسلام وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع أوجه وهي فصل أو مبتدأ وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو وأنها المختصة به دون سائر الكلم خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وأذيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا

أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله أعلي
أن أنفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الأعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس
على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا
كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد أعذر
الله إليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا ألا إنه من يحبه
الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه
فقيل إنك عليل صاحب ضر فقال استنفرنا الله الخفيف والثقيل فإن لم يمكني الحرب
كثرت السواد وحفظت المتاع **وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم** إيجاب للجهاد بهما
إن أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة العرض ما عرض لك من منافع الدنيا
يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أي لو كان ما دعوا إليه غنما قريبا
سهل المنال **وسفرا قاصدا** وسطا مقاربا **الشقة** المسافة الشاطة الشاقة وقرئ
عيسى بن عمر **بعدت عليهم** الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله ۞
۞ يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد إلا ما توارى الصفائح ۞ **بالله** متعلق
بسيحلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين أي سيحلفون يعني المتخلفين
عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله **لو استطعنا لخرجنا معكم**
أو سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم
ولو جميعا والإخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد
كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الأبدان
كأنهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا
الموت **يهلكون أنفسهم** إما أن يكون بدلا من سيحلفون أو حالا بمعنى مهلكين والمعنى
أنهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل أن يكون
حالا من قوله لخرجنا أي لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نحملها
من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم ألا ترى أنه لو قيل سيحلفون
بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولأفعلن فالغيبة
على حكم الإخبار والتكلم على الحكاية **عفا الله عنك** كناية عن الجناية لأن العفو رادف
لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت **ولم أذنت لهم** بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه
ما لك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت

بالإذن

بالإذن **حتى يتبين لك** من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما
رسول الله ولم يؤمر بهما إذنه للمنافقين وأخذه من الأسارى فعاتبه الله **لا
يستأذنك** ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا وكان الخلص
من المهاجرين والأنصار يقولون لا نستأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبدا
ولنجاهدن معه بأموالنا وأنفسنا ومعنى **أن يجاهدوا** في أن يجاهدوا أو كراهة
أن يجاهدوا **والله عليم بالمتقين** شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة
لهم بأجزل الثواب **إنما يستأذنك** يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا **يترددون**
عبارة عن التحير لأن التردد ديدن المتحير كما أن الثبات والاستقرار ديدن المستبصر
وقرئ **عدة** بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا
يريد عدة الأمر فجعل الكناية عوضا من التاء المحذوفة وقرئ عده بكسر العين بإضافة وعدة
بإضافة فإن قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله **ولو أرادوا
الخروج** معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل **ولكن كره الله انبعاثهم** كأنه
قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما أحسن إلي زيد ولكن
أساء إلي **فثبطهم** فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث **وقيل اقعدوا** جعل
إلقاء الله في قلوبهم كراهة الخروج أمرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة
وقيل هو قولهم لبعضهم وقيل هو إذن رسول الله لهم في القعود فإن قلت كيف جاز أن
يوقع الله في قلوبهم كراهة الخروج إلى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن إلهام القبيح قلت
خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا فكان إيقاع كراهة ذلك
الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة فإن قلت فلم خطأ رسول الله في الإذن لهم فيما هو
مصلحة قلت لأن إذن رسول الله لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها إلا
بعد القفول بإعلام الله ولكن لأنهم استأذنوه واعتذروا إليه فكان عليه أن
يفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم أتاه العتاب ويجوز أن يكون في ترك
رسول الله الإذن لهم مع تثبيط الله إياهم مصلحة أخرى فبإذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك
أنه إذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير إذن من رسول الله قامت عليهم
الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك أستارهم وكشف أسرارهم
وشهد عليهم بالنفاق وأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فإن قلت ما معنى قوله **مع
القاعدين** قلت هو ذم لهم وتعجيز وإلحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود

والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف وبينه قوله تعالى رضوا
بان يكونوا مع الخوالف **الا خبالا** ليس من الاستثنا المنقطع في شي كما يقولون لان الاستثنا
المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زارني القوم الا حمارا
والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثنا من اعم العام الذي هو الشي
فكان استثنا متصلا لان الخبال بعض الشي كانه قيل **ما زادوكم** شيا الا خبالا والخبال
الفساد والشر **ولاوضعوا خلالكم** ولسعوا بينكم بالتضريب والنمايم وافساد ذات
البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا ركايبهم
بينكم والمراد الاسراع بالنمايم لان الراكب اسرع من الماشي وقرى ولارفضوا من
رفضت الناقة رفضا اذا اسرعت وارفضتها انا قال
والرافضات الى منى فالغبغب وقرى ولاوفضوا فان قلت كيف خط في
المصحف ولا اوضعوا بزيادة الالف قلت كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربي
والخط العربي اخترع قريبا من نزول القران وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع
فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه اولاذبحنه **يبغونكم الفتنة** يحاولون
ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم **وفيكم سماعون لهم**
اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم
لقد ابتغوا الفتنة اي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق
اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج وقفوا
لرسول الله على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به **من قبل** من قبل
غزوة تبوك **وقلبوا لك الامور** ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الارا في ابطال
امرك وقرى وقلبوا بالتخفيف **حتى جا** الحق وهو تاييدك ونصرك **وظهر امر الله** وغلب
دينه وعلا شرعه **ايذن لي** في القعود **ولا تفتني** ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم
بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني
اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار
اني مستهتر بالنسا فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نسا الروم ولكني اعينك بمال
فاتركني وقرى ولا تفتني من افتنه **الا في الفتنة سقطوا** اي ان الفتنة هي التي سقطوا
فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى
لمحيطة بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيامة او هي محيطة بهم الان لان اسباب

الاحاطة

الاحاطة معهم فكانهم في وسطها **ان تصبك** في بعض الغزوات **حسنة** ظفر وغنيمة **وان تصبك مصيبة** نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يفرحوا بحالهم
في الانحراف عنك و**يقولوا قد اخذنا امرنا** اي امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ
والعمل بالحزم **من قبل** ما وقع وتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم
وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا اعرضوا عن رسول الله وقرى ابن مسعود **قل
هل يصيبنا** وقرى طلحة هل يصيبنا بتشديد اليا ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو لقولهم
الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب الا ترى الى قولهم صوب
رايه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله اسهمي الصايبات والصيب
واللام في قوله **الا ما كتب الله لنا** مفيدة معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما
اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله **هو مولانا**
اي الذي يتولانا ونتولاه وذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم
وعلى الله فليتوكل المومنون وحق المومنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو
حقهم **الا احدى الحسنيين** الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب
وهما النصرة والشهادة **ونحن نتربص بكم** احدى السوايين من العواقب اما **ان يصيبكم
الله بعذاب من عنده** وهو قارعة من السما كما نزلت على عاد وثمود **او** بعذاب **بايدينا**
وهو القتل على الكفر **فتربصوا** بنا ما ذكرنا من عواقبنا **انا معكم متربصون** ما هو عاقبتكم
فلا بد ان نلقى كلنا ما نتربصه لا نتجاوزه **انفقوا** يعني في سبيل الله ووجوه البر **طوعا
او كرها** نصب على الحال اي طايعين او مكرهين فان قلت كيف امرهم بالانفاق ثم
قال **لن يتقبل منكم** قلت هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله
تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله اسيي بنا او احسني لا ملومة اي
لا يغفر الله لهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم ولا نلومك اسات الينا او احسنت
فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك
رحم الله زيدا وغفر له فان قلت لم فعل ذلك قلت لنكتة فيه وهي
ان كثيرا كانه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني
بالاساة والاحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيية كنت
او محسنة وفي معناه قول القايل
اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود وكذلك
المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظر هل

من الاحوال في حال الاستغفار و تركه فان قلت ما الغرض في نفي التقبل
اهو كون رسول الله يقبله منهم و رده عليهم ما يبذلون ام هو كونه غير مقبول
عند الله ذاهبا هبا لا ثواب له قلت يحتمل الامرين جميعا و قوله طوعا او
كرها معناه طايعين من غير الزام من الله و رسوله او ملزمين و سمي الالزام اكراها لانهم منافقون
فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او طايعين من غير اكراه من روسايكم لان
روسا اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحه فيه او مكرهين من جهتهم
و روي انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوه تبوك و قال لرسول الله هذا مالي
اعينك به فاتركني انكم تعليل لرد انفاقهم و المراد بالفسق التمرد و العتو انهم فاعل
منعهم و ان تقبل مفعولاه و قرئ ان تقبل بالتا و اليا على البنا للمفعول
و نفقتهم على الجمع و التوحيد و قرى السلمي ان يقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل لله عز
و جل كسالى بالضم و الفتح جمع كسلان نحو سكارى و غيارى في سكران و غيران
و كسلهم لانهم لا يرجون بصلوتهم ثوابا و لا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيله عليهم كقوله و انها
لكبيرة الا على الخاشعين و قرات في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم
كره للمومن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الايه و ان الكسل من صفات المنافقين
فما ينبغي ان يسنده المومن الى نفسه فان قلت الكراهه خلاف الطواعيه
و قد جعلهم الله تعالى طايعين في قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا و هم كارهون
قلت المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله او من روسايهم و ما
طوعهم ذاك الا عن كراهه و اضطرار لا عن رغبه و اختيار الاعجاب بالشي ان تسر
به سرور راض به متعجب من حسنه و المعنى فلا تستحسن و لا تفتتن بما اوتوا من زينه
الدنيا كقوله و لا تمدن عينيك فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه
للتغنم و السبي و بلاهم فيه بالافات و المصايب و كلفهم بالانفاق منه في ابواب الخير و هم
كارهون له على رغم انوفهم و اذاقهم انواع الكلف و المحاشم في جمعه و اكتسابه و في
تربيه اولادهم فان قلت ان صح تعليق التعذيب بارادة الله فما بال زهوق
انفسهم و هم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما
كانه قيل و يريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا و هم كافرون ملتهون بالتمتع عن
النظر للعاقبه لمنكم لمن جمله المسلمين يفرقون يخافون القتل و ما يفعل بالمشركين
فيتظاهرون بالاسلام تقيه ملجا مكانا يلتجئون اليه متحصنين به من راس جبل او
يلجاون

قلعه

او جزيره او مغارات او غيرانا و قرى بضم الميم من اغار الرجل و غار اذا
دخل الغور و قيل هو تعديه غار الشي و اغرته انا يعني امكنه يغيرون فيها
اشخاصهم و يجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب و مغار او مدخلا
او نفقا يندسون فيه و ينجحرون و هو مفتعل من الدخول و قرى مدخلا من دخل
و مدخلا من ادخل مكان يدخلون فيه انفسهم و قرا ابي بن كعب متدخلا
و قرى لوالوا اليه لالتجوا اليه يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شي من الفرس
الجموح و هو الذي اذا حمل لم يرده اللجام و قرا انس يجمزون فسيل فقال
يجمحون و يجمزون و يشتدون واحد يلمزك يعيبك في قسم الصدقات و يطعن عليك
قيل المولفه قلوبهم و قيل هو ابن ذي الخويصره راس الخوارج كان رسول الله صلى الله
عليه و سلم يقسم غنايم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل
فمن يعدل و قيل هو ابو الجواظ من المنافقين فقال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم
صدقاتكم في رعاة الغنم و هو يزعم انه يعدل فقال رسول الله لا ابا لك اما
كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه السلام احذروا
هذا و اصحابه فانهم منافقون و قرى يلمزك بالضم و يلمزك و يلامزك التثقيل
و البنا على المفاعله مبالغه في اللمز ثم وصفهم بان رضاهم و سخطهم لانفسهم لا للدين
و ما فيه صلاح اهله لان رسول الله استعطف قلوب اهل مكه يومئذ بتوفير
الغنايم عليهم فضجر المنافقون منه و اذا للمفاجاه اي و ان لم يعطوا
منها فاجوا السخط جواب لو محذوف تقديره و لو انهم رضوا لكان خيرا لهم و المعنى
و لو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمه و طابت به نفوسهم و ان قل نصيبهم
و قالوا كفانا فضل الله و صنعه و حسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمه اخرى فيوتينا
رسول الله اكثر مما اتانا اليوم انا الى الله في ان يغنمنا و يخولنا فضله لراغبون
انما الصدقات للفقرا قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدوده و انها
مختصه بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم و نحوه قولك انما
الخلافه لقريش تريد لا تتعداهم و لا تكون لغيرهم و يحتمل ان تصرف الى الاصناف
كلها و ان تصرف الى بعضها و عليه مذهب ابي حنيفه و عن حذيفه و ابن عباس و غيرهما
من الصحابه و التابعين انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزاك و عن سعيد بن جبير
لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقرا متعففين فجبرتهم بها كان احب الي و عن ش

لا بد من صرفها إلى الأصناف كلها، وعن عكرمة أنها تفرق في الأصناف الثمانية، وعن الزهري أنه
كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الأصناف الثمانية **والعاملين عليها** الساعين في
تحصيلها وجمعها **والمؤلفة قلوبهم** أشراف من العرب كان رسول الله يستألفهم على أن يسلموا فيرضخ لهم شيئا
منها حين كان في المسلمين قلة **وفي الرقاب** المكاتبين يعانون منها وقيل الأسارى وقيل
تبتاع الرقاب فتعتق **والغارمين** الذين ركبتهم الديون لا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل
الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيه وعزموا **وفي سبيل الله** فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم
وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله **فريضة**
في معنى المصدر المؤكد لأن قوله إنما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات
لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة. فإن قلت لم عدل عن اللام إلى في في الأربعة
الأخيرة قلت للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره
لأن في للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة
لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر وفي فك الغارمين
من الغرم من التخلص والإنقاذ ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة
وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال وتكرير في في قوله
وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين
فإن قلت فكيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكائدهم قلت
دل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقة خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم
حسما لأطماعهم وإشعارا باستيجابهم الحرمان وأنهم بعداء عنها وعن مصارفها
فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها الأذن الرجل الذي يصدق كل ما
سمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة
ونظيره للربيئة عين وإيذاؤهم له هو قولهم فيه **هو أذن قل أذن خير** هو كقولك
رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن ويجوز
أن يريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك ويدل
عليه قراءة حمزة **ورحمة** بالجر عطفا عليه أي هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله
ثم فسر كونه أذن خير بأنه يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة ويقبل من المؤمنين
الخلص من المهاجرين والأنصار وهو رحمة لمن آمن **منكم** أي أظهر الإيمان أيها المنافقون
حيث يسمع منكم ويقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما

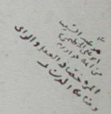
يعلم

يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى الله من المصلحة في الإبقاء عليكم فهو أذن كما قلتم
إلا أنه أذن خير لكم لا أذن سوء فسلم لهم قولهم فيه إلا أنه فسره بما هو مدح له وثناء
عليه وإن كانوا قصدوا به المذمة والتنقيص بفطنته وشهامته وأنه من أهل سلامة
القلوب والغرة وقيل إن جماعة منهم ذموه فبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم
لا عليكم فإنما هو أذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فإذا جئنا أتيناه فنعتذر إليه فيسمع
عذرنا ويرضى فقيل هو أذن خير لكم وقرئ أذنٌ خيرٌ لكم على أن أذن خبر مبتدأ محذوف
وخير كذلك أي هو أذن هو خير لكم يعني إن كان كما تقولون فهو خير لكم لأنه يقبل معاذيركم
ولا يكافئكم على سوء دخلتكم وقرئ نافع بتخفيف الذال فإن قلت لم عدى فعل
الإيمان بالباء إلى الله وإلى المؤمنين باللام قلت لأنه قصد التصديق بالله الذي
هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه
لكونهم صادقين عندهم فعدي باللام ألا ترى إلى قوله تعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين
ما أنباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه أنؤمن لك واتبعك الأرذلون آمنتم
له قبل أن آذن لكم فإن قلت ما وجه قراءة ابن أبي عبلة **ورحمةً** بالنصب قلت
هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لأن قوله أذن خير لكم يدل
عليه **لكم ليرضوكم** الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن
الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا
عنهم فقيل لهم **إن كانوا مؤمنين** كما تزعمون فأحق أن يرضوا الله ورسوله بالطاعة
والوفاق وإنما وحد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضى الله ورضى رسوله فكانا في حكم مرضي
واحد كقولك إحسان زيد وإجماله نعشني وجبر مني أو **والله أحق أن يرضوه**
ورسوله كذلك المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق **فأن له** على حذف
الخبر أي فحق أن له **نار جهنم** وقيل معناه فله وأن تكرير لأن في قوله أنه توكيدا
ويجوز أن يكون فإن له معطوفا على أنه على أن جواب من محذوف تقديره **ألم
يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله** يهلك فأن له نار جهنم وقرئ ألم تعلموا بالتاء كانوا
يستهزئون بالإسلام وأهله وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال
بعضهم والله لا أرى إلا شر خلق الله لوددت أني قدمت فجلدت مائة جلدة
وأنه لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في **عليهم** وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين
وصح ذلك لأن المعنى يعود إليه ويجوز أن يكون الضمائر للمنافقين لأن السورة إذا نزلت

ويعلمها نعى الله عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كأنها تقول لهم في قلوبكم
كيت وكيت يعني انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها
تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر اي ليحذر المنافقون فان قلت الحذر واقع
على انزال السورة في قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج
ما تحذرون قلت معناه محصل مبرز انزال السورة او ان الله مظهر ما كنتم تحذرونه
اي تحذرون اظهاره من نفاقكم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة
تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان
يفتتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال
احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا
في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا
على بعض السفر أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لم يعبأ باعتذارهم
لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود منهم
حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك
انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة
فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم
بعد اظهاركم الايمان ان يعف عن طائفة منكم باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان
بعد النفاق نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه
او ان يعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزئوا فلم نعذبهم في
العاجل نعذب في العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله
مستهزئين وقرئ مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التأنيث
والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت
بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة فانث لذلك وهو غريب
والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتأنيث
وقرئ ان يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل
المنافقون بعضهم من بعض اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم
ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على
مضادة حالهم لحال المؤمنين يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف

عن الايمان والطاعات ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والصدقات والانفاق
في سبيل الله نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله هم الفاسقون
هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم
زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين
حين بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله للمسلم ان يقول كسلت لان المنافقين
وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم
دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه
وعذابه ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين
الملاعين كما عظم اهل الجنة والحقهم بالملائكة المكرمين ولهم عذاب مقيم ولهم نوع
من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز ان يريد ولهم عذاب
مقيم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن
خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم
الكاف في محلها الرفع على انتم مثل الذين من قبلكم او النصب على فعلتم مثل فعل الذين
من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر ●
صدره حتى اذا الكلاب قال لها
كاليوم مطلوبا ولا طلبا ● باضمار لم ار وقوله كانوا اشد منكم تفسير لتشبيههم
بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان اي قدر من خير
كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اي اثبت والخوض الدخول في الباطل
واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه فان قلت
اي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن
عنه كما اغنى قوله كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا
قلت فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا
ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح
في الآخرة وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال
المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت
مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم
كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باستناده اليه عن تلك
المقدمة حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة نقيض قوله وآتيناه اجره في الدنيا

وانه في الآخرة لمن الصالحين **واصحاب مدين** واهل مدين وهم قوم شعيب **والمؤتفكات**
مدائن قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب
احوالهن عن الخير الى الشر **فما كان الله ليظلمهم** فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم
لا يجوز عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم **ولكن** ظلموا **انفسهم** حيث كفروا به فاستحقوا
عقابه **بعضهم اوليا بعض** في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض **سيرحمهم**
الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك
سانتقم منك يوما تعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا
ولسوف يعطيك ربك سوف يؤتيهم اجورهم **عزيز** غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر
على الثواب والعقاب **حكيم** واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق **ومساكن طيبة**
عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد **وعدن** علم بدليل قوله جنات
عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى ابو الدرداء عن رسول الله صلى
الله عليه عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها
غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل
هي مدينة في الجنة وقيل نهر جنانه على حافاته **ورضوان من الله اكبر**
وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة
ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب
ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراءه من النعم
وانما يتهنأ له برضاه كما اذا علم بسخطته تنغصت عليه ولم يجد لها لذة
وان عظمت وسمعت بعض اولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا
تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى
رضاه عني وان احشر في زمرة المهديين المرضيين عنده **ذلك** اشارة الى ما وعد الله
او الى الرضوان اي **هو الفوز العظيم** وحده دون ما يعده الناس فوزا وروي
ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد
اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي
شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا **جاهد الكفار**
بالسيف **والمنافقين** بالحجة **واغلظ عليهم** في الجهاد بهما جميعا ولا تحابهم وكل
من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل



معه الغلظة ما امكن منها عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع
فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبري منه
وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها اقام
رسول الله في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين
فيسمع من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد
حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال
عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق وانت شر
من الحمار وبلغ ذلك رسول الله فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال
اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل
يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة
والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته **وكفروا بعد**
اسلامهم واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام **وهموا بما لم ينالوا** وهو الفتك
برسول الله وذلك عند مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه
عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته
يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف
الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء
الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا
ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله **وما نقموا** وما عابوا وما انكروا **الا**
ان اغناهم الله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله المدينة في ضنك من العيش
لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر
ويكون ان تكون زيادة الا لعين شقيقا لانهم كانوا يعطون الديه ويكرمون
رسول الله بديته اثني عشر الفا فاستغنى **فان يتوبوا** هي الآية التي تاب عندها
الجلاس **في الدنيا والآخرة** بالقتل والنار روي ان ثعلبة بن حاطب
قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق
لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي
الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة
فسال عنه رسول الله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة

فبعث رسول الله مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم فاتيا
ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله الذي فيه الفرائض
فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيي فلما رجعا
قال لهما رسول الله قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة
فقال إن الله منعني أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك
فلم تطعني فقبض رسول الله فجاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها وجاء بها إلى عمر في خلافته فلم
يقبلها وهلك في زمن عثمان وقرئ **لنصدقن ولنكونن** بالنون الخفيفة فيهما **من**
الصالحين قال ابن عباس يريد الحج **فأعقبهم** عن الحسن وقتادة أن الضمير للبخل يعني فأورثهم
البخل **نفاقا** متمكنا **في قلوبهم** لأنه كان سببا فيه وداعيا إليه والظاهر أن الضمير لله عز
وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها إلى أن يموتوا بسبب
إخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث
النفاق والعزم على إخلاف ما وعدوه وما يتناجون وقرئ **يكذّبون** بالتشديد **ألم**
تعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه **سرهم ونجواهم** ما أسروه من النفاق والعزم على
إخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة
جزية وتدبير منعها **الذين يلمزون** محله النصب أو الرفع على الذم ويجوز أن يكون في محل
الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم **المطوعين** المتطوعين المتبرعين
روي أن رسول الله حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية
من ذهب وقيل بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت
أربعة لعيالي فقال رسول الله بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له
حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة
وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين
فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله أن ينثره على الصدقات فلمزهم
المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن كان الله ورسوله لغنيين
عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت
إلا جهدهم إلا طاقتهم وقرئ بالفتح والضم **سخر الله منهم** كقوله الله يستهزئ
بهم في أنه خبر غير دعاء ألا ترى إلى قوله **ولهم عذاب أليم** سأل عبد الله بن
عبد الله بن أبي رسول الله وكان رجلا صالحا أن يستغفر لأبيه في مرضه ففعل

فقال عليه السلام إن الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم
أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وأن فيه نفي الشرط وذكرنا النكتة في المجيء على
لفظ الأمر وأن السبعين جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه
لأصبحن العاص وابن العاصي ❊ سبعين ألفا عاقدي النواصي ❊ فإن قلت
كيف خفي على رسول الله وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته
والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله **ذلك بأنهم**
كفروا الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسأزيد على
السبعين قلت لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال إظهارا لغاية رحمته
ورأفته على من بعث إليه كقول إبراهيم ومن عصاني فإنك غفور رحيم وفي إظهار النبي الرحمة
والرأفة لطف لأمته ودعاء لهم إلى ترحم بعضهم على بعض **المخلفون** الذين استأذنوا رسول
الله من المنافقين فأذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم
والشيطان **بمقعدهم** بقعودهم عن الغزو **خلاف رسول الله** وقيل هو بمعنى المخالفة
لأنهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أي قعدوا لمخالفته
أو مخالفين له **أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم** تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام
لوجه الله وبما فعلوا من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله وإيثارهم ذلك على الدعة والخفض
وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان وداعي
الإيقان **قل نار جهنم أشد حرا** استجهال لهم لأن من تصون من مشقة ساعة فوقع
بسبب ذلك التصون في مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل ولبعضهم
❊ مسرة أحقاب تلقيت بعدها ❊ مساءة يوم أريها شبه الصاب ❊
❊ فكيف بأن تلقى مسرة ساعة ❊ وراء تقضيها مساءة أحقاب ❊ **فليضحكوا** معناه
فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا **جزاء** إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه
حتم واجب لا يكون غيره يروى أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا
لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم **فإن رجعك الله إلى طائفة منهم** لأن منهم من تاب
عن النفاق وندم على التخلف أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين
فأراد بالطائفة المنافقين منهم **فاستأذنوك للخروج** يعني إلى غزوة بعد غزوة
تبوك **أول مرة** هي الخرجة إلى غزوة تبوك وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة
عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله أنه لم يدعهم إليه إلا النفاق بخلاف غيرهم

والمستعفين المتخلفين **مع الخالفين** قد مر تفسيره وقرئ مالك بن دينار رحمه الله مع الخلفين
على قصر الخالفين فإن قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل
المضاف إليها وهو دال على واحدة من المرات قلت أكثر اللغتين هند أكبر النسا
وهي أكبرهن ثم إن قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي أكبر امرأة وأول
مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل روي
أن رسول الله كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق
عبد الله بن أبي بعث إليه ليأتيه فلما دخل عليه قال أهلكك حب اليهود فقال
يا رسول الله بعثت إليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله أن يكفنه في شعاره الذي
يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب إلى جنازته فسأله عن اسمه فقال
أنت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلاة عليه قال له عمر
أتصلي على عدو الله فنزلت وقيل أراد أن يصلي عليه فجذبه جبريل فإن قلت
كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافأة له على صنيع
سبق له وذلك أن العباس عم رسول الله لما أخذ أسيرا ببدر ولم يجدوا له قميصا
وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية إنا لا
نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا إن لي في رسول الله أسوة حسنة فشكر رسول
الله له ذلك وإجابة له إلى مسألته إياه فقد كان عليه السلام لا يرد سائلا وكان
يتوفر على دواعي المروءة ويعمل بعادات الكرام وإكراما لابنه الرجل الصالح فقد
روي أنه قال له أسألك أن تكفنه في بعض قمصانك وأن تقوم على قبره لا يشمت به
الأعداء وعلما بأن تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من
الأكفان وليكون إلباسه إياه لطفا لغيره فقد روي أنه قيل له لم وجهت
إليه بقميصك وهو كافر فقال إن قميصي لن يغني عنه من الله شيئا وإني أؤمل من الله
أن يدخل في الإسلام كثير بهذا السبب فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب
الاستشفاء بثوب رسول الله وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء إلى التراحم
والتعاطف لأنهم إذا رأوه يترحم على من يظهر الإيمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم
إلى أن يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه فإن قلت فكيف جازت الصلاة عليه
قلت لم يتقدم نهي عن الصلاة
عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر إيمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس
ما أدري ما هذه الصلاة إلا أني أعلم أن رسول الله لا يخادع **مات** صفة لأحد

قيل

قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود
لأنه كائن موجود لا محالة **إنهم كفروا** تعليل للنهي وقد أعيد قوله **ولا تعجبك** لأن تجدد
النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيد وإرادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا
يسهو عنه وأن يعتقد أن العمل به مهم مفتقر إلى فضل عناية به لا سيما إذا تراخى ما بين
النزولين فأشبه الشيء الذي أهم صاحبه فهو يرجع إليه في أثناء حديثه ويتخلص إليه
وإنما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه يجوز أن يراد السورة بتمامها وأن
يراد بعضها في قوله **وإذا أنزلت سورة** كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه
وقيل هي براءة لأن فيها الأمر بالإيمان والجهاد **أن آمنوا** هي أن المفسرة **أولوا الطول**
ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولا **مع القاعدين** مع الذين لهم علة وعذر
في التخلف **فهم لا يفقهون** ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف عنه من الشقا
والهلاك **لكن الرسول** أي إن تخلف هؤلاء فقد نهد إلى الغزو من هو خير منهم وأخلص
نية ومعتقدا كقوله فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فإن استكبروا فالذين
عند ربك **الخيرات** تتناول منافع الدارين لإطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن
خيرات **المعذرون** من عذر في الأمر إذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته أن
يوهم أن له عذرا فيما يفعل ولا عذر له أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل
حركتها إلى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لإتباع الميم
ولكن لم تثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله تعالى يعتذرون إليكم
إذا رجعتم إليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه
قيل هم أسد وغطفان قالوا إن لنا عيالا وإن بنا جهدا فائذن لنا في التخلف
وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت أعراب طي على أهالينا
ومواشينا فقال عليه السلام سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا
فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعّذرون وسعى المعذرون على
قراءة رهبانية الذين لم يفرطوا في العذر **وقعد الذين كذبوا الله ورسوله** هم منافقوا
الأعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله
في ادعائهم الإيمان وقرئ كذبوا بالتشديد **سيصيب الذين كفروا منهم** من
الأعراب **عذاب أليم** في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار **الضعفاء** الهرمى والزمنى **والذين
لا يجدون** الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة والنصح **لله ورسوله** الإيمان

هما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح
بصاحبه على المحسنين على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا
طريق للعاتب قلت ___ حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمره كما قيل في قوله
او جاوكم حصرت صدورهم اى اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا ولقد حصر الله
المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في ابدانهم استطاعه والذين عدموا اله الخروج
والذين سالوا المعونه فلم يجدوها وقيل المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه
البكاوون هم سته نفر من الانصار تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من
يفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فايض ومن للبيان كقولك افديك من رجل
ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز الا يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول
له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا فان قلت ___ رضوا ما موقعه
قلت ___ هو استينافا كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنيا فقيل رضوا بالدناه والضعه
والانتظام في جمله الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني ان السبب في استيذانهم رضاهم
بالدناه وخذلان الله عز وجل اياهم فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله قلت ___
لا اجد استينافا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا
باكين فقيل قلت ___ لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزا
كالاعتراض قلت نعم ويحسن لن نومن لكم عله للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر
ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب الاخلال به وقوله قد نبانا الله
من اخباركم عله لانتفا تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم
واحوالهم وما في ضمايرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم
وسيرى الله عملكم اتنيبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب
وشهاده وسر وعلانيه فيجازيكم على حسب ذلك لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا
تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني
ان المعاتبه لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشره والمومن يوبخ على
زله تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبه والاستغفار واما هولا فار
جاس لا سبيل الى تطهيرهم وماواهم جهنم يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا
فلا تتكلفوا عتابهم لترضوا عنهم اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم
ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا

عليهم

عليهم وكانوا عرضه لعاجل عقوبته واجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم
ان رضى المومنين يقتضي رضى الله عنهم وقيل هو جد بن قيس ومعتب بن قشير
واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم
المدينه لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جا عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه
ابدا الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم
وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهده العلما ومعرفه الكتاب والسنه واجدر
الا يعلموا واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرايع والاحكام ومنه قوله
عليه السلام ان الجفا والقسوه في الفدادين والله عليم يعلم حال كل احد
من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه مغرما
غرامه وخسرانا والغرامه ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقيه
من المسلمين ورئا لا لوجه الله وابتغا المثوبه عنده ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان
دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطا الصدقه عليهم دائره
السوء دعا معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا به كقوله عز وجل وقالت اليهود
يد الله مغلوله غلت ايديهم وقرى السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئه
والسوء بالفتح وهو ذم للدائره كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق
لان من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقه
عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم قربات مفعول ثان
ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول
لان الرسول كان يدعو للمتصدق بالخير والبركه ويستغفر لهم كقوله اللهم
صل على ال ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل
يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الا انها شهاده من الله للمتصدق بصحه
ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجايه على طريق الاستيناف
مع حرفي التنبيه والتحقيق المودنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم
وما في السين من تحقيق الوعيد وما ادل هذا الكلام على رضى الله على المتصدقين وان
الصدقه منه بمكان اذا خلصت النيه من صاحبها وقرى قربه بضم الرا وقيل هم
عبد الله ذو البجادين ورهطه السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين
صلوا الى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بيعه الرضوان وهي

بيعة الرضوان اناس من المهاجرين ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا
سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو
زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرئ عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع
عطفا على والسابقون وعن عمر انه كان يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان
وصفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ائتوني بأبي فقال تصديق
ذلك في اول الجمعة وآخرين منهم وأوسط الحشر والذين جاءوا من بعدهم وآخر الانفال
والذين آمنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من اقرأك
قال أبي فدعاه فقال اقرأنيه رسول الله وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال
صدقت قلت صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم
ومن ثم قال عمر لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا والسابقون
بالابتداء وخبره رضي الله عنهم ومعناه رضي الله عنهم لاعمالهم ورضوا عنه
لما افاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية وفي مصاحف اهل مكة تجري من تحتها
وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من وممن حولكم يعني حول بلدكم وهي
المدينة منافقون وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل
المدينة عطف على خبر المبتدأ الذي هو ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدأ
والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق على ان مردوا صفة
موصوف محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما
مبتدأ او صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره مردوا على النفاق
تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه
ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم اي يخفون عليك
مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشككك في امرهم
ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر
في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين
لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به ولهم فيه اليد الطولى
سنعذبهم مرتين قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن
ابن عباس انهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله خطيبا يوم الجمعة فقال
اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني

عذاب القبر وعن الحسن اخذ الزكوة من اموالهم ونهك ابدانهم الى عذاب عظيم
الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن
اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا متندمين وكانوا ثلاثة ابو لبابة مروان بن عبد
المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم
اوثقوا انفسهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك واوثقوا انفسهم على سواري
المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته
كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم
حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى أومر فيهم فنزلت
فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها
وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم عملا صالحا
خروجا الى الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم فان قلت
قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت كل واحد مخلوط به لان المعنى
خلط كل واحد بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه
وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به
واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء
باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة
بدرهم فان قلت كيف قيل عسى الله ان يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت اذا
ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم تطهرهم صفة
لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر
ولم يقرأ وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب او لغيبة المؤنث
والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل
عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة
اذا اخذها وعن الشافعي رحمه الله احب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة آجرك
الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت وقرئ ان صلواتك على
التوحيد سكن لهم يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم والله سميع
يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم
وقرئ الم يعلموا بالياء والتاء وفيه وجهان احدهما ان يراد المتوب عليهم يعني

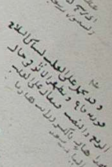
الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة
اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص
والتاكيد وان الله من شانه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص في هو ان
ذلك ليس الى رسول الله انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه
بها ووجهوها اليه وقل لهولاء التائبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا
على الله وعلى عباده كما رايتم وتبين لكم والثاني ان يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة
فقد روي انهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هولاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا
لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت فان قلت فما معنى قوله ويأخذ الصدقات قلت
هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل
والمعنى انه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله فسيرى وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار
والذهول عن التوبة قرئ مرجون ومرجاؤن من ارجيته وارجاته ومنه المرجئة
يعني واخرون من المتخلفين موقوف امرهم اما يعذبهم ان بقوا على الاصرار ولم
يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة
بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم
ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم
فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم
فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله غفور رحيم واما للعباد اي
خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة في مصاحف اهل المدينة والشام
الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة
مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم روي ان بني عمرو بن
عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فصلى فيه
فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف قالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله
يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة
على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله الفاسق وقال لرسول الله يوم احد لا
اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت
هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم
من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة

فبنوا

فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا
لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه
وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا
فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم
ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم
اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف
والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب
مسجد قبا ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون
مجتمعين في مسجد قبا فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا
واعدادا لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه
ويظهر على رسول الله وقيل كل مسجد بني مباهاة او ريا وسمعة او لغرض سوى ابتغاء
وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك
الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب
ان اصلي فيه فانه بني على ضرار او ريا وسمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي
بني ضرارا وعن عطا لما فتح الله الامصار على يد عمر رضي الله عنه امر المسلمين
ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه
فان قلت والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله النصب على
الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدا خبره محذوف ومعناه
وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة فان قلت
بم يتصل قوله من قبل قلت باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق
هولاء بالتخلف ان اردنا ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الا الارادة
الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين لمسجد اسس على التقوى
قيل هو مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه
بقبا وهي يوم الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان
الموازنة بين مسجدي قبا اوقع وقيل هو مسجد رسول الله بالمدينة وعن ابي سعيد
الخدري سالت رسول الله عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصبا
فضرب بها الارض فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده

تقديره لكل الظهور انه لم يؤسس على التقوى من اول يوم من مطلق الايام والمعنى ان تاسيسه على التقوى كان مبتدا من اول يوم من ايام وجوده لا حادثا بعده

فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت
القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون
بالقضا قالوا نعم قال اتصبرون على البلا قالوا نعم قال اتشكرون في الرخا قالوا نعم قال
عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى
عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغايط فقالوا يا رسول الله نتبع الغايط الاحجار
الثلاثة ثم نتبع الاحجار الما فتلا النبي صلى الله عليه رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطّهّروا
بالادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على
الجنابة ويتبعون الما اثر البول وعن الحسن هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون
ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن اخرهم فان قلت ما معنى المحبتين قلت
محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشي المشتهي له على ايثاره ومحبة
الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه وقرئ اسس بنيانه واُسس
بنيانه على البنا للفاعل والمفعول واسس بنيانه جمع اساس على الاضافة واَساس
بنيانه بالفتح والكسر جمع اُس وآساس بنيانه على افعال جمع اس ايضا واُسُّ بنيانه
والمعنى افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه
خير ام من اسسه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقا وهو الباطل
والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا
الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى فان قلت فما معنى
قوله فانهار به في نار جهنم قلت لما جعل الجرف الهاير مجازا عن الباطل قيل فانهار
به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجي بلفظ الانهيار
الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كانه اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم
فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه
الذي يتحفر اصله بالما وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهاير وهو المتصدع
الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره
شاك وصات في شايك وصايت والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله
هور وشوك وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل
وكنه امره وقرئ جرْف بسكون الرا فان قلت فما وجه ما روى سيبويه عن



عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين قلت قد جعل الالف للالحاق
لا للتانيث كتترى فيمن نون الحقها بجعفر وفي مصحف ابي فانهارت به قواعده
وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرئي الدخان يخرج منها وروي ان مجمع بن
جارية كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قبا عمر بن الخطاب
في خلافته ان ياذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين اليس بامام
مسجد الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم
اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قاريا للقران
وكانوا شيوخا لا يقراون من القران شيا فعذره وصدقه وامره بالصلوة بقومه
ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بنا ذلك
المسجد كفرهم ونفاقهم كما دل عليه قوله ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول
الله ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا
للاسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه
سبب شك ونفاق زايد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره
الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزا فحينيذ يسلون عنه فاما ما دامت
سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا
لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كاين منه بقتلهم
او في القبور او في النار وقرئ يُقطَّع باليا وتُقطَع بالتخفيف وتَقطَّع بفتح التاء بمعنى
تتقطع وتُقطِّع قلوبهم على ان الخطاب للرسول اي الا ان تُقطِّع انت قلوبهم
بقتلهم وقرئ الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله ولو قُطِّعت قلوبهم وعن طلحة
ولو قطّعتَ قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا
توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم مثل الله اثابتهم بالجنة
على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيل الله بالشرى وروي تاجرهم فاغلى لهم الثمن
وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا هو خلقها
واموالا هو رزقها وروي ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله
بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شيت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا
به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قالوا فاذا فعلنا ذلك
فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله اعرابي

وهو نفرا ما فقال كلام ... والله ... لا نقيله ولا نستقيله
فخرج إلى الغزو واستشهد **يقاتلون** فيه معنى الأمر كقوله تجاهدون في سبيل الله بأموالكم
وأنفسكم وقرئ **ويقتلون ويقتلون** على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس
وعدا مصدر مؤكد وأخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت
قد أثبته **في التوراة والإنجيل** كما أثبته في **القرآن** ثم قال **ومن أوفى بعهده من
الله** لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف
بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن منه وأبلغ **التائبون**
رفع على المدح أي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وأبي
رضي الله عنهما التائبين بالياء إلى قوله والحافظين نصبا على المدح ويجوز أن يكون جرا
صفة للمؤمنين وجوز الزجاج أن يكون مبتدأ خبره محذوف أي التائبون **العابدون**
من أهل الجنة أيضا وإن لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على
البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر
بعد خبر أي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن
هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤوا من النفاق العابدون الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا
له العبادة وحرصوا عليها **والسائحون** الصائمون شبهوا بذوي السياحة في
الأرض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الأرض يطلبونه
في مظانه قيل لما ... أبي طالب أنا أعظم الناس عليك حقا وأحسنهم عندك يدا
فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فأبى فقال لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزلت
وقيل لما افتتح مكة سأل أي أبويه أحدث به عهدا فقيل أمك آمنة فزار قبرها
بالأبواء ثم قام مستعبرا فقال إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته
في الاستغفار لها فلم يأذن لي ونزلت وهذا أصح لأن موت أبي طالب كان قبل
الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لأبيه وقيل قال المسلمون ما
يمنعنا أن نستغفر لآبائنا وذوي قراباتنا وقد استغفر إبرهيم لأبيه وهذا محمد يستغفر
لعمه **ما كان للنبي** ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته **من بعد ما تبين لهم
أنهم أصحاب الجحيم** لأنهم ماتوا على الشرك فنزلت **وما كان استغفار إبرهيم لأبيه** وعده
وما يستغفر إبرهيم على حكاية الحال الماضية **إلا عن موعدة وعدها إياه** أي وعد
إبرهيم أباه وهو قوله لأستغفرن لك وتدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية أباه

أباه فإن قلت كيف خفي على إبرهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده قلت له على أن امتناع جواز الاستغفار
للكافر إنما علم بالوحي لأن العقل يجوز أن يغفر الله للكافر ألا ترى إلى قوله عليه
السلام لعمه لأستغفرن لك ما لم أنه وعن الحسن قيل لرسول الله إن فلانا يستغفر
لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي عليه السلام رأيت رجلا
يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت له فقال أليس قد استغفر إبرهيم لأبيه
فإن قلت فما معنى قوله **فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه** قلت معناه
فلما تبين له من جهة الوحي أنه لن يؤمن وأنه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع
استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم **أواه** فعال من أوه
كلأل من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه أنه لفرط ترحمه ورقته
وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لأرجمنك
يعني بما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين
أنه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للإسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم
إلا إذا أقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بأنه واجب الاتقاء والاجتناب
وأما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا بيع الصاع
بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار [illegible]
للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي أن يغفل عنها
وهي أن المهدي للإسلام إذا أقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الإضلال
والمراد **بما يتقون** ما يجب اتقاؤه للنهي فأما ما يعلم بالعقل كالصدق
في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف **تاب الله على النبي** كقوله ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وأنه
ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرين والأنصار
وإبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وأن صفة التوابين الأوابين صفة
الأنبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه
من إذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك **في ساعة العسرة** في وقتها
والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم
غداة طفت علماء بكر بن وائل ... عشية قارعنا جذام وحميرا
إذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى ... يجد جمع كف غير ملأى ولا صفر
والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة

من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود
والشعير المسوس والإهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة إذا اقتسم التمرة اثنان وربما مصها
الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الإبل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان
من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة كاد يزيغ قلوب فريق منهم
عن الثبات على الإيمان أو عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير
الشأن وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله
من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كأبي لبابة وأمثاله ثم تاب عليهم
تكرير للتوكيد ويجوز أن يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم الثلاثة كعب بن مالك
ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ومعنى خلفوا تخلفوا عن الغزو وقيل عن أبي لبابة وأصحابه
حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا أي خلفوا الغازين بالمدينة أو فسدوا من الخالفة
وخلوف الفم وقرئ جعفر الصادق رضي الله عنه خالفوا وقرئ الأعمش وعلى الثلاثة
المخلفين بما رحبت برحبها أي مع سعتها وهو مثل للحيرة في أمرهم كأنهم لا يجدون فيها
مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم أنفسهم أي قلوبهم لا يسعها
أنس ولا سرور لأنها حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا وعلموا أن لا ملجأ من سخط
الله إلا إليه إلا إلى استغفاره ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد
أخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا أو ليتوبوا أيضا فيما يستقبل إن فرطت منهم خطيئة
علما منهم أن الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة وروي أن ناسا
من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني
أنه كان لأحدهم حائط كان خيرا من مائة ألف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني إلا ظلك
وانتظار ثمرك اذهب فأنت في سبيل الله ولم يكن لآخر إلا أهله فقال يا أهلاه ما بطأني
ولا خلفني إلا الضن بك لا جرم والله لأكابدن المفاوز حتى ألحق برسول الله فركب ولحق به
ولم يكن لآخر إلا نفسه لا أهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني إلا حب الحياة لك والله
لأكابدن الشدائد حتى ألحق برسول الله فتأبط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن
يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن أبي ذر الغفاري أن بعيره أبطأ به فحمل متاعه على
ظهره واتبع أثر رسول الله ماشيا فقال رسول الله لما رأى سواده كن أبا ذر فقال الناس
هو ذاك فقال رسول الله رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن أبي
خيثمة أنه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير

وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة
حسناء ورسول الله في الضح والريح فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد
رسول الله طرفه إلى الطريق فإذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة فكانه
ففرح به رسول الله واستغفر له ومنهم من لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما
قفل رسول الله سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعدما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا
فقيل له ما خلفه إلا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما أعلم إلا فضلا
وإسلاما ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد
فلما مضت أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة إذا
أنا بنداء من ذروة سلع أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي
وضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وتتابعت البشارة فلبست
ثوبي وانطلقت إلى رسول الله فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام إلي طلحة
بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن أنساها لطلحة
وقال رسول الله وهو يستنير استنارة القمر أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك
منذ ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية وعن أبي بكر الوراق أنه سئل عن التوبة النصوح
فقال أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك
وصاحبيه مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله
نية وقولا وعملا أو الذين صدقوا في إيمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على
الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلاثة أي كونوا مثل
هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من أهل الكتاب أي كونوا مع
المهاجرين والأنصار ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم
وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح
الكذب في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجز اقرؤوا إن شئتم
وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه أمروا
بأن يصحبوه على البأساء والضراء ويكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتباط
وأن يلقوا أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بأنها أعز نفس عند الله وأكرمها
عليه فإذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الأنفس
أن تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها أصحابها ولا يقيمون لها وزنا وتكون أخف

شي واهونه فضلاً على ان يربأوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح
بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفه
وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب مشايعته
كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شي من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق
الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم
وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو
نيلا ولا يرزأونهم شيئا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح
واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز ان يراد
بالوطئ الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله عليه السلام اخر وطأة
وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ
الكفار يغيظهم وطؤه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا وان يكون بمعنى
المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وينكيهم ويلحقهم
ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي
وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الاية استشهد اصحاب ابي حنيفة رحمه
الله ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء
ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد
قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجر بن ابي امية
وزياد بن لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فاسهم
لهم وعند الشافعي لا يشارك المدد الغانمين وقرئ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال
ظمئ ظماءة وظماء ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة
مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم
والوادي كل منفرج بين جبال واكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودى
اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل
في وادي غيرك الا كتب لهم الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان
يرجع الضمير منه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم متعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل
الجزاء اللام لتاكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح
ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على

الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة
ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم
يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في
اخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار
قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه
من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة
في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب
حماليق احدهم اذا لمح مدرسة لاخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان
يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا
في الارض ولا فسادا لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا
ووجه اخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة
تبوك وبعدما انزل في المتخلفين من الايات الشداد استبق المؤمنون عن اخرهم الى النفير
وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة
منهم طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي
هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا
الضمير فيه للفرقة الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم
من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه يلونكم يقربون
منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب
ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز
ثم غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا
يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض
على كل اهل ناحية ان يقاتلوا من يليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر
انه سال عن قتال الديلم فقال عليك بالروم وقرئ غلظة بالحركات الثلاث
فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ
عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجراءة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف
في القتل والاسر ومنه ولا تاخذكم بهما رأفة في دين الله مع المتقين ينصرهم
من تقاه فلم يجترئ على عدوه فمنهم من يقول من المنافقين من يقول بعضهم لبعض

ايكم زادته هذه ايمانا انكارا واستهزاء بالمومنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل والعمل به وايكم مرفوع بالابتدا وقرئ عبيد بن عمير ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادته هذه ايمانا فزادتهم ايمانا لانها ازيد للعلم والثلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جدد بتجديد الله الوحي كفروا ونافقوا فازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم قرئ اولا ترون بالتاء يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله تعالى ثم لا ينتهون ولا يتوبون عن نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله ويعاينون امره وما ينزل الله عليه من نصرته وتاييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد وقيل معناه واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمومنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعايشة رضي الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله في قوله رؤف رحيم فان تولوا فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس العرش لا يقدر احد قدره وعن ابي بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة

وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر تعديد للحروف على طريق التحدي تلك آيات الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او وصف بصفة محدثه كقول الاعشى

وغريبة تاتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها

الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرئ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء والاجود ان تكون كان تامة وان اوحينا بدلا من عجب فان قلت فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا قلت معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله عز وجل انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء ان انذر الناس ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وان لهم الباء معه محذوفة قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فان قلت لم سميت السابقة قدما قلت لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى الصدق

دلالة على زيادة فضله فانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق وان هذا
الكتاب وما جاء به محمد لسحر ومن قرئ الساحر فهو اشارة الى رسول الله وهو دليل عجزهم ان هذا
واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر
معنى يقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في ادبار يدبر
الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا والامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات
والارض والعرش فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها
على عظمة شانه وملكه بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير
وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج
امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل
على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو
ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من
ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا تذكرون فان ادنى التفكر والنظر
ينبهكم على الخطا فيما انتم عليه اليه مرجعكم جميعا اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه
فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر موكد لقوله اليه مرجعكم حقا مصدر موكد
لقوله وعد الله انه يبدؤا الخلق ثم يعيده استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع
اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم
وقرئ انه يبدؤ الخلق بمعنى لانه او هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي
وعد الله وعد بدء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد
الله على لفظ الفعل ويبدئ من ابدا ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق
بدء الخلق كقوله احقا عباد الله ان لست جائيا ولا ذاهبا الا علي رقيب
وقرئ حق انه يبدؤ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو
متعلق بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا
ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحا لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم
والعصاة ظلام لانفسهم وهذا اوجه لمقابلته قوله بما كانوا يكفرون الياء في
ضياء منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف
على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق عقا والضياء اقوى من النور

وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل او قدره ذا منازل
كقوله والقمر قدرناه منازل والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام
والليالي ذلك اشارة الى المذكور اي ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة
البالغة ولم يخلقه عبثا وقرئ يفصل بالياء خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة
فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه
ببالهم لغفلتهم المفرطة عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق
او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف
ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله ارضيتم
بالحيوة الدنيا من الآخرة واطمأنوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا
واملوا بعيدا يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على
سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له
وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم في
الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في
صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا
خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله
النار فان قلت فلقد دلت هذه الآية على ان الايمان الذي يستحق
به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو ايمان مقيد وهو الايمان
المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق
له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها
بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم
اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه
دعواهم دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول
القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز ان يراد
بالدعاء العبادة واعتذر لكم وما تدعون من دون الله على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا
عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه
فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية

وآخر دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح أن يقولوا الحمد لله رب العالمين
ومعنى وتحيتهم فيها سلام أن بعضهم يحيي بعضاً بالسلام وقيل هي تحية الملائكة
إياهم إضافة للمصدر إلى المفعول وقيل هي تحية الله لهم وأن هي المخففة من الثقيلة
وأصله أنه الحمد لله على أن الضمير للشأن كقوله أن هالك كل من يحفى وينتعل
وقرئ أنّ الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر
تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير إشعاراً بسرعة إجابته
لهم وإسعافه بطلبتهم حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد أهل مكة وقولهم
فأمطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير
ونجيبهم إليه لقضي إليهم أجلهم لأميتوا وأهلكوا وقرئ لقضى إليهم أجلهم على
البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله لقضينا إليهم أجلهم
فإن قلت فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه قلت
قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم
أجلهم فنذرهم في طغيانهم أي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزاماً للحجة
عليهم لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه أي دعانا مضطجعاً أو قاعداً
أو قائماً فإن قلت فما فائدة ذكر هذه الأحوال قلت معناه أن المضرور
لا يزال داعياً لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها
كان منبطحاً عاجزاً عن النهوض متخاذل النوء أو كان قاعداً لا يقدر على القيام أو كان
قائماً لا يطيق المشي والمضطرب إلى أن يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمجهود
بتمامها ويجوز أن يراد أن من المضرورين من هو أشد حالاً وهو صاحب الفراش
ومنهم من هو أخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون
عن الدعاء واستدفاع البلاء لأن الإنسان للجنس مرّ أي مضى على طريقته الأولى قبل مس
الضر ونسي حال الجهد أو مرّ عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به
كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن قال كأن ثدياه حقان
كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان للمسرفين بوسوسته أو الله عز
وجل بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الإعراض عن الذكر واتباع الشهوات لما
ظرف لأهلكنا والواو في وجاءتهم للحال أي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج
والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا يجوز أن

يكون

يكون عطفاً على ظلموا وأن يكون اعتراضاً واللام لتأكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون
حقاً تأكيداً لنفي إيمانهم وأن الله قد علم منهم أنهم مصرون على كفرهم وأن الإيمان
مستبعد منهم والمعنى أن السبب في إهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله أنه لا فائدة
في إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الإهلاك نجزي
كل مجرم وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله وقرئ يجزي
بالياء ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم أي استخلفناكم
في الأرض بعد القرون التي أهلكنا لننظر أتعملون خيراً أو شراً فنعاملكم على حسب
عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لأن معنى الاستفهام فيه يحجب أن يتقدم
عليه عامله فإن قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت
هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجوداً شبه بنظر الناظر وعيان المعاين
في تحققه غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت
بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك أو بدله بأن تجعل مكان آية
عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فأمر بأن يجيب عن التبديل لأنه
داخل تحت قدرة الإنسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما أنزل وأن يسقط
ذكر الآلهة وأما الإتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للإنسان ما يكون لي ما
يصح لي وما يحل كقوله ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق أن أبدله من تلقاء نفسي من
قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير أن يأمرني بذلك ربي إن أتبع إلا ما يوحى إلي لا آتي
ولا أذر شيئاً من ذلك إلا متبعاً لوحي الله وأوامره إن نسخت آية تبعت النسخ وإن بدلت
آية مكان آية تبعت التبديل وليس إلي تبديل ولا نسخ إني أخاف إن عصيت ربي
بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم فإن قلت أما ظهر وتبين
لهم العجز عن الإتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا قلت بلى ولكنهم
كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على
الله كذباً فينسبونه إلى الرسول ويزعمونه قادراً عليه وعلى مثله مع علمهم بأن
العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها إذا عجزوا عنه كان الواحد منهم أعجز فإن قلت
لعلهم أرادوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي كما أتيت بالقرآن من جهته وأراد
بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي ولا يمكنني أن أبدله قلت يرده قوله إني أخاف إن
عصيت ربي فإن قلت فما كان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم في هذا الاقتراح

وآخر دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح أن يقولوا الحمد لله رب العالمين
ومعنى وتحيتهم فيها سلام أن بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة
إياهم إضافة للمصدر إلى المفعول وقيل هي تحية الله لهم وأن هي المخففة من الثقيلة
وأصله أنه الحمد لله على أن الضمير للشأن كقوله أن هالك كل من يحفى وينتعل
وقرئ أن الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد أصله ولو يعجل الله للناس الشر
تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير إشعارا بسرعة إجابته
لهم وإسعافه بطلبتهم حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد أهل مكة وقولهم
فأمطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير
ونجيبهم إليه لقضي إليهم أجلهم لأميتوا وأهلكوا وقرئ لقضى إليهم أجلهم على
البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله لقضينا إليهم أجلهم
فإن قلت فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه قلت
قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم
أجلهم فنذرهم في طغيانهم أي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزاما للحجة
عليهم لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه أي دعانا مضطجعا أو قاعدا
أو قائما فإن قلت فما فائدة ذكر هذه الأحوال قلت معناه أن المضرور
لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها
إن كان منبطحا عاجزا عن النهوض متخاذل النوء أو كان قاعدا لا يقدر على القيام أو كان
قائما لا يطيق المشي والمضطرب إلى أن يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمجهود
بتمامها ويجوز أن يراد أن من المضرورين من هو أشد حالا وهو صاحب الفراش
ومنهم من هو أخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون
عن الدعاء واستدفاع البلاء لأن الإنسان للجنس مر أي مضى على طريقته الأولى قبل مس
الضر ونسي حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به
كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن قال كأن ثدياه حقان
كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان للمسرفين بوسوسته أو الله عز
وجل بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الإعراض عن الذكر واتباع الشهوات لما
ظرف لأهلكنا والواو في وجاءتهم للحال أي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج
والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا يجوز أن

يكون

يكون عطفا على ظلموا وأن يكون اعتراضا واللام لتأكيد النفي يعني وما كانوا ليؤمنوا
حقا تأكيدا لنفي إيمانهم وأن الله قد علم منهم أنهم مصرون على كفرهم وأن الإيمان
مستبعد منهم والمعنى أن السبب في إهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله أنه لا فائدة
في إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الإهلاك نجزي
كل مجرم وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله وقرئ يجزي
بالياء ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم أي استخلفناكم
في الأرض بعد القرون التي أهلكناها لننظر أتعملون خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب
عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لأن معنى الاستفهام فيه يحجب أن يتقدم
عليه عامله فإن قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت
هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين
في تحققه غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت
بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك أو بدله بأن تجعل مكان آية
عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فأمر بأن يجيب عن التبديل لأنه
داخل تحت قدرة الإنسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما أنزل وأن يسقط
ذكر الآلهة وأما الإتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للإنسان ما يكون لي ما
ينبغي لي وما يحل لي كقوله ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق أن أبدله من تلقاء نفسي من
قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير أن يأمرني بذلك ربي إن أتبع إلا ما يوحى إلي لا آتي
ولا أذر شيئا من ذلك إلا متبعا لوحي الله وأوامره إن نسخت آية تبعت النسخ وإن بدلت
آية مكان آية تبعت التبديل وليس إلي تبديل ولا نسخ إني أخاف إن عصيت ربي
بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم فإن قلت أما ظهر وتبين
لهم العجز عن الإتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا قلت بلى ولكنهم
كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على
الله كذبا فينسبونه إلى الرسول ويزعمون أنه قادر عليه وعلى مثله مع علمهم بأن
العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها إذا عجزوا عنه كان الواحد منهم أعجز فإن قلت
لعلهم أرادوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي كما أتيت بالقرآن من جهته وأراد
بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي ولا يمكنني أن أبدله قلت يرده قوله إني أخاف إن
عصيت ربي فإن قلت فما كان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم في هذا الاقتراح

قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قران بقران فقمه الله من عندك وانك
قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار
الحال وانه ان وجد منه تبدلا فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعل
التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله لو شاء الله ما تلوته عليكم بيعني ان تلاوته
ليست الا بمشية الله واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي
لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشا في بلد فيه علماء فيقرا عليهم
كتابا فصيحا بهر كل كلام فصيح ويعلوا على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم
الفروع والاصول واخبارا مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى
وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره
وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم به ولا
ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني وقرئ الحسن لا ادراتكم به على لغة من يقول
اعطأته وارضأته في معنى اعطيته وارضيته وتعضده قراءة ابن عباس ولا انذرتكم
به ورواه الفراء ولا ادرأتكم به بالهمز وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف
همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وحلأت السويق وذلك لان الالف والهمزة
من واد واحد الا ترى ان الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من درأته
اذا دفعته وادرأته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء
تدرءونني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولأدراكم بلام الابتداء لاثبات
الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولا علمكم به على لسان غيري
ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر
الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا
فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان
فتتهموني باختراعه افلا تعقلون فتعلمون انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب
عما دسوه تحت قولهم ائت بقران غير هذا من اضافة الافتراء اليه فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان
يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جماد
لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها لم ينفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم
ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف

يعبدون

يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل واسافا ونايلة وكانوا
يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيمة شفعت
لي اللات والعزى اتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء
بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن
شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه فان قلت كيف انباؤهم
الله بذلك قلت هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام
واعلام بان الذي انبؤا به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق
به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ اتنبئون بالتخفيف وقوله في السموات ولا في
الارض تاكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم تشركون قرئ بالياء والتاء
وما موصولة او مصدرية اي عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم وما كان الناس
الا امة واحدة حنفا متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد
ادم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين
ديارا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة لقضي بينهم
عاجلا فيما اختلفوا فيه ولميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتاخير لحكمة اوجبت
ان يكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب ويقولون لولا
انزل عليه اية من ربه اي اية من الايات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون
بما انزل عليه من الايات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على احد من الانبياء مثلها وكفى
بالقران وحده اية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الايات دقيقة المسلك
من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكانه لم ينزل عليه اية قط حتى قالوا لولا
انزل عليه اية واحدة من ربه لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي
فقل انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب المستاثر به لا علم لي ولا لاحد به
يعني ان الصارف عن انزال الايات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا
نزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الايات
سلط الله القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم
طفقوا يطعنون في ايات الله ويعادون رسول الله ويكيدونه واذا الاولى
للشرط والاخرى جوابها وهي اذا المفاجاة والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة
المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فان قلت ما

ولذلك قالوا ان القران يتلوه تصديقا لا يستهزؤا وكتابه على حاله وانه يغفل اعنى عن القصص والتشبيه وكذا الانبياء قبله من التوحيد والمواعظ
حسبت ولم ادر كيف جميع حجج ادريت الكافرون والقران عند الثاني

لعنه الله اياه لانه قد يقولون
ورب البيت ويعقل القيمة
الى صلوات واعطونه
وسمعها اللات
ليلهم الاحبار لا الطف

وجعل لهم ان تعديهم الذي هو
لم يكن الا سحقا عملا عمرانا
عندهم يظنهم

وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله أسرع مكرا قلت بلى ولكن على ذلك كلمة
المفاجاة كانه قيل وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجوا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه
قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريث ما يسيغون فيه غصتهم والمعنى ان
الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون في اطفاء نور الاسلام
ان رسلنا يكتبون اعلام بان ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم
وقرئ يمكرون بالياء والتاء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن ابي هريرة ان
الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة بها كافرين يقولون مطرنا
بنوء كذا وقرأ زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا في الارض ثم اذا انتم بشر تنتشرون
فان قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر
انما هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر
ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم
حتى اذا وقعت هذه وكان كيت وكيت من مجي الريح العاصف وتراكم الامواج والظن
للهلاك والدعا بالانجا فان قلت ما جواب اذا قلت جاءتها فان قلت دعوا
قلت بدل من ظنوا لان دعاهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فان قلت
ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت المبالغة كانه يذكر لغيرهم
حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منه الانكار والتقبيح فان قلت ما وجه قراءة ام
الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب قلت قيل هما زائدتان كما في الخارجي
والاحمري ويجوز ان يراد به اللج والما الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه والضمير في جرين لانه جمع
فلك كالاسد في فعل اخي فعل وفي قراءة ام الدرداء للفلكي ايضا لان الفلكي يدل
عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع امكنة
الموج احيط بهم اي اهلكوا جعل احاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك مخلصين له الدين
من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن انجيتنا على ارادة القول او لان
دعوا من جملة القول يبغون في الارض يفسدون فيها ويعيثون مترامين
في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد فان قلت ما
معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى هو استيلا المسلمين على ارض
الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله ببني
قريظة وقرئ متاع الحيوة الدنيا بالنصب فان قلت ما العامل فيه قلت

اذا رفعت كان المتاع خبر المبتدا الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله
فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض
منفعة الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد لا بقا لها واذا نصبت فعلى انفسكم خبر
غير صلة معناه انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد
كانه قيل يتمتعون متاع الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع الحيوة
الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا
تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه صلى الله
عليه اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي
ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل
على جبل لدك الباغي وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في اخيه

يا صاحب البغي ان البغي مصرعة ... فاربع فخير فعال المرء اعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل ... لاندك منه اعاليه واسفله

وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما
بغيكم على انفسكم هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها
وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما
بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك
بسببه حتى خالط بعضه بعضا اخذت الارض زخرفها وازينت كلام فصيح
جعلت الارض اخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من
كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين واصل ازينت تزينت فادغم
وبالاصل قرأ عبد الله وقرئ وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت اي
صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون
من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا وهو ضرب زرعها
ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها
حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله كان لم تغن كان لم يغن
زرعها اي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى
وقرئ كان لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن
مروان انه قرأ على المنبر كان لم تتغن بالامس قول الاعشى

طويل النجاد طويل العنق والأمس مثل في الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا
دار السلام الجنة أضافها إلى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لأن أهلها سالمون
من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم إلا قيلا سلاما سلاما ويهدي
ويوفق من يشاء وهم الذين علم أن اللطف يجدي عليهم لأن مشيته المثوبة الحسنى وزيادة وما
يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة
غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف
وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة أن تمر السحابة بأهل
الجنة فتمطرهم ما يريدون وتقول ما تريدون أن أمطركم فلا يريدون شيئا إلا أمطرتهم وزعمت المجبرة والمشبهة
أن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرفوع إذا دخل أهل الجنة الجنة
نودوا أن يا أهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو
أحب إليهم منه لا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة
ولا أثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار إذكارا بما ينقذهم
منه برحمته ألا ترى إلى قوله تعالى وترهقها قترة وترهقهم ذلة فإن قلت ما وجه
قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم قلت لا يخلو إما
أن يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين أحسنوا كأنه قيل وللذين كسبوا معطوفا
على قوله السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم أن تجازى سيئة واحدة بسيئة
مثلها لا يزاد عليها وهذا أوجه من الأول لأن في الأول عطفا على عاملين وإن كان
الأخفش يجيزه وفي هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل لأنه دل بترك الزيادة
على السيئة على عدله ودل ثم بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله وترهقهم
ذلة بالياء ما لهم من الله من عاصم أي لا يعصمهم أحد من سخط الله تعالى وعذابه ويجوز ما لهم
من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين مظلما حال من الليل ومن قرأ قطعا
بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له ويعضده قراءة أبي بن كعب كأنما
يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم فإن قلت إذا جعلت مظلما حالا من الليل
فما العامل فيه قلت لا يخلو إما أن يكون أغشيت من قبل أن من الليل
صفة لقوله قطعا فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة وإما أن يكون
معنى الفعل في من الليل مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وأنتم
أكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ

وشركاءكم على أن الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا
بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف
وتبرؤا أشركاؤهم منهم ومن عبادتهم كقوله أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون فاتصلوا
عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقوله صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته ما كنتم إيانا
تعبدون إنما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا لله أندادا فأطعتموهم
إن كنا هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما والمراد بالشركاء الملائكة والمسيح
ومن عبدوه من دون الله من أولي العقل وقيل الأصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم
بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها أطماعهم هنالك في ذلك المقام وفي
ذلك الموقف أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر
وتذوق ما أسلفت من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول
أم مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى
السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل أي نختبرها باختبار ما أسلفت
من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها إن كان حسنا فهي سعيدة وإن كان
سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا
ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر وقرئ
تتلو أي تتبع ما أسلفت لأن عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة أو إلى طريق
النار أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر مولاهم الحق ربهم الصادق
ربوبيته لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة أو الذي يتولى حسابهم
وثوابهم العدل الذي لا يظلم أحدا وقرئ الحق بالنصب تأكيد قوله ردوا إلى الله
كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل أو على المدح كقولك الحمد لله أهل الحمد وضل
عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء الله أو بطل
عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة من السماء والأرض أي يرزقكم منهما
جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته أمن يملك
السمع والأبصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة
العجيبة أو من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان
يؤذيهما أدنى شيء بكلاءته وحفظه ومن يدبر الأمر ومن يلي تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم
بعد الخصوص فلا تتقون أفلا تتقون أنفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما أنتم

بصدده من الضلال ذلكم اشاره الى من هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته
ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما
فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الاشراك
وعن السعاده الى الشقا كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعده
الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا تمردوا
في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه وانهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء
الايمان وعلم الله منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله انهم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن
او اراد بالكلمة العده بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون فان
قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعاده
قلت قد وضعت اعاده الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان
مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم لها
منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لرسوله قل الله يبدأ الخلق ثم
يعيده فامره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان
ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى
بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله تعالى امن لا يهدي
وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت
الهاء حركة التاء وكسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ
الا ان يهدى من هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم تهدى والمعنى ان الله وحده
هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة
التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع
فهل من شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد من اشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي
الى الحق مثل هداية الله ثم قال افمن يهدي الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي
لا يهدي الا ان يهدى اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه ام من
لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح
منه الاهتداء الا ان ينقله او لا يهتدي لا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله
الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد
لله وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير مستند الى برهان عندهم

ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام
انها آلهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله عليم وعيد على
ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون بالتاء وما كان هذا القرآن ان يفترى
من دون الله ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه
معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها كقوله هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ
ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى
وما كان ان يفترى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو امره واعجازه
مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم
فان قلت بم اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين قلت هو داخل في حيز الاستدراك
كانه قيل ولكن كان تصديقا وتفصيلا منفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين
ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون
من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول
زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتراه بل ايقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير
لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان قل ان كان الامر
كما تزعمون فأتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله فانتم مثله في العربية والفصاحة
ومعنى بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على
الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه
للاستعانة به على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر على ان يأتي بمثله لا يقدر
على ذلك احد غيره فلا تستعينوا به وحده ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه
افتراه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤوه في بديهة السماع قبل ان
يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط
نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية
اذا احس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه والفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة
وبيان الاستقامة انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة
سمعه من غير فكر في صحته او فساده لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه
من المذاهب فان قلت ما معنى التوقع في قوله ولما يأتهم تأويله قلت معناه
انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد

التدبر وثم اذا وعيا اذا قدمهم بالتشرع الى التكذيب قبل العلم به وحاملكم التوقع بهم
انهم علموا بعد علق شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدي وزاز وا قواهم في المعارضة
واستعنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك اى مثل ذلك التكذيب
كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبيا وقبل تدبرها من غير انصاف من
انفسهم ولكن تقليد الاباء وعنادا وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان
يكون معنى ولما ياتهم تاويله ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اى عاقبته
حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن
جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان نظروا في نظمه وبلوغه
حد الاعجاز وقبل ان جربوا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به
من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق
به او يكون للاستقبال اى ومنهم من يؤمن به ومنهم من يصر وربك اعلم بالمفسدين
بالمعاندين والمصرين وان كذبوك وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم
وخلهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بري وقيل هو منسوخة باية السيف
ومنهم من يستمعون اليك معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت
الشرايع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون ومنهم ناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق
واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم
الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه
دوي الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر وانحسب انك تقدر
على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة
قد يحدس ويتظنى واما العمي مع الحمق فجهد البلا يعني انهم في اليأس من ان يسلموا
ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر ولقوله افانت افانت دلالة على
انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر والالجا كما لا يقدر على رد الاصم
والاعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل الا هو وحده ان الله لا
يظلم الناس شيئا اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب
ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين
يعني ان ما يلحقهم يوم القيمة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب
ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه الا ساعة من النهار

يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون يتعارفون
بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور
ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون
كيف موقعهما قلت اما الاولى فحال منهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة
لان التعارف لا يبقى واما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف واما ان يكون مبينة
لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا
قد خسر على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هي شهادة من الله تعالى
على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين
للتجارة عارفين بها وهو استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم فالينا مرجعهم
جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم
في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الاخرة فان قلت الله
شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها
ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرئ ابن ابي عبلة
ثم بالفتح اي هنالك ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة
حين تنطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة رسول يبعث
اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه ولم
يتبعوه قضي بينهم اى بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون
كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول
تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله وجيء
بالنبيين والشهداء وقضي بينهم متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا
له لا املك لنفسي ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله
لان السيء وان كان من جنس المستثنى منه لكن ليس المعنى على اخراجه من حكمه ولهذا جعل الحكم
استثناء منقطعا اي ولكن ما شاء الله من ذلك كاين فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب
لكل امة اجل يعني ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان اذا جاء
ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرئ ابن سيرين فاذا جاء اجالهم
بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فان قلت هلا قيل ليلا او نهارا قلت
لانه اريد ان اتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون
كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله

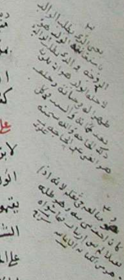
نهارا معاشه وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب وعوه بياتا وهم نائمون
متى وهم يغفلون الصحو في منه للعذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب
للنفار فاي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه
قيل اي شيء هول شديد تستعجلون منه ويجب ان يكون من البيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه
لله فان قلت بم تعلق الاستفهام واين جواب الشرط قلت تعلق بأرأيتم لان
المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا
على الاستعجال او تعرفوا الخطأ فيه فان قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه قلت
اريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب
على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وان ابطأ فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا يستعجل
منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بأرأيتم وان يكون
اثم اذا ما وقع امنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان
اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على
ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله افأمن اهل القرى اوامن اهل القرى آلآن على
ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الآن امنتم به وقد كنتم
به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب
والانكار وقرئ آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا
عطف على قيل المضمر قبل آلآن ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون أحق هو
استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقرأ الاعمش آلحق هو وهو ادخل
في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك ان اللام للجنس فكانه قيل
أهو الحق لا الباطل او هو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود واي
بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون
في التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين
بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ولو ان لكل نفس ظلمت صفة لنفس على ظالمة
ما في الارض اي ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت
به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا
الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا
من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا

ما سوى
ما فعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب
يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل
اسروا الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها
اخلصوها اما لان اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم
وباخلاصهم وقيل اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره وليس
هناك تجلد وقضي بينهم اي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك
الاعلام بان له الملك كله وانه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو
حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع
ليعلم ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون قد جاءتكم موعظة اي قد
جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وهو شفاء اي دواء
لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق ورحمة لمن امن به منكم اصل الكلام
بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير
وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد
الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء
فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فبذلك
فبمجيئهما فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وقراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما روي وعنه لتاخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات
وفي قراءة ابي فافرحوا هو راجع الى ذلك وقرئ مما تجمعون بالياء والتاء وعن ابي بن كعب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام
وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه أرأيتم اخبروني وما انزل الله اي
انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله هذه
انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
آلله اذن لكم متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني آلله اذن لكم
في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام تتكذبون على الله في نسبة ذلك اليه
ويجوز ان يكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا
للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسال عنه من الاحكام وباعثة
على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد في شيء جائز او غير جائز الا بعد ايقان

واتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله يوم القيمة
منصوب بالظن وهو ظرف واقع فيه يعني اي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه
وهو يوم الجزا بالاحسان والاسا وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره وقرى عيسى بن عمر وما
ظن على لفظ الفعل ومعناه واي ظن ظنوا يوم القيمة وجي به على لفظ الماضي لانه كائن فكان
قد كان ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم
الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه وما تكون
في شان ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشان الامر واصله
الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في منه للشان لان تلاوة
القران شان من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شانه او
للتنزيل كانه قيل وما تتلو من التنزيل من قران لان كل جزء منه قران والاضمار قبل الذكر
تفخيم له او لله عز وجل ولا تعملون انتم جميعا من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا
شاهدين رقباء نحصي عليكم اذ تفيضون فيه من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما يعزب
قرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر لقراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتدا
ليكون كلاما براسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا
في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قوله لا يعزب عنه شيء الا في كتاب مشكل
فان قلت لم قدمت الارض على السما بخلاف قوله في سورة سبا عالم الغيب لا يعزب عنه
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض قلت حق السما ان تقدم على الارض
ولكنه لما ذكر شهادته على شئون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك
قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السما على ان العطف بالواو وحكمه
حكم التثنية الا ان اوليا الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر
ذلك في قوله الذين امنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى في الحيوة
الدنيا وفي الاخرة فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل عن اوليا الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن
ابن عباس رضي الله عنه الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر
رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم
بانبيا ولا شهدا يغبطهم الانبيا والشهدا يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول

الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام
بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون
اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الاية الذين امنوا نصب او رفع على
المدح او على وصف الاوليا او على الابتدا والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله
به المؤمنين المتقين في غير مكان في كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا
الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات
وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابي ذر قلت لرسول الله الرجل يعمل
العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطا لهم البشرى عند الموت
تاتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا
بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة
وما يرون من بياض وجوههم واعطا الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من
البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله
ما يبدل القول لدي وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم وكلتا الجملتين اعتراض
ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك من احزنه قولهم تكذيبهم لك وتهديدهم وتشاورهم في تدبير
هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شانك ان العزة استئناف بمعنى
التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اي ان الغلبة والقهر
في ملكة الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك
عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرا ابو حيوة انّ العزة بالفتح
بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو
تخريجه لا ما انكره من القراءة به هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون
ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض يعني العقلاء المميزين
وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفي مملكته فهم
عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا
له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا وشريكا وليدل على ان من اتخذ
غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه
التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبعون شركا اي وما يتبعون حقيقة الشركا
وان كانوا يسمونها شركا لان شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون الا الظن انهم شركا

وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون ان يكون شركا تقديرا باطلا ويجوز ان يكون **وما يتبع** في معنى الاستفهام يعني واي شي يتبعون وشركا على هذا انتصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع **الذين يدعون من دون الله شركا** شركا فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركا اي وله شركاوهم وقرى علي بن ابي طالب رضوان الله عليه تدعون بالتا ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي شي يتبع الذين تدعونهم شركا من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هولا المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها ان يوحدوه بالعبادة بانه **جعل لهم الليل** مظلما **ليسكنوا فيه** مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش **والنهار** مبصرا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم **لقوم يسمعون** سماع معتبر مدكر **سبحانه** تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقا **هو الغني** علة لنفي الولد لانه ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا **له ما في السموات وما في الارض** فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا **ان عندكم من سلطان بهذا** ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان **اتقولون على الله ما لا تعلمون** لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم **يفترون على الله الكذب** باضافة الولد اليه **متاع في الدنيا** اي افتراوهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقا المويد بعدها **كبر عليكم** عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وتعاظمه الامر **مقامي** مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مددا طوالا الف سنة الا خمسين عاما او مقامي **وتذكيري** لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم



ليكون

ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود **فاجمعوا امركم وشركاكم** من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال هل اغدون يوما وامري مجمع والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرى فاجمعوا امركم وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرى فاجمعوا امركم من الجمع وشركاكم نصب للعطف على المعنى او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاكم فان قلت كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركا قلت على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاكم ثم كيدون فان قلت ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكن عليهم غمة قلت اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله اي ولا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به **ثم اقضوا الي** ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه وتصحيحه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه **ولا تنظرون** ولا تمهلوني وقرى ثم افضوا الي بالفاء بمعنى ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضا اي اصحروا به الي وابرزوه لي **فان توليتم** فان اعرضتم عن تذكيري ونصيحتي **فما سالتكم من اجر** فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم **ان اجري الا على الله** وهو الثواب الذي يثيبني به في الاخرة اي ما نصحتكم ~~على تعليمهم الدين شيئا~~ الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا **وامرت ان اكون من المسلمين** الذين لا ياخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم

ما تورثه والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم
يكن عن تفريط منه في شيء قط الا ترى انهم على الطريق الذي يعاب ثقله ولا داعي
لعنادهم وتمردهم الا عنادهم فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في اخر المدة المتطاولة
كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف يخلفون
الهالكين بالغرق كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم
رسول الله عن مثله وتسلية له من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا
وابرهيم ولوطا وشعيبا فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا
ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه
بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين
بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد
كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار مجرى
الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء
ووصفهم به من بعدهم من بعد الرسل بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن
قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا
عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك عظائم
استكبروا عنها واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق
وانه من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر
مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا فان
قلت هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون اسحر
هذا قلت فيه اوجه ان يكون معنى قوله اتقولون للحق اتعيبونه وتطعنون
فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس
تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم
ثم قال أسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول اتقولون
وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين كانه قيل اتقولون ما تقولون يعني قولهم ان
هذا السحر مبين ثم قيل اسحر هذا وان يكون جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون
حكاية لكلامهم كانهم قالوا اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى
للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان

ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الاصنام
وتكون لكما الكبرياء اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك
الجبار ووصف بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله
ملكه ملك رافة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من ذلك
ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما اذا ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى عليه
السلام ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي بمصدقين
لكما فيما جئتما به وقرئ ويكون لكما الكبرياء بالياء ما جئتم به ما موصولة واقعة
مبتدأ والسحر خبر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من ايات
الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء جئتم
به اهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ ابي ما اتيتم به سحر والمعنى لا ما
اتيت به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة
لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته
بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيئته فما امن لموسى في اول امره الا
ذرية من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه
وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف
وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امراته وخازنه
وامراة خازنه وماشطته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله وملئهم
قلت الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب
يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف
بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل
عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر
وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية ان كنتم امنتم
بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون
ثم شرط في العصمة الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها له سالمة
خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام
ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان
القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك

ما كانوا عليه فوته وجعلهم حلقا في ايضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض
اليه فعليه برفض التخليط إلى الاخلاص **لا تجعلنا فتنة** موضع فتنة لهم اي
عذاب يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان
هؤلاء على الحق لما اصيبوا تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا
والمعنى اجعلا **بمصر بيوتا** من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة
والصلاة فيه **واجعلوا بيوتكم قبلة** اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان
موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول الامر مأمورين بان يصلوا في بيوتهم
في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون
على ذلك في اول الاسلام بمكة فان قلت كيف نوع الخطاب فثنى اولا ثم جمع ثم
وحد اخرا قلت خوطب موسى وهرون عليهما السلام ان يتبوءا لقومهما بيوتا
ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما
باتخاذ المساجد والصلاة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلوات الله
عليه بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها الزينة ما يتزين بها من لباس
او حلي او فراش او اثاث او غير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى
ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فان قلت
ما معنى قوله **ربنا ليضلوا عن سبيلك** قلت هو دعاء بلفظ الامر كقوله
تعالى ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم ايات الله وبيناته عرضا مكررا
وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم
عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين وراهم لا يزيدون على عرض الايات
الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم
بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي
لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته
لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله
الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم
لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال
ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا
وما علي منهم هم احق بذلك واحق كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر اذا

لم يقبل منه حسرة على ما فاته من تقديم لصحبته وجزاء علىه لانه وتخلا عنه
واتباعه هواه ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان **فلا
يؤمنوا** جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في
ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا وقوله
فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله **ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم**
دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرا الفضل الرقاشي أئنك آتيت
على الاستفهام واطمس بضم الميم وقرئ **دعواتكما** قيل كان موسى يدعو وهرون
يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن
ولكن في وقته **فاستقيما** فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد
لبث نوح في قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلا قيل مكث موسى بعد الدعاء
اربعين سنة **ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون** اي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة
الله في تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح
عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة
وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع وقرأ الحسن
وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت الاعشى
واذا تجوزها حبال قبيلة لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا بني
اسرائيل في البحر كما قال كما جوز السكي في الباب فيتق **فاتبعهم**
فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته وقرأ الحسن **وعدوا** وقرئ **انه** بالفتح على
حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف وبدلا من آمنت
كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول
ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت
المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف **آلآن** اتؤمن
الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل
قال ذلك حين الجمه الغرق يعني حين اوشك ان يغرق وقيل قاله بعد ان غرق
في نفسه والذي يحكى انه حين قال آمنت اخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه
فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من قوله
خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان

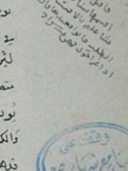
أحدهما أن الإيمان يصح بالقلب كإيمان الأخرس فحال البحر لا يمنعه والأخرى
أن من كره إيمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر لأن الرضى بالكفر كفر من
المفسدين من الضالين المضلين عن الإيمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم
عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون روي أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا ما قول
الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة
دونه فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على
سيده الكافر نعماءه أن يغرق في البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه
ننجيك بالتشديد والتخفيف بعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك
بنجوة من الأرض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك أنه طرح بعد
الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء إلى الساحل كأنه ثور ببدنك في موضع الحال
أي في الحال التي لا روح فيك وإنما أنت بدن أو ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه
شيء ولم يتغير أو عريانا لست إلا بدنا من غير لباس أو بدرعك قال عمرو بن
معدي كرب • أعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد •
وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ أبو حنيفة رحمه الله عليه بأبدانك وهو على
وجهين إما أن يكون مثل قولهم هوى بأجرامه يعني ببدنك كله وافيا بأجزائه
أو يريد بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها لمن خلفك آية لمن وراءك من الناس
علامة وهم بنو إسرائيل وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأنا من أن يغرق
وروي أنهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت أبدا وقيل أخبرهم موسى
عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله عز وجل على الساحل حتى عاينوه
وكأن مطرحه كان على ممر من بني إسرائيل حتى قيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك من القرون
ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته ومهانته وأن ما كان يدعيه من الربوبية
باطل محال وأنه مع ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء الملك آل أمره إلى ما ترون
لعصيانه ربه فما الظن بغيره أو لتكون عبرة يعتبر بها الأمم بعدك فلا يجترؤوا
على نحو ما اجترأت عليه إذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله وقرئ لمن خلقك
بالقاف أي ولتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز أن يراد ليكون طرحك على
الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس أمرك ولئلا
يقولوا لادعائك العظمة إن مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله

التي

التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا أن ذلك تعمد منه لإماطة الشبهة في أمرك •
مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما
تشعبوا فيه شعبا إلا من بعد ما قرؤوا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم
الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا أن الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل
هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني إسرائيل وهم أهل الكتاب اختلافهم
في صفته ونعته وأنه هو أم ليس به بعد ما جاءهم البينات والبيان أنه هو
لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
أبناءهم فإن قلت كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن كنت
في شك مما أنزلنا إليك مع قوله في الكفرة وإنه لفي شك منه مريب قلت فرق
عظيم بين قوله وإنهم لفي شك منه مريب بإثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق
وبين قوله فإن كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كأنه قيل فإن وقع لك شك مثلا وخيل
لك الشيطان خيالا منه تقديرا فاسأل الذين يقرؤون الكتاب والمعنى أن الله
عز وجل قدم ذكر بني إسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر
رسول الله مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل وهم يعرفونه كما يعرفون
أبناءهم فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد عليه السلام ويبالغ
في ذلك فقال فإن وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في
الدين أن يسارع إلى حلها وإماطتها إما بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته وإما
بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء أهل الكتاب يعني أنهم من الإحاطة
بصحة ما أنزل إليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومساءلتهم فضلا
عن غيرك فالغرض وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق
من ربك أي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة أن ما أتاك هو الحق الذي لا مدخل
فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله أي فاثبت
ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز أن يكون
على طريقة التهييج والإلهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن
آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام
عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك

وما أنا من الشاهدين انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل خوطب رسول الله والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك فسئل يعني لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابرهيم بمعاينة احيا الموتى وقرئ فاسال الذين يقرؤن الكتب حقت عليهم كلمت ربك ثبتت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملئكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا كانت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرئ في حرف ابي وعبد الله فهلا كانت الا قوم يونس استثنى من القرى لان المراد اهاليها وهو استثنى منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما امنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثنى وقرئ بالرفع على البدل هكذا روي عن الجرمي والكسائي روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك امنا بك فلما مضت خمسة وثلاثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونساهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النسا والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشورا يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمايهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك مشية القسر والالجا لآمن من

الارض



الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله افانت تكره الناس يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلا الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم الله انها تؤمن الا باذن الله بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ ونجعل بالنون ماذا في السموات والارض من الايات والعبر وما تغني الايات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية ايام الذين خلوا من قبلهم وقايع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقايعها ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين امنوا ومن امن معهم كذلك ننجي المومنين مثل ذلك الانجا ننجي المومنين منكم ونهلك المشركين حقا علينا اعتراض يعني حق ذلك حقا وقرئ ننجي بالتشديد يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون الله ولكن اعبد الله الذي خلقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شي وامرت ان اكون من المومنين يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني وما انا عليه أأثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى قل يا ايها الكفرون لا اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون اصله بان اكون فحذف



الجار وهذا اصله لحذف يحمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف
الجارة مع أنْ وأنّ وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله في امرتك الخير
فاصدع بما تؤمر فان قلت عطف قوله وان أقم على ان اكون فيه اشكال لان
أن لا تخلو من ان تكون التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تاويل المصدر فلا يصح
ان تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يأبى
ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم
لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه
ان توصل أن بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض
وصلها بما يكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من
الافعال أقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين
او من الوجه فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر
كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك
ان الشرك لظلم عظيم اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر
ان الله عز وجل هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو
وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان ارادك بخير لم يرد
احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن بان توجه
اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني
برحمة هل هن ممسكات رحمته فان قلت لم ذكر المس في احدهما والارادة
في الثاني قلت كأنه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة
في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب
به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الآخر
ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء
من عباده والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على
الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال
فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد
ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما

انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير
واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم
والغلبة وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار
فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الآية
بالصبر على ما ساماني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة
قال انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة رضي الله عنه تخلف عن تلقي معاوية
حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال
لم تكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي
اثرة قال معاوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذا
نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... أمير الظالمين نثى كلامي
بأنا صابرون فمنظروكم ... إلى يوم التغابن والخصام

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

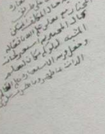
سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر احكمت آياته نظمت نظما
رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا
بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله تعالى آيات الكتاب
الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة
لتمنعها من الجماح قال جرير ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا
وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل
التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وآية
آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد
اي بين ولخص وقرئ احكمت آياته ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة
والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل فان قلت ما معنى ثم قلت
ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة

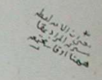
بجمل التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدا محذوف
واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا
بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت اى من عنده احكامها وتفصيلها وفيه
طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور
الا تعبدوا مفعول له على معنى لئلا تعبدوا او تكون ان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى
القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا
اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدا منقطعا عما قبله
على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه
قوله انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير
وبشير من جهته كقوله رسول من الله او هي صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه
ان كفرتم وابشركم بثوابه ان امنتم فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه
قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا
والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم
يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة
الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله
ويعط في الاخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه
او فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات
وان تولوا وان تتولوا عذاب يوم كبير هو يوم القيمة ووصف بالكبر كما وصف
بالعظم والثقل ثم بين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شي فكان
قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ وان تولوا من ولى يثنون صدورهم
يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشي استقبله بصدره ومن ازور
عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون
ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمومنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود
المعنى الى اضماره في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق
ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفا حين يستغشون ثيابهم
ايضا كراهة لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في اذانهم
واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني انه لا تفاوت في علمه

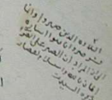
الاضمار في

بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفا والله
مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ونفاقهم غير نافق عنده روي انها نزلت
في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق
حلو وحسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله مجالسته ومحادثته وهو يضمر
خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ تثنوني صدورهم واثنوني
افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس
لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن بكسرها مشدد ثم وهو ما
هش وضعف من الكلا يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات او اراد
ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل
ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي فان قلت كيف قال
على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت هو تفضل الا انه لما
ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر
مكانه من الارض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من
صلب او رحم او بيضة كل كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها
في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وكان عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق
قبل خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش
والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والارض وقيل كان الماء على متن الريح والله
اعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما زادت الاجرام
كانت احوج اليه والى امساكه ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهي ان
جعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب
المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار
المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان
قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه
طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واستمع ايهم احسن صوتا لان النظر
والاستماع من طرق العلم فان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المومنين
هي التي تتفاوت الى حسن واحسن واما اعمال المومنين والكفرة فتفاوتها الى حسن
وقبيح قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل



ما هو غرض الله من عباده وخصهم بالذكر واطّرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم
وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم أيكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة
الله تعالى **ولئن قلت انكم مبعوثون** بفتح الهمزة ووجهه ان يكون من قولهم ائت
السوق انك تشتري لنا لحما وانك تشتري بمعنى علّك او لئن قلت لهم لعلكم مبعوثون
بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتّوا القول بانكاره لقالوا **ان هذا الا سحر مبين**
باتّين القول ببطلانه ويجوز ان يضمّن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا
سحر ان البعث امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به او اشاروا
بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج
تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول
والساحر كاذب مبطل **العذاب** عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن
ابن عباس قتل جبريل المستهزئين **الى امة** الى جماعة من الاوقات **ما يحبسه** ما يمنعه
من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء **يوم يأتيهم** منصوب بخبر
ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم
معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع
للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل **وحاق بهم** واحاط بهم **ما كانوا به**
يستهزئون العذاب الذي كانوا به يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة
الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره **الانسان** للجنس **رحمة**
نعمة من صحة وامن وجدة **ثم نزعناها منه** ثم سلبناه تلك النعمة **انه ليئوس**
شديد اليأس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة
فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع **كفور** عظيم الكفران
لما سلف له من التقلب في نعمة الله نسّاء له **ذهب السيئات عني** اي المصائب
التي ساءتني **انه لفرح** أشر بطر **فخور** على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله
الفرح والفخر عن الشكر **الا الذين صبروا** فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا
وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا
استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في
رشادهم ومن اقتراحاتهم **لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك** وكانوا لا يعتدون

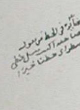




بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر
رسول الله ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرّكه الله منه وهيّجه
لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردّهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله **فلعلك**
تارك بعض ما يوحى اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة
ردّهم له وتهاونهم به **وضائق به صدرك** ان تتلوه عليهم **ان يقولوا** مخافة
ان يقولوا **لولا انزل عليه كنز** اي هلّا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة
ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال **انما انت نذير** اي ليس عليك
الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردّوا او تهاونوا
او اقترحوا **والله على كل شيء وكيل** يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل
فتوكل عليه وكِل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح
غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان قلت لم عدل
عن ضيق الى ضائق قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله كان
افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين
المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين
في بعض القراءات وقول السمهري العكلي

بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها

الشحوب تغير الوجه من الهزال ومعناه



ام منقطعة والضمير في **افتراه** لما يوحى اليك تحدّاهم اولا **بعشر سور** ثم
بسورة واحدة كما يقول المخابر في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب
فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد **مثله** بمعنى
امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له **مفتريات** صفة لعشر سور لما
قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم
على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح
اليّ وان الامر كما قلتم فأتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم
عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت كيف يكون
ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه
مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى فان قلت ما وجه جمع الخطاب
بعد افراده وهو قوله **لكم فاعلموا** بعد قوله قل قلت معناه **فان لم يستجيبوا**

لك وللمؤمنين لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم
وقد قال في موضع آخر فإن لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز أن يكون الجمع لتعظيم
رسول الله كقوله فإن شئت حرمت النساء سواكم ووجه آخر وهو أن
يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فإن لم يستجب لكم من
تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وأن طاقتهم
أقصر من أن تبلغه فاعلموا أنما أنزل بعلم الله أي أنزل ملتبسا بما لا يعلمه إلا الله
من نظم معجز للخلق وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه واعلموا عند ذلك أن لا إله إلا الله
وحده وأن توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم فهل أنتم مسلمون مبايعون
بالإسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب
للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم
على أنه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل أنتم مسلمون فهل أنتم مخلصون
نوف إليهم نوصل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما
يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم أهل الرياء يقال للقراء منهم أردت
أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال
فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل وعن أنس بن
مالك هم اليهود والنصارى إن أعطوا سائلا أو وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة
في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله
فأسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف إليهم بالياء على أن الفعل لله عز وجل وتوف إليهم
أعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي إليهم بالتخفيف وإثبات الياء
لأن الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم وحبط
ما صنعوا فيها وحبط في الآخرة ما صنعوه أو صنيعهم يعني لم يكن لهم ثواب لأنهم لم
يريدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وقد وفي إليهم ما أرادوا وباطل ما كانوا يعملون
أي كان عملهم في نفسه باطلا لأنه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل
على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان أن تكون ما إبهامية
وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا أي باطل كانوا يعملون وأن تكون بمعنى المصدر
على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون أفمن كان على بينة معناه أمن كان يريد الحياة الدنيا
كمن كان على بينة أي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد أن بين الفريقين

تفاوتا

تفاوتا بعيدا وتباينا بينا وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره
كان على بينة من ربه أي على برهان من الله وبيان أن دين الإسلام حق وهو دليل
العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه شاهد يشهد بصحته وهو القرآن
منه من الله أو شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن
كتاب موسى وهو التوراة أي ويتلو ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن كتاب
موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على
أن القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله
وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده
علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التوراة إماما كتابا
مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل إليهم أولئك يعني من كان
على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الأحزاب يعني أهل مكة ومن ضامهم
من المتحزبين على رسول الله فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ مرية بالضم
وهما الشك منه من القرآن أو من الموعد يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف
وتعرض أعمالهم ويشهد عليهم الأشهاد من الملائكة والنبيين بأنهم الكاذبون
على الله بأنه اتخذ ولدا أو شريكا ويقال ألا لعنة الله على الظالمين فيا خزياه
ويا فضيحتاه والأشهاد جمع شاهد وشهيد كأصحاب وأشراف ويبغونها
عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد
وهم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به أولئك لم يكونوا معجزين
في الأرض أي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم وما كان لهم
من أولياء ينصرونهم منه ويمنعونهم من عقابه ولكنه أراد إنظارهم وتأخير عقابهم
إلى هذا اليوم وهو من كلام الأشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعّف ما كانوا
يستطيعون السمع أراد أنهم لفرط تصامّهم عن استماع الحق وكراهتهم له كأنهم
لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب إذا عثر عليه فيوعوع به على أهل
العدل كأنه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا أستطيع أن أسمعه وهذا
مما يمجه سمعي ويحتمل أن يريد بقوله وما كان لهم من أولياء أنهم جعلوا آلهتهم أولياء من
دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من أولياء ثم بين نفي كونهم أولياء
بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله

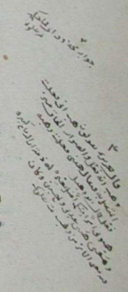
وضاعفت لهم العذاب اعتراض بوعيد خسروا انفسهم اشتروا عبادة الآلهة
بعبادة الله تعالى فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا
انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة
وشفاعتها لا جرم فسر في مكان آخر هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم
واخبتوا الى ربهم واطمأنوا الى الله وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي
الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيت قال

ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت

وقيل التاء فيه بدل
من الثاء شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من
اللف والطباق وفيه معنيان ان تشبه الفريق بشيئين اثنين كما شبه امرؤ
القيس قلوب الطير بالحشف والعناب في قوله

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

وان تشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم والذي جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو
في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله في الصابح فالغانم فالآيب
هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها ولقد ارسلنا نوحا اني لكم نذير ومعناه
ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار
فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر
على ارادة القول ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا
الله او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير وصف اليوم باليم من الاسناد
المجازي لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا وصف به العذاب قلت مجازي
مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده
الملأ الاشراف من قولهم فلان مليء بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤ
بالامر لانهم ملؤا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم متمالؤن
اي متظاهرون ومتساندون او لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس ابهة
او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق منه
بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب
انك واحد من الملأ وموازن لهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما
نرى لكم علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل



جمع الارذل كقوله اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا وقرئ بادي الراي بالهمز وغير
الهمز بمعنى اتبعوك اول الرأي او ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث
اول رأيهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شيء
عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الاسباب
الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشرف
عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه
اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما
يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتأهيل لها على
ان الانبياء بعثوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشأنها
وشأن من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة
عند الله من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه ارأيتم
اخبروني ان كنت على بينة على برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي
وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة على ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد
بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فان قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول
فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا قلت الوجه ان يقدر
فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت
وقرئ فعميت بمعنى اخفيت وفي قراءة ابي فعماها عليكم فان قلت فما حقيقته قلت
حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي
ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في
المفازة بقوا بغير هاد فان قلت فما معنى قراءة ابي قلت المعنى انهم
صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه
والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها
ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين قد
جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها
ونحوه فسيكفيكهم ويجوز فسيكفيك اياهم وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه
ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح لحن عند
الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة

الشعر والضمير في قوله لا اسالكم عليه راجع الى قوله لهم انى لكم نذير مبين الا تعبدوا
الا الله وقرئ وما انا بطاردٍ الذين امنوا بالتنوين على الاصل فان قلت ما معنى
قوله انهم ملاقوا ربهم قلت معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او
يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما اعرف
غيره منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادى الراى من غير
نظر وتفكر وما على ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان
كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية او هم مصدقون
بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة تجهلون تتسافهون
على المومنين وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا او تجهلون لقاء ربكم
او تجهلون انهم خير منكم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم وكانوا
يسالونه ان يطردهم ليومنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سوا ولا اعلم الغيب
معطوف على عندي خزاين الله اى لا اقول عندي خزاين الله اي لا اقول عندي خزاين
الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزاين الله فادعي فضلا
عليكم في الغنا حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا ادعي علم الغيب
حتى تنسبوني الى الكذب والافترا او حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضماير قلوبهم
ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا احكم على من استرذلتم
من المومنين لفقرهم ان الله لن يوتيهم خيرا في الدنيا والاخرة لهوانهم عليه
كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم اني اذا لمن الظالمين ان فعلت
شيا من ذلك والازدرا افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصر به يقال
ازدرته عينه واقتحمته عينه جادلتنا فاكثرت معناه اردت جدالنا
وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر واطاب فاتنا بما تعدنا من
العذاب المعجل انما ياتيكم به الله اي ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم
به وعصيتموه ان شا يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرئ عن ابن عباس فاكثرت
جدلنا فان قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله ان كان
الله يريد ان يغويكم جزاوه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم
ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزا بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت
اليك ان امكنني فان قلت فما معنى ان كان الله يريد ان يغويكم قلت

اذا عرف الله

اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشانه ولم يلجيه سمي ذلك اغوا واضلالا
كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل
ان يغويكم ان يهلككم من غوي الفصيل اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من
التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصايح الله ومواعظه وساير الطافه فكيف
ينفعكم نصحي فعلي اجرامي واجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله تعالى والله يعلم اسرارهم
ونحو جرم واجرام قفل واقفال وينصر الجمع ان فسره الاولون باثامي والمعنى ان
صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اى افترايي وكان حقي حينيذ ان
تعرضوا عني وتتالبوا علي وانا بريء منه يعني ولم يثبت ذلك وانا بري منه ومعنى
مما تجرمون اى من اجرامكم في اسناد الافترا الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم
لن يومن اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع الا من قد امن
الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت محزها فلا
تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين قال

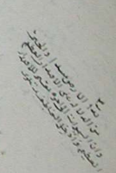
في ما تقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال
والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذايك ومعاداتك فقد حان وقت
الانتقام لك منهم باعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا
باعيننا كان لله معه اعينا تكلوه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول
بينه وبين عمله احد من اعدايه ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع
عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى اليه ان يصنعها مثل جوجو
الطاير ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شان قومك واستدفاع العذاب
عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد وجب ذلك
وقضي به القضا وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله تعالى يا ابراهيم اعرض عن هذا
انه قد جا امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال
ماضية سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية في ابعد موضع
من الما وفي وقت عز الما فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح
صرت نجارا بعد ما كنت نبيا فانا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا
الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في
الاخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض

ليحط الله وعذابه فانه مراد بالاستهزاء منا او ان تستجهلوا فانا نستجهلكم
في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال
كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة
في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلثون
ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فجعل في البطن الاسفل الوحوش
والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في
البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله
بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل
ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها
فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون
من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب
بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب
فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة
فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع
وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة
للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا **من ياتيه** في محل
النصب يعلمون اي **فسوف تعلمون** الذي ياتيه **عذاب يخزيه** ويعني به اياهم
ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق **ويحل عليه** حلول الدين والحق
اللازم الذي لا انفكاك له عنه **عذاب مقيم** وهو عذاب الآخرة **حتى** هي
التي يبتدئ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء فان قلت وقعت
غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد
فان قلت فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال
من يصنع كانه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فان قلت
فما جواب كلما قلت انت بين امرين اما ان تجعل سخروا جوابا وقال استئنافا على
تقدير سؤال سائل او تجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا **واهلك**
عطف على اثنين وكذلك **ومن آمن** يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى
من اهله **من سبق عليه القول** انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا

للعلم

للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته تعالى الله عن ذلك قال الضحاك
لا اراد ابنه وامراته **الا قليل** روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة
خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح
سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم
نساء يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل باسم
الله باركبوا حالا من الواو بمعنى **اركبوا فيها** مسمين الله او قائلين **بسم الله** وقت
اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء
والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان
يراد مكان الاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من
ارادة القول والكلامان ان يكون بسم الله **مجراها ومرساها** جملة من
مبتدأ وخبر مقتضبة اي بسم الله اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد
ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز
ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها
اي بقدرته وامره وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسى اما مصدرين
او وقتين او مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل اي بالله مجريها ومرسيها
ويحتمل ان يكون غير منصبة ... مجرور المحل صفة لله فان قلت ما معنى
قولك جملة مقتضبة قلت معناه ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب
ثم اخبرهم ان مجراها ومرساها باسم الله اي بامره وقدرته ويحتمل ان تكون
غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله وجاؤونا بهم سكر علينا فلا
يكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه
الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى
التقدير كقوله ادخلوها خالدين **ان ربي لغفور رحيم** لولا مغفرته لذنوبكم
ورحمته اياكم لما نجاكم فان قلت بم اتصل قوله **وهي تجري بهم في موج كالجبال**
يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت
الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيخه وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء
والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت

قلت كان ذلك قبل التطبيق وقيل انه عم الطوفان الجبال الا ترى الى قوله
سآوي الى جبل يعصمني من الما قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرئ علي رضي
الله عنه ابنها والضمير لامرأته وقرئ محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنهَ بفتح الها يريد
ابناها فاكتفيا بالفتح عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سالت الحسن فقال والله
ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل
الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب واستدل
بقوله من اهلك ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمر
بن ابي سلمة لرسول الله وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها
الانبيا عليهم السلام وقرئ السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي
قال يا ابناه والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه عنه وابعده يعني وكان
في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن
دين ابيه يا بني قرئ بكسر اليا اقتصارا عليه من يا الاضافة وبالفتح اقتصارا
عليه من الالف المبدل له من يا الاضافة في قولك يا بنيا وسقطت اليا والالف
لالتقا الساكنين لان الرا بعدهما ساكنة الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى
او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحمه الله اي الا مكان من رحمه الله من
المؤمنين وكان لهم مكانا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك
انه لما جعل الجبل عاصما من الما قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل
ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة
وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقولهم ماء دافق وعيشة راضية
وقيل الا من رحم استثنا منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله
ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رُحم على البنا للمفعول ثم نادى الارض
والسما بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب
من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سما ثم امرهما بما يؤمر به اهل
التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان
السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشا غير
ممتنعة عليه كانها عقلا مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه
وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه



ويرهبون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيته على الفور من
غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المامور به مفعولا لا حبس ولا ابطا والبلع
عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الما
نقص منه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه
واستوت واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا
يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت
ونحو ذلك ولذلك اختص بدعا السوء ومجي اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة
على الجلال والكبريا وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر
وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم
الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سما اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل
غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره
ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علما البيان هذه الاية ورقصوا لها رؤسهم
لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو
كغير الملتفت اليه بازا تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت
بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الما خمسين ومايه يوم واستقرت
بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشورا وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا
وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط
وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى ونادى نوح ربه دعاه وهو قوله
رب مع ما بعده من اقتضا وعده في تنجية اهله فان قلت فاذا كان
الندا هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفا قلت اريد
بالندا ارادة الندا ولو اريد الندا نفسه لجا كما جا قوله تعالى اذ نادى ربه
ندا خفيا قال رب بغير فا ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من
صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده
فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفا به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما
بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره
الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك
قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون

من الحكمة على ان يبنى من الحكم حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض
وطالق على مذهب الخليل **انه عمل غير صالح** تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان
بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد
في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك
وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح
مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح
عليه السلام اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل
انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ
المنفي وآذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك
وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا
صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اي عمل عملا
غير صالح وقرئ **فلا تسألن** بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة
بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا اي التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير
صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على ان النداء كان قبل ان تغرق
حين خاف عليه فان قلت لم سمى نداءه سؤالا ولا سؤال فيه قلت قد
تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في
وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه
جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال **الجاهلين**
فان قلت قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا
فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف
ان الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة
وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلا قلت ان الله
عز وعلا قدم الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه
ان يعتقد ان في اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم
ليسوا ناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين
لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه **اني اعوذ بك** من ان
اطلب منك ما لا علم لي بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك **والا تغفر**

لي ما فرط مني من ذلك **وترحمني** بالتوبة علي **اكن من الخاسرين** اعمالا وقرئ
يا نوح اهبط بضم الباء **بسلام منا** مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما
وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك
على التوحيد **وعلى امم ممن معك** يحتمل ان تكون من للبيان فيراد الامم الذين كانوا
معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم
وان تكون لابتداء الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو
الوجه وقوله **وامم** رفع بالابتداء و**سنمتعهم** صفة والخبر محذوف تقديره
وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا
والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشؤون ممن معك وممن معك امم ممتعون
بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابا الانبياء والخلق بعد
الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي
دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من
المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض
ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة
قوم هود وصالح ولوط وشعيب **تلك** اشارة الى قصة نوح ومحلها
الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة بعض **انباء
الغيب** موحاة **اليك** مجهولة عندك وعند قومك **من قبل هذا** من قبل ايحائي
اليك واخباري بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا
الوقت **فاصبر** على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في
العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه **ان العاقبة** في الفوز
والنصر والغلبة **للمتقين** وتركه **ولا قومك** معناه ان قومك الذين انت منهم
على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف
رجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده **اخاهم** واحدا منهم
وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا و**هودا** عطف بيان و**غيره** بالرفع
صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ **ان انتم الا
مفترون** تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء ما من رسول
الا واجه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها

الاحسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع أفلا تعقلون
إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا إلا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفى
للتهمة من ذلك قيل استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا إليه من عبادة غيره لأن
التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وإنما قصد استمالتهم
إلى الإيمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا أهل زروع
وبساتين وعمارات حراصا عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شيء إلى الماء وكانوا
مدلين بما أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو
مهيبين في كل ناحية وقيل أراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل
حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما
أنه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال إني رجل ذو مال ولا يولد
لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار
حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية
فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول
هود ويزدكم قوة إلى قوتكم وقول نوح ويمددكم بأموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا
عني وعما أدعوكم إليه وأرغبكم فيه مجرمين مصرين على إجرامكم وآثامكم ما
جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر عن قولك حال من الضمير في
تاركي آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين
وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما تدعوهم إليه إقناطا له من الإجابة
اعتراك مفعول نقول وإلا لغو والمعنى ما نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا
بسوء أي خبلك ومسك بجنون لسبك إياها وصدك عنها وعداوتك لها
مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان
المبرسمين وليس بعجب من أولئك أن يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا
وهم عاد أعلام الكفر وأوتاد الشرك وإنما العجب من قوم من المتظاهرين
بالإسلام سمعناهم يسمون التائب من ذنوبه مجنونا والمنيب إلى ربه مخبلا ولم
نجدهم معه على عشر ما كانوا عليه في أيام جاهليته من المودة وما ذاك إلا لأنه
من الإلحاد أبى الله إلا أن ينبض وضب من الزند فيه أراد أن يطلع رأسه وتدلى

اجوبتهم

اجوبتهم المتقدمة على أن القوم كانوا جفاة غلاظ الأكباد لا يبالون
بالبهت ولا يلتفتون إلى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الأخير دال على
جهل مفرط حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين أجازوا العقاب
كانوا يجيزون الثواب من أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة
عطاشا إلى إراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وأنه يعصمه
منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا إلي
ولا تنظرون أكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس
من توثيقهم الأمور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على
أني لا أفعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على أني لا أفعله فإن قلت هلا
قيل إني أشهد الله وأشهدكم قلت لأن إشهاد الله على البراءة من
الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده وأما إشهادهم
فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الأول
لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى
بينه وبينه اشهد علي أني لا أحبك تهكما واستهانة بحاله مما تشركون من دونه
من إشراككم آلهة من دونه أو مما تشركونه من آلهة من دونه أي أنتم تجعلونها شركاء
له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا أنتم وآلهتكم
أعجلوا ما تفعلون من غير إنظار فإني لا أبالي بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وإن
تعاونتم علي وأنتم الأقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي إلا جماد لا تضر ولا
تنفع وكيف تنتقم مني إذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلني وتذهب
بعقلي ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب
التوكل وما هي إلا جماد لا تضر ولا تنفع من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون
كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والأخذ بنواصيها تمثيل
لذلك إن ربي على صراط مستقيم يريد أنه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته
ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فإن تولوا فإن تتولوا فإن قلت الإبلاغ كان
قبل التولي لم أعاتب على تفريط في الإبلاغ وكنتم محجوجين بأن ما أرسلت به إليكم
قد بلغكم فأبيتم إلا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستأنف
يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم ولا تضرونه

بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون
انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل
فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذبني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا
الا انفسكم على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل
عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى
حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم والذين امنوا معه قيل كانوا اربعة الاف
فان قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم
نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب
غليظ وذلك ان الله عز وعلا بعث عليهم السموم فكانت تدخل في انوفهم وتخرج
من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب الاخرة
ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعم
عليهم بالتوفيق له وتلك عاد اشارة الى قبورهم واثارهم كانه قال سيحوا في
الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال جحدوا
بايات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله
لا نفرق بين احد من رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وحده كل جبار عنيد
يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم
طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين
تكبهم على وجوههم في عذاب الله والا وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء
عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من الدلالة على
انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى قوله ؎ اخوي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا
قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل
بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا هذه الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا
محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة
التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم هو انشاكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو
ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق ادم من التراب واستعمركم وامركم
بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا
من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف

الرعايا

الرعايا فسال نبي من انبيائهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا
بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن ابي سفيان انه اخذ في احياء الارض في
اخر امره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل ؎
ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له في الارض اثار ؎ وقيل استعمركم
من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون
استعمر في معنى اعمر كقوله استهلكه في معنى اهلكه والمعنى اعمركم فيها دياركم
ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني بمعنى جعلكم معمرين دياركم
فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره
ثم يتركها لعقبه قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وساله فينا فيما
بيننا مرجوا كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك
وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع
رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على
جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه يعبد
اباؤنا حكاية حال ماضية مريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس
وانتفاء الطمانينة باليقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي
قيل ان كنت على بينة من ربي بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه
للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان
تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني اذا حينئذ غير
تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير
ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون اية نصب على الحال
قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل فان قلت فبم يتعلق لكم
قلت باية حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت
انتصب على الحال عذاب قريب عاجل لا يستاخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا
وذلك ثلاثة ايام ثم يقع عليكم تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى
البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين
حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا
وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب غير مكذوب

منه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم الجمعة
من قوله ويوم شهدناه او على المجاز كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفي به
فقد صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود
والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق ومن خزي يومئذ وقرئ بفتح الميم
لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب على الصبا
فان قلت علام عطف قلت على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ
كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من ذله
ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه
ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الاخرة وقرئ
الا ان ثمودا ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي او الاب
الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة رسلنا يريد الملائكة عن ابن عباس
جاء جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة
وعن السدي احد عشر بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط
والظاهر الولد سلاما سلمنا عليك سلاما سلام امركم سلام وقرئ فقالوا
سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد

مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح

فما لبث ان جاء فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة
ويسمى الحسيل والخبش بلغة اهل السراة وكان مال ابرهيم البقر حنيذ
مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا
القيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين نكرهم وانكرهم
واستنكرهم ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرته ونكر منكر ومستنكر
وانكره وقال الاعشى

وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا

قيل
كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كان من عادتهم
اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم
لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى انهم
قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا

فاوجس

فاوجس فاضمر منهم خيفة قالوا لا تخف انهم لما راوا اثر الخوف والتغير في وجهه عرفوه
بعلم الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون
الا بعذاب وامراته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل
كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامراته قائمة وهو قاعد
فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او كان ضحكها
ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم
ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء عذاب فضحكت سرورا لما اتى
الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرئ محمد بن زياد الاعرابي فضحكت
بفتح الحاء يعقوب رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود
او موجود اي من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له اهذا
ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كانه قيل
ووهبنا لها اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله

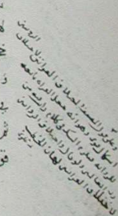
ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا ببين غرابها

الالف في يا ويلتا مبدلة من الاضافة
وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرئ الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل وشيخا نصب
بما دل عليه اسم الاشارة ويكونان معا خبرين وقيل بشرت ولها تسعون
سنة ولابرهيم عليه السلام مائة وعشرون ان هذا لشيء عجيب ان يولد
ولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة التي اجراها الله وانما انكرت عليها
الملائكة تعجبها قالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الايات ومهبط المعجزات
والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي
سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب
والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم
اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام
به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وامر الله قدرته او حكمته وقوله رحمة
الله وبركاته عليكم كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب
فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات
الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم حميد فاعل ما يستوجب
به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم واهل البيت نصب على النداء او

على الاختصاص فإن أهل البيت مدح لهم إذ المراد أهل بيت خليل الرحمن **الروع**
ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه والمعنى أنه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ
سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ **يجادلنا** فإن قلت أين جواب لما قلت هو
محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وأجمعوا وقوله يجادلنا كلام مستأنف دال على
الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا أو فطن لمجادلتنا أو قال كيت وكيت ثم ابتدأ
فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل يجادلنا هو جواب لما وإنما جيء به مضارعا
لحكاية الحال وقيل إن لما ترد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد إن الماضي إلى معنى
الاستقبال وقيل معناه أخذ يجادلنا وأقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا
ومجادلته إياهم أنهم قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان
فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال
فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم لو كان فيها رجل واحد مسلم
أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه
وأهله **في قوم لوط** في معناهم وعن ابن عباس قالوا له إن كان فيها خمسة يصلون
رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان
فيها أربعة آلاف ألف إنسان **إن إبراهيم لحليم** غير عجول على كل من أساء إليه **أواه**
كثير التأوه من الذنوب **منيب** تائب راجع إلى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات
دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم
رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والإنابة كما حمله على
الاستغفار لأبيه **يا إبراهيم** على إرادة القول أي قالت له الملائكة **أعرض عن هذا**
الجدال وإن كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه **إنه قد جاء أمر ربك** وهو قضاؤه
وحكمه الذي لا يصدر إلا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له
بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لأنه حسب أنهم إنس فخاف
عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي أن الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم
حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم أما
بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملا
يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت
بهم قومها يقال **يوم عصيب** وعصوصب إذا كان شديدا من قولك عصبه إذا شده **يهرعون**

يسرعون كأنما يدفعون دفعا **ومن قبل كانوا يعملون السيئات** ومن قبل ذلك الوقت
كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها
فلذلك جاءوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش
قبل ذلك **هؤلاء بناتي** أراد أن يقي أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وأراد هؤلاء بناتي
فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله ابنتيه
من عتبة بن أبي لهب ومن أبي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم
سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه وقرأ ابن مروان هن **أطهر** بالنصب وضعفه
سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن أبي عمرو بن العلاء من قرأ هن أطهر بالنصب
فقد تربع في لحنه وذلك أن انتصابه على أن يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى
الفعل كقوله تعالى هذا بعلي شيخا أو ينصب هؤلاء بفعل مضمر كأنه قيل خذوا هؤلاء وبناتي
بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لأن الفصل مختص بالوقوع
بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا
وذلك أن يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك هذا أخي هو
ويكون أطهر حالا **فاتقوا الله** بإيثارهن عليهم **ولا تخزون** ولا تهينوني ولا تفضحوني
من الخزي أو ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء **في ضيفي** في حق ضيوفي فإنه إذا خزي ضيف
الرجل أو جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة **أليس منكم**
رجل رشيد رجل واحد يهتدي إلى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ
ولا تخزون بطرح الياء ويجوز أن يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه
لهم وإظهارا لشدة امتعاضه مما أوردوا عليه طمعا في أن يستحيوا منه ويرقوا له
إذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم
أن لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم **قالوا لقد علمت** مستشهدين بعلمه **ما لنا في بناتك**
من حق لأنك لا ترى مناكحتنا وما هو إلا عرض سابري وقيل لما اتخذوا إتيان
الذكور مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم أنه هو الحق وأن نكاح الإناث من
الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لأن نكاح الإناث أمر خارج من مذهبنا
الذي نحن عليه ويجوز أن يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة **لتعلم ما نريد**
عنوا إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة جواب لو محذوف كقوله تعالى ولو أن قرآنا
سيرت به الجبال يعني **لو أن لي بكم قوة** لفعلت بكم وصنعت [illegible] ما لي به قوة و[illegible]

طاقة وعجز لا تنالهم بها وما لي به يدان لأنه في معنى لا أطلع به ولا أستقل به والمعنى
لو قويت عليكم بنفسي أو أويت إلى القوي أستند إليه وأتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي
العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته وقد كانت الملائكة وقد وجدت
عليه إن ركنك لشديد وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي لوطا كان يأوي
إلى ركن شديد وقرئ أو آوي بالنصب بإضمار أن كأنه قيل لو أن لي بكم قوة
أو أويا كقولها ● للبس عباءة وتقر عيني ● وقرئ إلى ركن بضمتين وروي
أنه أغلق بابه حين جاؤا وجعل يرادهم ما حكى الله تعالى عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار
فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط إن ركنك لشديد إنا رسل
ربك لن يصلوا إليك فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن
جبريل عليه السلام ربه تعالى في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها
فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا
فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله عز وجل فطمسنا
أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فإن في بيت لوط
قوما سحرة لن يصلوا إليك جملة موضحة للتي قبلها لأنهم إذا كانوا رسل الله لم
يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره قرئ فأسر بالقطع والوصل إلا امرأتك
بالرفع والنصب وروي أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال أريد أسرع
من ذلك فقالوا أليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين فإن قلت ما وجه قراءة
من قرأ إلا امرأتك بالنصب قلت استثناها من قوله فأسر بأهلك والدليل عليه
قراءة عبد الله فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك ويجوز أن ينتصب عن لا
يلتفت على أصل الاستثناء وإن كان الفصيح هو البدل أعني قراءة من قرأ بالرفع فأبدلها
عن أحد وفي إخراجها مع أهله روايتان روي أنه أخرجها معهم وأمر أن
لا يلتفت منهم أحد إلا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها
حجر فقتلها وروي أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإن هواها إليهم فلم يسر بها
واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل جناحه
في أسفلها ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة
ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل
قوله حجارة من طين وقيل هي من أسجله إذا أرسله لأنها ترسل على الظالمين ويدل عليه



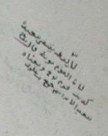
قوله لنرسل عليهم حجارة من طين وقيل مما كتب الله عز وجل أن يعذب به من السجل
ويجعل السجل منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في
إثر بعض متتابعا مسومة معلمة للعذاب وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل
عليها سيما تعلم بها أنها ليست من حجارة الأرض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من
يرمى به وما هي من الظالمين ببعيد وفيه وعيد لأهل مكة وعن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي أمتك ما من ظالم
منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل الضمير للقرى أي
هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم ببعيد بشيء بعيد ويجوز أن يراد
وما هي بمكان بعيد لأنها وإن كانت في السماء وهي مكان بعيد إلا أنها إذا هوت منها
فهي أسرع شيء لحوقا بالمرمى فكأنها بمكان قريب منه إني أراكم بخير يريد بثروة وسعة
تغنيكم عن التطفيف أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون أو أراكم
بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم
ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا يوم محيط مهلك من قوله وأحيط بثمره
وأصله من إحاطة العدو فإن قلت وصف العذاب بالإحاطة أبلغ أم وصف اليوم
بها قلت بل وصف اليوم لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث فإذا أحاط بعذابه
فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه فإن قلت النهي عن
النقصان أمر بالإيفاء فما فائدة قوله أوفوا قلت نهوا أولا عن عين القبيح الذي
كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لأن في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا
له ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة
ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط أي ليكن الإيفاء على وجه
العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمرا بما هو الواجب لأن ما جاوز
العدل فضل وأمر مندوب إليه وفيه توقيف على أن الموفي عليه أن ينوي
بالوفاء القسط لأن الإيفاء وجه حسنه أنه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد البخس
الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال وكلما باع امرؤ بخس درهم
وروي مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا كما تفعل السماسرة
أو كانوا يمكسون الناس أو كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فنهوا
عن ذلك والعثي في الأرض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل البخس

والعيث عثيا منهم في الارض بقية الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو
حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان قلت بقية الله
خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت
لظهور فايدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فايدتها
مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة
شانه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يراد
ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند
ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما
الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله
وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما
انا عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا
ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت كان شعيب عليه السلام كثير
الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم
اصلوتك تامرك السخرية والهزء والصلوة وان جاز ان يكون امرا على طريق
المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلوة
تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق
الطنز وجعلوا الصلوة امرا على سبيل التهكم بصلوته وارادوا ان هذا الذي يامر
به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي
عقل ولا يامرك به امر فطنة فلم يبق الا ان يامرك به امر هذيان ووسوسة شيطان
وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم ان الصلوة من باب الجنون ومما
يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى تامرك ان نترك
تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد اباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان
لا يؤمر بفعل غيره وقرئ اصلوتك بالتوحيد وقرئ ما تفعل في ... او ان نفعل في
اموالنا ما نشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يامرهم به من ترك التطفيف والبخس
والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير
وتقطيعها وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغي
فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم

لسجد لك

لسجد لك وقيل معناه انك لانت المتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون ان ما تامر
لا يطابق حالك وما شهرت به ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا وهو ما
رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف
فان قلت اين جواب ارايتم وما له لم يثبت كما اثبت في قصة نوح ولوط
قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي
عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح
لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني
فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل
صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب
عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم
الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا
ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت
ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا او بدل
من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه ويجوز ان يكون على حذف مضاف
على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا له كقوله ضعيف النكاية اعداءه
اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله وما كوني
موفقا لاصابة الحق فيما آتي واذر ووقوعه موافقا لرضى الله الا بمعونته وتاييده والمعنى
انه استوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفي
ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم فيه جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد
والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال • جرمت فزارة
بعدها ان يغضبوا • ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم
شقاقي اصابة العذاب وقرئ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له
اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب
المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته
اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهور افصح لفظا كما ان
كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على السنة الفصحاء من العرب
الموثوق بعربيتهم ادور وهم له اكثر استعمالا وقرئ ابو حيوة ورويت عن نافع مثل

ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله ◦ لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت ◦
وما قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم
او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك فان قلت ما لبعيد لم
يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناها قلت اما ان يراد وما اهلاكهم بعيد
او ما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب وقليل
وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما رحيم
ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان
والاجمال ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة
عنه وكراهية له كقوله وقالوا قلوبنا في اكنة ان يفقهوه او كانوا
يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه او قالوا ذلك على وجه الاستهانة كما يقول
الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا
لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفعهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ فينا
ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها
وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا
وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنراك فينا اعمى لم يكن كلاما
لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا فقالوا رهطك والرهط
من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا
بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة
وما انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما
يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختارونا عليك ولم يتبعوك دوننا وقد دل
ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما
انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابه ارهطي اعز عليكم من الله
ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه
وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به
وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله
الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه
وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغيير



النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي بما تعملون محيط قد احاط
باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها على مكانتكم لا تخلو المكانة من ان تكون بمعنى المكان
يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى
اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من عداوتي
مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني من يأتيه يجوز ان تكون
من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه
عذاب يخزيه واينا هو كاذب وان تكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل
سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فان قلت اي فرق
بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف
موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال
مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف
تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء
العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه
وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى
الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير
والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع فان قلت
قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم
فكان القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه
عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم قلت القياس
ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم
تجهيلا لهم فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا
بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد
ذكر الوعد وذلك قولهم ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء
الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان
فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع
على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة الصيحة ... كانه لا يبرح كالابد يعني ان
جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو

كأن لم يغنوا كأن لم يقيموا في ديارهم احيا متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو
الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت وقرأ السلمي بعدت بضم
العين والمعنى في البنائين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفرقة بين البعد
من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البنا كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد
واوعد وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب
فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها
بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان ان يراد ان هذه الآيات فيها سلطان مبين
لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وما امر فرعون
برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى
مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر
الذي لا يأتي الا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه
وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره
رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم
لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في امر موسى عليه
السلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد
قط يقدم قومه اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه
ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله
يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد يستعمل
في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه
قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى
تقدم ومنه مقدم العين فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم
جيء بلفظ الماضي قلت لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكأنه قيل
يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد المورود الذي وردوه
شبه بالفارط الذي يتقدم الوارده الى الماء وشبه اتباعه بالوارده ثم قيل بئس الورد المورود الذي يردونه
النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده واتبعوا
في هذه الدنيا لعنة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد المرفود
رفدهم اي بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد

رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى ذلك مبتدأ من انباء القرى
مقصوص عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك
منها الضمير للقرى اي بعضها باق وبعضها عاف الاثر كالزرع القائم على ساقه
والذي حصد فان قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا محل لها وما
ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم
آلهتهم فما قدرت ان ترد عنهم بأس الله يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية
ولما منصوب بما اغنت امر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر
وتببه غيره اذا اوقعه في الخسران [illegible] ومثل ذلك الاخذ اخذ
ربك والنصب فيمن قرئ وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ اذ اخذ القرى
وهي ظالمة حال من القرى اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة
عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره او نفسه
بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة
ولا يغتر بالامهال ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم لآية
لمن خاف لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج
مما اعد لهم في الآخرة فاذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له
عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله عز وجل ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن
يخشى ذلك اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع باسم
المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس فان قلت لاي
فائدة اوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالته على ثبات معنى الجمع
لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك
صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره
قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما
ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على
صحة ما قلت لك ومعنى مجموع له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب يوم
مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله
ويوما شهدناه سليما وعامرا اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد
والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام

محضور قال: في مجمع من نواصي الخيل مشهود. فإن قلت: ما منعك
أن تجعل اليوم مشهوداً في نفسه دون أن يجعله مشهوداً فيه كما قال الله تعالى فمن
شهد منكم الشهر فليصمه قلت: الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم
وتمييزه من بين الأيام فإن جعلته مشهوداً في نفسه فسائر الأيام كذلك مشهودات
كلها ولكن جعل مشهوداً فيه حتى يحصل التمييز كما تميز يوم الجمعة عن أيام الأسبوع
بكونه مشهوداً فيه دونها ولم يجز أن يكون مشهوداً في نفسه لأن سائر أيام الأسبوع
مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر
منتصب ظرفاً لا مفعولاً به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم
فيه يعني من كان منكم مقيماً حاضراً لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته
مفعولاً فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه
المسافر الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الأجل
وبلغ الأجل آخره ويقولون حل الأجل فإذا جاء أجلهم يراد آخر مدة التأجيل
والعد إنما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله **وما نؤخره إلا لأجل معدود**
إلا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء وقرئ **يوم يأت**
بغير ياء ونحوه قولهم لا أدر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها
بالكسرة كثير في لغة هذيل فإن قلت فاعل يأتي ما هو قلت الله عز وجل
كقوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أو يأتي ربك وجاء ربك ويعضده قراءة
من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله بإذنه ويجوز أن يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله
تعالى أن تأتيهم الساعة فإن قلت بم انتصب الظرف قلت إما أن ينتصب
بلا تكلم وإما بإضمار اذكر وإما بالانتهاء المحذوف في قوله إلا لأجل معدود
أي ينتهي الأجل يوم يأتي فإن قلت فإذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم
وقتاً لإتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت المراد إتيان هوله وشدائده
لا تكلم لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن فإن قلت كيف يوفق
بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون
عن أنفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون
وفي بعضها يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم فمنهم الضمير لأهل الموقف

ولم يذكروا لأن ذلك معلوم ولأن قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس
في قوله مجموع له الناس والشقي الذي وجبت له النار لإساءته والسعيد الذي
وجبت له الجنة لإحسانه وقرأ الحسن **شقوا** بالضم كما قرئ
سعدوا والزفير إخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ
بعيد مدى التطريب أول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج **ما دامت السموات
والأرض** فيه وجهان أحدهما أن تراد سماوات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد
والدليل على أن لها سماوات وأرضاً قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وقوله
وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم
إما سماء يخلقها الله أو يظلهم العرش وكل ما أظلك فهو سماء والثاني أن يكون عبارة
عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما أقام ثبير وما لاح
كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد فإن قلت فما معنى الاستثناء في قوله **إلا ما شاء ربك**
وقد ثبت خلود أهل الجنة والنار في الأبد من غير استثناء قلت هو استثناء من
الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك أن أهل النار لا يخلدون في
عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار
وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم وإهانته إياهم وكذلك
أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجل موقعاً منهم وهو رضوان الله عز وجل
كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى
ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه إلا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء
غير مجذوذ ومعناه قوله في مقابلته **إن ربك فعال لما يريد** أنه يفعل بأهل
النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فإن
القرآن يفسر بعضه بعضاً ولا يخدعنك عنه قول المجبرة إن المراد بالاستثناء خروج
أهل الكبائر من النار بالشفاعة فإن الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم
وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها
أحقاباً وقد بلغني أن من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون
في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية إلى الحق

ومعرفة بكتابه وتنبيهاً على أنه يغفل عنه والأصح هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما

انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير وكذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول

اناكان لاس هم وتثبيته ومقالته بهما على بن ابي طالب رضوان الله عليه ما شغله

عن تثبيت هذا الحديث عطاء غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله تعالى

لهم اجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما حل بهم من نقمه وما اعد

لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء اي فلا تشك بعد ما انزل عليك

من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول

الله ووعدا بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم

يريد ان حالهم في الشرك مثل حال ابائهم من غير تفاوت بين الحالتين وقد بلغك ما نزل

بابائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف ومعناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز

ان تكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان

ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا اباءهم انصبا

ءهم فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز ان يوفى

وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا

وناقصا فاختلف فيه امن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن ولولا كلمة

يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذه من جملة

التسلية ايضا وإن كلا التنوين عوض من المضاف اليه يعني وإن كلهم وان جميع

المختلفين فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما

مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان

وجحود وقرئ وإن كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها

الذي هو التثقيل وقرئ ان وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا

وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرئ الزهري وسليمان بن ارقم وان

كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين

كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون فاستقم كما امرت

فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها

ومن تاب معك معطوف على المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد

بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب معك من الكفر

وامن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم

به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم

في جميع القرآن اية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الاية ولهذا قال صلى الله عليه

وسلم شيبتني هود والواقعة واخواتهما وروي ان اصحابه قالوا له لقد اسرع

فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رايت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في النوم

فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص

الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق

فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم تترى ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها

مع فتح التاء وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة

الا الياء كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرئ فتمسكم النار بكسر التاء

وقرئ ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا اماله والنهي متناول للانحطاط

في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضى باعمالهم

والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل

قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اي الى الذين

وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرئ بهذه الاية

فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن

الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري

السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت

بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم

الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق

على العلماء قال الله تعالى لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك

انست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا

حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم

وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب

الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا

عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة

واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل

نداو ديبك فقد دخله شتم وعيّ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من
شيء في الارض ولا في السماء والسلام وان سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء
الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن
سلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل سفيان عن
ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت
وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله **فتمسكم النار** اي فتمسكم النار وانتم على هذه
الحال ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على
منعكم منه غيره **ثم لا تنصرون** ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء
عليكم فان قلت فما معنى ثم قلت معناه الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة
مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له **طرفي النهار** غدوة وعشية **وزلفا من الليل**
وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف
اليه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال
عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان
الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله واخره تنصب هذا كله
على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه واطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا
بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون
نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى
القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها
على هذا التفسير ان تعطف على الصلاة اي **اقم الصلاة** طرفي النهار واقم زلفا من الليل
على معنى صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل **ان الحسنات
يذهبن السيئات** فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغائر بالطاعات
وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني
ان الحسنات يذهبن السيئات بان يكن لطفا في تركها كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امراة
تبتاع تمرا فقال ان في البيت اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه
وقبلها فقال لها اتقي الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه واله فاخبره

بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة
لما عملت وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر
فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله فنزلت فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس عامة
فقال بل للناس عامة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوءا
حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات **ذلك** اشارة الى قوله فاستقم
فما بعده **ذكرى للذاكرين** عظة للمتعظين ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء
بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصيته ومزيته وتنبيه على مكان الصبر
ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على
امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به **فان الله لا يضيع
اجر المحسنين** جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن
الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات **فلولا كان من القرون**
فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القران فمعناها هلا الا التي في الصافات
وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ
بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم **اولو بقية**
اولو فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده
وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم
وبه فسر بيت الحماسة ان تذنبوا ثم تاتيني بقيتكم ومنه قولهم
في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية
بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله
وعقابه وقرئ اولو بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره
ومنه بقينا رسول الله والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولوا
مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم
الا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا **ممن انجينا** من القرون نهوا عن
الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا
للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل انجينا الذين ينهون
عن السوء واخذنا الذين ظلموا فان قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه
يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا

لانه يكون تحضيضًا لاولي بقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم
كما تقول هلا قرى قومك القران الا الصلحا منهم تريد استثنى الصلحا من المحضضين
على قراءة القران وان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد الا القليل من الناجين
معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا كان استثنى
متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثنى وان كان الافصح ان يرفع
على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات
اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه من التنعم والترفه من حب
الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش ورفضوا ما ورا ذلك ونبذوه وراء
ظهورهم وقرى ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني واتبعوا جزا
ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا
جزا اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجا كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم
وهلك السائر فان قلت علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا قلت ان كان
معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم
نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه
واتبعوا جزا الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع
الذين ظلموا جزاهم فان قلت فقوله وكانوا مجرمين قلت على اترفوا
اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام وارتد بالاجرام
اغفالهم للشكر او على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان
يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمين كان معنى صحيح واستفام واللام
لتاكيد النفي بظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك الله القرى
ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك
المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك
اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا اخر
ولو شا ربك لجعل الناس امة واحدة يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة
اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة
وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه

مكنهم

مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل
فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا هداهم
الله ولطف بهم واتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم ذلك اشارة
الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار
الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب
مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهو قوله للملائكة لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا التنوين فيه
عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبا نقص عليك ومن انبا الرسل بيان
كل وما نثبت به فوادك بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى وكل اقتصاص
نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب
المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فواده زيادة يقينه وما فيه
طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق
اي في هذه السورة او في هذه الانبا المقتصة فيها ما هو حق وموعظة
وذكرى وقل للذين لا يومنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم
التي انتم عليها انا عاملون وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم
نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم ولله غيب السموات والارض
لا يخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا يخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله
فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه
كافيك وكافلك وما ربك بغافل عما يعملون وقرى تعملون بالتا اي انت وهم
على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرى سورة هود اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب
ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعدا ان شا الله تعالى ذلك

سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم تلك اشارة الى ايات
السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الايات التي انزلت اليك في
هذه السورة ايات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي
تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب

معانيها لنزولها بلساننا فهماً وتدبراً من فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف
فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب
من الشام الى مصر وعن قصة يوسف **انا انزلناه** انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة
يوسف في حال كونه **قرآنا عربيا** وسمي بعض القرآن قرآناً لان القرآن اسم جنس
يقع على كله وبعضه **لعلكم تعقلون** ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس
عليكم ولو جعلناه قرآناً اعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته **القصص** على وجهين
يكون مصدراً بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصاً كقولك شله يشله
شلاً اذا طرده ويكون فعلاً بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ والخبر في معنى
المنبأ به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد
المصدر فمعناه **نحن نقص عليك احسن** الاقتصاص **بما اوحينا اليك هذا القرآن** اي
بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوباً نصب المصدر لاضافته اليه
ويكون المقصوص محذوفاً لان قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز
ان ينتصب هذا القرآن بنقص كأنه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القرآن
بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب
الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب
منها مقارباً لاقتصاصه في القرآن وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص
عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم
والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل
هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه فان قلت مم اشتقاق القصص
قلت من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً
كما يقال تلا القرآن اذا قرأه لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية **وان كنت**
ان مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في **قبله**
راجع الى قوله ما اوحينا والمعنى وان الشأن والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك
من الغافلين عنه اي من الجاهلين به اي ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك
طرف منه **اذ قال يوسف** بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت
مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص او باضمار اذكر ويوسف
اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لانه لو كان عربياً لانصرف لخلوه عن سبب آخر

سوى

سوى التعريف فان قلت فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين او يوسف
بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع المبني للفاعل
او المفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا لان القراءة
المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة واعجمية اخرى
ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي لانه في
احداها بوزن المضارع من آنس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل
من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق
بن ابراهيم **يا ابت** قرئ بالحركات الثلاث فان قلت ما هذه التاء قلت تاء
تأنيث وقعت عوضاً من ياء الاضافة والدليل على انها تاء تأنيث قلبها هاء في الوقف
فان قلت كيف جاز الحاق تاء التأنيث بالمذكر قلت كما جاز نحو قولك حمامة
ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فان قلت فلم ساغ تعويض تاء التأنيث
من ياء الاضافة قلت لان التأنيث والاضافة يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة
مضمومة الى الاسم في آخره فان قلت فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي
كانت قبل الياء في قولك يا ابي قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التأنيث ان يكون
ما قبلها مفتوحاً فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى
التاء ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها
في الاعراب وانما جاز تسكين الياء واصلها ان تحرك تخفيفاً لانها حرف لين واما التاء
فحرف صحيح نحو الكاف والضمير فلزم تحريكها فان قلت يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة
الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي
فلا يجوز يا ابت قلت الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من احد الشيئين
وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا جمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين الياء
والتاء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلاً من الياء كيف جاز الجمع
بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعاً بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد
من ذلك فان قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها قرينة
الياء ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك في يا ابت فالتاء المعوضة لغو ووجودها كعدمها
قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابي فان قلت فما وجه
من قرأ بفتح التاء وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة

قبلها كما فعل من حذف الياء بالاجتزاء ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض
منها في قولك يا ابي وابتُ بالضم فقد رأى اسما في اخره تاء تانيث فاجراه مجرى الاسماء
المؤنثة بالتاء فقال يا ابت كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من يا الاضافة
وقرئ اني رأيت بتحريك الياء واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات فيما
هو في حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان ورأيت
من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع
الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت اية عظيمة ليعقوب عليه السلام
ولما خفيت عليه وعلى الناس فان قلت ما اسماء تلك الكواكب قلت روي
جابر ان يهوديا جا الى النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال اخبرني عن النجوم
التي راهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام
فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال
جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ
ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السما وسجدن له فقال
اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته
والكواكب اخوته وعن وهب رضي الله عنه ان يوسف عليه السلام رأى
وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة
الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه
فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر
والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل
كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون فان
قلت لم اخر الشمس والقمر قلت اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق
الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل
وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رأيت
الكواكب مع الشمس والقمر فان قلت ما معنى تكرار رأيت قلت ليس بتكرار انما هو
كلام مستانف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام قال
له عند قوله اني رأيت احد عشر كوكبا كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال
رأيتهم لي ساجدين فان قلت فلم اجريت مجرى العقلاء في رأيتهم لي ساجدين قلت

لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم كانها عاقلة
وهذا كثير شائع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه
اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على
ان يوسف عليه السلام يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه
بشرف الدارين كما فعل بابائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى
الرؤية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث
كما قيل القربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي
رياك وريّاك بالادغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير
الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم اتزر من الازار واتجر
من الاجر فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك فان قلت
هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد
معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف وذلك
نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل
بادم وحوى ولقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر
وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله وكذلك ومثل ذلك الاجتبا
يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز
وكبرياء شان كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل
في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتبا الاصطفاء افتعال
من جبيت الشي اذا حصلته لنفسك وجبيت الما في الحوض جمعته والاحاديث الرؤى



لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان
يوسف اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني
كتب الله عز وجل وسنن الانبيا وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها
يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله



ورسله فيقال قال الله تعالى وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله فباي حديث
بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى
اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الاخرة بان جعلهم انبياء في الدنيا وملوكا
ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها على ابرهيم بالخلة والانجا من النار

ومزج الوليد وقلما تحقق بالغاية من الروح وفدايه بذبح عظيم واخراج يعقوب والاسباط
من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبيا استدلالا بضوء الكواكب
فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرويا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي
ان تسجد له اخوته حتى تسجد له ابواه وقيل كان يعقوب يوثره لزيادة المحبة والشفقة
لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرويا ضاعف له المحبة
بحيث كان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رويا على
يعقوب عليه السلام قال هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل وآل يعقوب اهله
وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر
يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام بل اهلهما واراد بالابوين
الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاضافة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين
فلان عدة ابرهيم واسحق عطف بيان لابويك إن ربك عليم بمن يستحق
الاجتبا حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات
علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شي للسائلين لمن سال عن قصتهم وعرفها
وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم
بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل
انما قص الله على النبي عليه السلام خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما راى من بغي قومه عليه
ليتاسى به وقيل اسماوهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة
ودان ونفتالي وجاد واشر السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب
والاربعة الاخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت
له بنيامين ويوسف ليوسف اللام لام الابتدا وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة
ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه هو بنيامين وانما قالوا اخوه
وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل احب في الاثنين لان افعل من لا
يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمونث اذا كان معه من ولا بد من الفرق
مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني
انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن
جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة
والمنفعة عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين لفي ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة

والعصابه

والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب
بهم الامور وتستكفى بهم النوائب وروي النزال ونحن عصبة عن علي رضي الله عنه ونحن
عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن الانباري هذا كما تقول العرب
انما العامري عمته اي يتعهد عمته اقتلوا يوسف من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا
كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الامر بالقتل شمعون وقيل
دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين او اطرحوه ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران
وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف ولذلك ابهمها من هذا الوجه نصب نصب الظروف المبهمة
يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقباله واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة
محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم
لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال
ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف من بعده من بعد
يوسف اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا
قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه
او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما مجزوم معطوفا
على يخل لكم واما منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق قال قائل منهم
هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل
عظيم والقوه في غيابت الجب وهو غورته وما غاب منه عن عين الناظر واظلم من اسفله
قال الشاعر اذا انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل اراد
غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرئ
الجحدري غيبة والجب البير لم تطو لان الارض تجب جبا لا غير يلتقطه ياخذه بعض
السيارة بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق وقرئ تلتقطه بالتا على المعنى لان بعض
السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهبت
بعض اصابعه ان كنتم فاعلين ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم هذا هو الراي
مالك لا تامنا قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التا
مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد
منك في بابه ما وجدنا مما يدل على خلاف النصيحة والمقة وارادوا بذلك
لما عزموا على كيد يوسف استنزاله من رايه وعادته في حفظه منهم في حفظه

بهم ومنه دليل على أنه أحس منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه نرتع نتسع في أكل
الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي وقرئ ويرتع
ويلعب بالياء ويرتع من أرتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع
على الابتداء فإن قلت كيف أذن لهم يعقوب في اللعب قلت كان لعبهم الاستباق
والانتضال ليضروا أنفسهم بما يحتاج إليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله إنا ذهبنا
نستبق وإنما سموه لعبا لأنه في صورته ليحزنني اللام لام الابتداء كقوله إن ربك ليحكم
بينهم وهي إحدى ما ذكره سيبويه من شبهي المضارعة اعتذر إليهم بشيئين أحدهما أن
ذهابهم به ومفارقته إياه مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة
الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم أو قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل رأى
في النوم أن الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره عليه فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي أمثالهم
البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذئب بالهمز على الأصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت
الريح إذا أتت من كل جهة القسم محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب لئن
أكله الذئب واللام موطئة للقسم وقوله إنا إذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ
عن جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا لئن كان ما خافه من خطفة
الذئب أخاهم من بينهم وحالهم أنهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الأمور وتكفى الخطوب
إنهم إذا لقوم خاسرون أي هالكون ضعفا وخورا وعجزا ومستحقون أن يهلكوا
لأنه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسار والدمار
وأن يقال أخسرهم الله ودمرهم حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل إن لم نقدر
على حفظ بعضنا بعضا فقد هلكت مواشينا إذا وخسرناها فإن قلت قد اعتذر
إليهم بعذرين فلم أجابوا عن أحدهما دون الآخر قلت هو الذي كان يغيظهم
ويذيقهم الأمرين فأعاروه آذانا صما ولم يعبأوا به أن يجعلوه مفعول أجمعوا
من قولك أجمع الأمر وأزمعه وأجمعوا أمركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت
المقدس وقيل بأرض الأردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب
وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الأذى فقد روي أنهم لما برزوا به
إلى البرية أظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم
لم يغثه إلا بالإهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا أبتاه لو تعلم ما يصنع
بابنك أولاد الإماء فقال يهوذا أما أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه فلما أرادوا إلقاءه في

الجب

الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه
فقال يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به وإنما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على
أبيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا يؤنسونك ودلوه في البئر فلما بلغ
نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو
يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا
وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى أن إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه حين
ألقي في النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه
إبراهيم إلى إسحق وإسحق إلى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف
فجاء جبريل عليه السلام فأخرجه وألبسه إياه وأوحينا إليه قيل أوحي إليه في
الصغر كما أوحي إلى يحيى وعيسى وقيل كان إذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة
سنة لتنبئنهم بأمرهم هذا وإنما أوحي إليه ليؤنسه في الظلمة والوحشة ويبشره
بما يؤول إليه أمره ومعناه لتتخلصن مما أنت فيه ولتحدثن إخوتك بما فعلوا بك
وهم لا يشعرون أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم
ولطول العهد المغير للهيئات والأشكال وذلك أنهم حين دخلوا عليه ممتارين
فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال
إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وكان يدنيه
دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب وقلتم لأبيكم أكله الذئب
وبعتموه بثمن بخس ويجوز أن يتعلق وهم لا يشعرون بقوله وأوحينا على أنا آنسناه
بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون أنه مرهق مستوحش
لا أنيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على أنه وعيد لهم فقوله وهم لا يشعرون
متعلق بأوحينا لا غير وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا
وأصيلا وأصيلانا ورواه ابن جني عشا بضم العين والقصر وقال عشوا من
البكاء وروي أن امرأة حاكمت إلى شريح فبكت فقال له الشعبي يا أبا أمية أما
تراها تبكي فقال قد جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لأحد أن يقضي إلا بما
أمر أن يقضي به من السنة المرضية وروي أنه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني
هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم وأين يوسف قالوا يا أبانا إنا ذهبنا
نستبق أي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل

والترامي وغيره ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي وجاء في التفسير ننتضل
بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك
ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر
مبالغة كانه نفس الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود وانتن الجود
وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين ويجوز ان يكون مفعولا له وقرأت عائشة
رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل طري وفي ... عن ابن جني اصله
من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على الاظفار الاحداث كانه دم قد اثر
في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي
ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلا صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه
على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا
احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات
كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا
على براءة يوسف حين قد من دبر فان قلت على قميصه ما محله قلت محله النصب
على الظرف كانه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال
فان قلت هل يجوز ان تكون حالا متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا تتقدم
عليه سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما
ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم استدل على فعلهم به بما لا يعرفون
وسلامة القميص او اوحي اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او مبتدأ لكونه موصوفا اي
فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في
الحديث المرفوع انه الذي لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي
وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل
سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال
طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني فقال يا رب
خطيئة فاغفرها لي والله المستعان اي استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك
يوسف والصبر على الرزء فيه وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك
بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان
الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين

القي فيه يوسف فارسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي
يرد الماء ليستقي للقوم يا بشراي نادى البشرى كانه يقول تعالي فهذا
من اوانك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشريّ بالياء
مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت
اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي ومولي وعن ابي عمرو يا بشراي بالسكون
وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف فادلى
دلوه اي ارسلها في الجب فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج فاذا هو بغلام احسن ما يكون
فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به
واسروه الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له
في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس ان الضمير
لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف
مخافة ان يقتلوه وبضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة
ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم
وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم
واخيهم من سوء الصنيع وشروه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف
ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا
لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة
لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي
اثنين وعشرين درهما وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف
من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض
له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه
واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه لانهم اعتقدوا انه ابق فخافوا ان يخطروا
بمالهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق وقوله فيه
ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول الا تراك لا تقول
وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال
زهدوا فيه الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على
خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف

ومات في حيوة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى
واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره
ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة
وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة
سنة بدليل قوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد
فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين
وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا
فابتاعه قطفير بذلك المبلغ **اكرمي مثواه** اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي
حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تفقده بالاحسان والتعهد
بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو
مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل او امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده
وهل يراعي حق نزولك به واللام في **لامرأته** متعلقة بقال لا باشتراه **عسى ان ينفعنا**
لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بصدده
فينصحنا فيه بكفايته وامانته **او نتخذه** **ولدا** او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان
قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك والمراة التي اتت
موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وقيل افرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس
في يوسف فقال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمراة التي اتت موسى وقالت
لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروي انه
سأله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه **كذلك** اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف
قلب العزيز عليه والكاف منصوب بتقدير ومثل ذلك الانجاء والعطف **مكنا له** اي
كما انجينا وعطفنا عليه قلب العزيز كذلك مكنا له **في** ارض مصر وجعلناه ملكا
يتصرف فيها بامره ونهيه **ولنعلمه من تأويل الاحاديث** كان ذلك الانجاء والتمكين
لغرضنا ليس الا ما تبعها من علم وعمل **والله غالب على امره** اي على امر نفسه لا يمنع
عما يشاء ولا ينازع ما يريد او على امر يوسف يريد به ما لا يكله الى غيره فقد اراد
اخوته به ما اراد الله ودبره **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ان الامر كله بيد الله
قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلاث وثلثون واربعون وقيل اقصاه
ثنتان وستون **حكما** حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما من

الناس فقيها **وكذلك نجزي المحسنين** تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان
امره فآتاه الله الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة ربه في
شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كأن
المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه
من يده يحتال ان يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها **وغلقت**
الابواب قيل كانت سبعة وقرئ **هيت** بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه
كاين وغيظ وهيت كجير وهيت كحيث وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء
يجيء اذا تهيأ وهيئت **لك** واللام من صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كانه قيل
لك اقول هذا كما تقول هلم لك **معاذ الله** اي اعوذ بالله معاذا **انه** ان الشأن والحديث
ربي سيدي ومالكي يريد قطفير **احسن مثواي** حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه
في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم **انه لا يفلح الظالمون** الذين يجازون الحسن بالسيء
وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد بقوله ربي الله تعالى لانه
مسبب الاسباب **همّ** بالامر اذا قصده وعزم عليه قال
هممت ولم افعل وكدت وليتني ترکت على عثمان تبكي حلائله ومنه قولك
لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه
سيبويه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقيل له **ولقد**
همت به معناه ولقد همت بمخالطته **وهم بها** وهم بمخالطتها **لولا ان رأى برهان**
ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان رأى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم
بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا اني خفت الله لقتلته
فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها قلت
المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه
ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب
بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على
المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته
لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء على
حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من عباده
المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل

قتلته لو لم أخف الله تريد مشارفة القتل ومشافهته كأنه شرع فيه فإن قلت
قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به أم هو خارج منه قلت الأمران
جائزان ومن حق القارئ إذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاماً برأسه أن يقف على
قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وفيه أيضاً إشعار بالفرق
بين الهمين فإن قلت لم جعلت جواب لولا محذوفاً يدل عليه هم بها وهلا جعلته هو الجواب
مقدماً قلت لأن لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل أنه في حكم الشرط وللشرط صدر
الكلام وهو مع ما إذا دلك الدليل عليه بجائز فإن قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم
بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لأن الهم لا يتعلق بالجواهر
ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون إلا من اثنين معاً فكأنه قيل ولقد هما بالمخالطة
لولا أن منع مانع أحدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل
حيث قال ولقد همت به وهم بها فكان إعادة الهم له توجب أن يكون التقدير ولقد
همت بمخالطته وهم بمخالطتها على أن المراد بالمخالطتين توصلها إلى ما هو حظها من قضاء شهوتها
منه وتوصله إلى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا أن رأى برهان ربه فترك التوصل إلى
حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بأن تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم
يوسف بأنه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبأنه حل تكة سراويله وقعد
بين شعبها الأربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بأنه سمع صوتاً إياك وإياها
فلم يكترث له فسمعه ثانياً فلم يعمل به فسمع ثالثاً أعرض عن هذا فلم ينجع فيه حتى مثل له
يعقوب عاضاً على أنملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل
كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولداً إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولداً من أجل ما
نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى
قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وإن عليكم
لحافظين كراماً كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا
فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل أدرك
عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت
مكتوب في ديوان الأنبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة إلى الصنم هناك فسترته
وقالت أستحيي أن يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا أستحيي من السميع
البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم
بهت

الله وأنبيائه وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله
بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره
كما نعيت على آدم صلوات الله عليه زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ذي
النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد أثني عليه وسمي مخلصاً فعلم بالقطع
أنه ثبت في ذلك المقام الدحض وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم ناظراً
في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله عز وجل الثناء فيما أنزل من كتب
الأولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر إلا على استيفاء
قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده
الخليل إبراهيم وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة وطيب الإزار
والتثبت في مواقف العثار فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدي إلى أن يكون
إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدى بنبي من أنبياء
الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي أن ينهاه ربه
ثلاث كرات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ
العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد
غير أنثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل
وبإجباره ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم وأحدهم حدقة وأجلحهم وجهاً لقي
بأدنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من
مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه **كذلك** الكاف منصوب المحل أي مثل ذلك
التثبيت ثبتناه أو مرفوعه أي الأمر مثل ذلك **لنصرف عنه السوء** من خيانة السيد
والفحشاء من الزنا **إنه من عبادنا المخلصين** الذين أخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين أخلصهم
الله لطاعته بأن عصمهم الله ويجوز أن يراد بالسوء مقدمات الفاحشة
من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا أي
هو مخلص من جملة المخلصين أو هو ناشئ منهم لأنه من ذرية إبراهيم الذين قال فيهم إنا
أخلصناهم بخالصة **واستبقا الباب** وتسابقا إلى الباب على حذف الجار وإيصال
الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا فنفر منها
يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج فإن قلت كيف
وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الأبواب قلت أراد الباب البراني الذي

الذي هو المخرج من الدار وتحقيقه وغلقت الابواب والمخلص من العار
روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من
الابواب وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها
الى الباب وتبعته تمنعه والفيا سيدها وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المراة
لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة
قيل اقبلا يريدان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمراة لما اطلع منها زوجها
على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يؤاتها جاءت بحيلة جمعت
فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه
طمعا في ان يؤاتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما ايست من مواتاته طوعا الا ترى
الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن ما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان
يكون استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد فان
قلت كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا قلت قصدت
العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما
قصدته من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم قال هي راودتني عن نفسي ولولا
ذلك لكتم عليها وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة
على لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة
عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع
اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا
تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها
صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة
فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى صلوات الله عليه فان قلت لم سمي
قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت
به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها
بعد فعل الشهادة قلت لانها قول من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد
شاهد فقال ان كان قميصه فان قلت ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة
وانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة
وانه كان تابعها قلت من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعة

عن نفسها فقدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر
في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قُبُل ومن دُبُر بالضم على مذهب الغايات والمعنى
من قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال
لها دبر وعن ابن ابي اسحق انه قرئ من قُبُلَ ومن دُبُرَ بالفتح كانه جعلهما علمين
للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئ بسكون العين فان قلت كيف جاز
الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان قلت لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه
قد ونحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه
تريد ان تمتن علي امتن عليك فلما راى يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها
قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا وان هذا الامر من عملها في يوسف
من كيدكن الخطاب لها ولامتها وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال
الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال
ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع
غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان
لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن
عظيم يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب
له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري لذنبك
انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب
متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان
العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان قليل الغيرة وقال نسوة وقال جماعة
من النساء وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة
صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي
كتانيث اللمة ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث وفيه لغتان كسر النون
وضمها في المدينة في مصر امراة العزيز يريدون قطفير والعزيز الملك بلسان
العرب فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي شغفها خرق حبه
شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال
لها لسان القلب قال النابغة وقد حال هم دون ذلك والج مكان الشغاف
تبتغيه الاصابع وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران

... من قد شغفت فؤادها

وقال ﴿ كما شغف المهنوءة الرجل الطالي ﴾ وحبا نصب على التمييز في
ضلال مبين في خطاء وبعد عن طريق الصواب بمكرهن باغتيابهن وسوء قالهن وقولهن
امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية
وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت
اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكأ ما
يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهن قاعدات متكئات والسكاكين
في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على
ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد ان تقصد
الجمع بين المكرين وبهن فتقع الخناجر في ايديهن فيقطعن ايديهن فيتكبن الحجة
والتهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات وفي ايديهن
الخناجر توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون
للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا
واتين السكاكين ليعالجن بها ما ياكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان
طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اعددت له تكأة يتكئ عليها
قال جميل ﴿ فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله ﴾ وعن مجاهد
متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع
بالسكين وقرئ متكا بغير همزة وعن الحسن متكاء بالمد كانه مفتعال وذلك
لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ
متكا وهو الاترج وانشد ﴿ فاهدت متكة لبني ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح ﴾
وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه
انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب
اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه
اذا قطعه وقرئ الاعرج متكأ مفعلا من تكئ يتكأ اذا اتكأ اكبرنه اعظمنه
وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن
كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم مررت
بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله
كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى

تلالؤ

تلألؤ وجهه على الجدران كما ترى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد
يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه ادم يوم خلقه ربه وقيل ورث
الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرأة
اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج عن حد الصغر الى حد
الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله
﴿ خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق ﴾
قطعن ايديهن جرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها
حاشى كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد قال
﴿ حاشى ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم ﴾ وهي حرف من حروف
الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشى لله براءة الله وتنزيه الله
وهي قراءة ابن مسعود على اضافة حاشى الى الله اضافة البراءة ومن قرأ حاشى
لله فنحو قولك سقيا لك كانه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه
والدليل على تنزيل حاشى منزلة المصدر قراءة ابي السمال حاشا لله بالتنوين
وقراءة ابي عمرو حاش لله بحذف الالف الاخيرة وقراءة الاعمش حشا لله
بحذف الالف الاولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على ان الفتحة اتبعت الالف
في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاش
الاله فان قلت فلم جاز في حاشى لله ان لا ينون بعدما اجري مجرى
براءة لله قلت مراعاة لاصله الذي هو الحرفية الا ترى الى قولهم جلست
من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله وكلى في قوله ﴿ غدت من عليه ﴾
منقلب الالف الى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله سبحانه من صفات العجز
والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله واما قوله حاش لله ما علمنا عليه من سوء
فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة
جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم
وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا
اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيهما
الا لان الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل في الشر من الشياطين ولا
اجمع للخير من الملائكة الا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك

وما هو الا من تعكيسهم للحقايق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب
واعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القران ومنها قوله ما هن
امهاتهم ومن قرى على سليقته من بني تميم قرى بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود وقرى ما
هذا بشرى اي ما هذا بعبد مملوك لئيم إن هذا الا ملك كريم تقول هذا بشرى
اي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى ام بكرى والقراءة هي
الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولم
تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاقه ان يحب ويفتتن به
وربئا بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت
عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني
فيه يعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان
به الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه
في عصمة وهو مجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع
الراي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان
لا شي انور منه على انه بري مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان
فان قلت الضمير في آمره راجع الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى
الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير ويجوز ان يجعل
ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري
ومقتضاه قرى وليكونن بالتشديد والتخفيف والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف
الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة وقرى السجن بالفتح على المصدر
وقال يدعونني على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها
وقلن له اياك والقا نفسك في السجن والصغار فالتجا الى ربه عند ذلك وقال رب
نزول السجن احب الي من ركوب المعصية فان قلت نزول السجن مشقة على
النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه من اللذة
قلت كانت احب اليه واثر عنده نظرا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي
قبح المعصية وفي عاقبة كل واحد منهما لا نظرا في مشتهى النفس ومكروهها والا
تصرف عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين
فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على العفة

والالجا اليه أصب اليهن أمل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس
تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرى أصب اليهن من الصبابة به من الجاهلين من
الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سوى او من السفهاء لان
الحكيم لا يفعل القبيح وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعا لان قوله والا تصرف عني
كيدهن فيه معنى طلب الصرف والدعا باللطف السميع لدعوات الملتجين اليه العليم
باحوالهم وما يصلحهم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والضمير
في لهم للعزيز والمعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم راي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله
من بعد ما راوا الايات وهي الشواهد على براته وما كان ذلك الا باستنزال المراة
زوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها وجملا ذلولا
زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الايات وعمل برايها في سجنه والحاق
الصغار به كما اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله
السجن ويسخره لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتا على الخطاب خاطب به بعضهم
العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كانها
اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي
لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرا عتى حين فقال من اقراك
فقال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا القران فجعله عربيا وانزله بلغة
قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام مع يدل على
معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون
دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان خبازه وشرابيه رقي اليه انهما
يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف اراني يعني
في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول
اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا من المحسنين
من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها راياه يقص عليه بعض اهل السجن
رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما
به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة بتاويل
ما راينا ان كانت لك يد في تاويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام
عليه واذا ضاق اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس

قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا ان لهذا
لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك واحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن
انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال
له عامل السجن لو استطعت لخليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت
وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رأيناك فقال انشدكما بالله ان لا
تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من
حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها
بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي
اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها
في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلاث سلال فيها انواع
الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها فان قلت الام يرجع الضمير في قوله نبئنا
بتأويله قلت الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة كأنه
قيل نبئنا بتأويل ذلك لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل
به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما
بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم
يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى
ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك
بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا
استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا
ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه
ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان
يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بتأويله ببيان ماهيته
وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذلكما اشارة لهما
الى التأويل اي ذلكما التأويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي واوحى الى
به ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدأ وان يكون تعليلا
لما قبله اي علمني ذلك واوحى به الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء
المذكورين وهي الملة الحنيفية واراد باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان

على دينهم وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالاخرة وان غيرهم
مؤمنون بها وهم الذين على ملة ابرهيم عليه السلام ولتوكيد كفرهم بالجزاء
تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء
ويجوز ان يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين اودعوه السجن بعد ما رأوا الآيات
الشاهدة على براءته وان ذلك ما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر
آباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره
بالغيوب لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا
معشر الانبياء ان نشرك بالله اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به
صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس اي
على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس
المبعوث اليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل ان ذلك من
فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل
تلك الادلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون
اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن
فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير
مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام
ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا
الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد
يا ساكني السجن كقوله اصحاب الجنة واصحاب النار لسكانهما أأرباب متفرقون
يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول أأن تكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا
ويستعبدكما هذا خير لكما ام يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك
في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده
ولعبادة الاصنام ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر
الا اسماء يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم
لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال
سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان من حجة
ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر الا تعبدوا

الا اياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين اما احدكما فيسقي ربه سيده وقرئ عكرمة فيسقى ربه اي يسقى ما يروى به على البناء للمفعول روي انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني واما ما رايت من السلال فهي ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل قضي الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما فان قلت ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله وظنا ان ما راياه في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه من العاقبة وهو هلاك احدهما ونجاة الاخر وقيل جحدا وقالا ما راينا شيئا على ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما ظن انه ناج الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تاويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسى الشرابي ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله عز وجل حين وكل امره الى غيره بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف يقدر الشيطان على الانساء قلت يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشي من اسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من اية او ننسها فان قلت ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هو باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قلت قد لابسه في قوله فانساه الشيطان ذكره لربه او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر على يوسف عليه السلام الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وفي ما حكاه عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم من فرج

وقيل لبث في السجن اثنا عشر سنة عدد حروف اذكرني عند ربك بالحساب الصغير والله اعلم

عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الاخرة وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ياخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد بن ابي وقاص فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت كما اصطفى الله عز وجل الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه عز وجل ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قراها ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس لما دنا فرج يوسف عليه السلام راى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته راى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت والتوت وادركت الا اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فان قلت هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده فان قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام واربعة غلاظ فان قلت ذلك فيما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسـ

وقوع عجاف جمعاً لعجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال قلت هو على الحمل على
نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فإن قلت هل في
الآية دليل على أن السنبلات اليابسة كانت سبعاً كالخضر قلت الكلام مبني على
انصبابه إلى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنبلات الخضر فوجب أن
يتناول معنى الأخر السبع ويكون قوله **وأخر يابسات** بمعنى وسبعاً أخر فإن قلت
هل يجوز أن يعطف قوله وأخر يابسات على **سنبلات خضر** فيكون مجرور المحل
قلت يؤدي إلى تدافع وهو أن عطفها على سنبلات خضر يقتضي أن يدخل في حكمها
فيكون معها مميزاً للسبع المذكورة ولفظ الآخر يقتضي أن يكون غير السبع بيانه
أنك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لأنك ميزت السبعة
برجال موصوفين بالقيام والقعود على أن بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت
عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد **يا أيها الملأ** كأنه أراد
الأعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله **للرؤيا** إما أن تكون للبيان كقوله
وكانوا فيه من الزاهدين وإما أن تدخل لأن العامل إذا تقدم عليه معموله لم يكن
في قوته على العمل فيه مثله إذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل إذا
قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز أن يكون للرؤيا
خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلاً به متمكناً منه و
تعبرون خبراً آخر أو حالاً وأن يضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كأنه قيل
إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر
أمرها كما تقول عبرت النهر إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره أي
شطه ونحوه أولت الرؤيا إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف
هو الذي اعتمده الأثبات ورأيتهم ينكرون عبرت
بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت أنشده المبرد في كتاب
الكامل لبعض الأعراب ۞ رأيت رؤيا ثم عبرتها ۞ وكنت للأحلام عبارا ۞
أضغاث أحلام تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان
وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك
والإضافة بمعنى من أي أضغاث من أحلام والمعنى هي أضغاث أحلام فإن قلت
ما هو إلا حلم واحد فلم قالوا أضغاث أحلام قلت هو كما تقول فلان

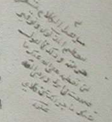
ورك

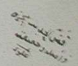
يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب إلا فرساً واحداً وما له إلا عمامة فردة
تزيداً في الوصف فهؤلاء أيضاً تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه أضغاث
أحلام ويجوز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها **وما نحن بتأويل
الأحلام بعالمين** إما أن يريدوا بالأحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس
لها عندنا تأويل فإن التأويل إنما هو للمنامات الصحيحة الصالحة وإما أن يعترفوا
بقصور علمهم وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بنحارير وقرئ **وادكر** بالدال المهملة وهو
الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال أي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف
وما شاهد منه **بعد أمة** بعد مدة طويلة وذلك أنه حين استفتى الملك في رؤياه
وأعضل على الملأ تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه
إليه أن يذكره عند الملك وقرئ الأشهب العقيلي بعد إمة بكسر الهمزة والإمة
النعمة قال عدي ۞ ثم بعد الفلاح والملك والإمة وارتهم هناك القبور ۞
أي بعدما أنعم عليه بالنجاة وقرئ بعد أمه بعد نسيان يقال أمه يأمه أمهاً
إذا نسي ومن قرئ بسكون الميم فقد خطئ **أنا أنبئكم بتأويله** أنا أخبركم به عمن عنده
علمه وفي قراءة الحسن أنا آتيكم بتأويله **فأرسلون** فابعثوني إليه لأسأله ومروني
باستعباره وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يكن السجن في المدينة المعنى فأرسلوه إلى
يوسف فأتاه فقال **يوسف أيها الصديق** أيها البليغ في الصدق وإنما قاله لأنه ذاق
أحواله وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول
ولذلك كلمه كلام محترز فقال **لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون** لأنه ليس على يقين
من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون لعلهم
يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك **تزرعون** خبر في
معنى الأمر كقوله تؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر وتجاهدون وإنما يخرج الأمر
في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به فيجعل كأنه يوجد فهو يخبر عنه
والدليل على كونه في معنى الأمر قوله فذروه في سنبله **دأباً** بسكون الهمزة
وتحريكها وهما مصدرا دأب في العمل وهو حال من المأمورين أي دائبين إما على تدأبون
دأباً وإما على إيقاع المصدر حالاً بمعنى ذوي دأب **فذروه في سنبله** لئلا يتسوس
يأكلن من الإسناد المجازي أكل أهلهن مسنداً إليهن **تحصنون** تحرزون وتخبئون
يغاث الناس من الغوث أو من الغيث يقال غيثت البلاد إذا مطرت ومنه قول

قراءة جميع القراء الا حفص

جمع العرا لاجهور والكسائي بالتا

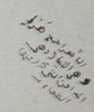
الاعرابية فيه تعصرون بالياء والتاء تعصرون العنب والزيتون والسمسم
وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق
للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون
انفسهم اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة
وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل
اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تاول البقرات السمان والسنبلات الخضر
بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرؤيا
بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي
وعن قتادة زاده الله علم سنة فان قلت معلوم ان السنين المجدبة اذا انتهت كان
انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء قلت ان علم ذلك من جهة الوحي قلت ذلك
معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال
العام وذلك لا يعلم الا بالوحي انما تانى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال
النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح
امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع
سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل
على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه السلام
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله للمارين
به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف
والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه
الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة
وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن
شان النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شانهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه
للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة
وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل وقرئ النسوة بضم
النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن
والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي ان الله تعالى بكيدهن عليم اراد انه





كيد عظيم لا يعلمه الا الله عز وجل لبعد غوره او استشهد بعلم الله تعالى على انهن
كدنه وانه بريء مما قرف به او اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه
ما خطبكن ما شانكن اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن حاش لله
تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امراة العزيز
الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص
البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال
فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن
له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لانهن
خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال
المجبرة والحشوية نحن فقد بقي لنا مقال وهو لا بد لنا ان نلحق في ورطة من ثبتت نزاهته
ذلك ليعلم العزيز من كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم
اخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا
غائب عنه خفي عن عينه او وهو غائب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب
وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد
الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامراته في خيانتها امانة زوجها وبه
في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز ان
يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده
ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا
ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين
ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما
ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا احلوا اما ان يريد
في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن
طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اراد
الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي
الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان
بمعنى الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة
ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم

سعدون الارحمه وقيل معناه ذلك ليعلم الله انى لم اخنه لان المعصية خيانة
وقيل هو من كلام امراة العزيز اى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف انى لم اخنه بالغيب
ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصدق والصحيح فيما سئلت عنه
وما ابرئ نفسى مع ذلك من الخيانة فانى قد خنته حين قذفته وقلت ما جزا
من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها
ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف
ان ربى غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت فان قلت كيف صح
ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل
من كلامه ونحوه قوله قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم
من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تامرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن
ابن جريج هذا من تقديم القران وتاخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم العزيز متصل بقوله
فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة
فزعموا ان يوسف حين قال انى لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت
له امراة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله
ورسله فقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به **فلما كلمه**
وشاهد منه ما لم يحتسب **قال** ايها الصديق **انك اليوم لدينا مكين** ذو مكانة ومنزلة
امين مؤتمن على كل شىء روى ان الرسول جاء فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا
لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار
في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحيا وشماتة
الاعدا وتجربة الاصدقا ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل
على الملك قال اللهم انى اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم
عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائى وكان الملك
يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق انى احب
ان اسمع رؤياى منك قال رايت بقرات ووصفهن واحوالهن ومكان خروجهن
ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التى راها الملك لا يخرم منها حرفا وقال
له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فياتيك الخلق من النواحى ويمتارون منك ويجتمع
لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك **اجعلنى على خزائن الارض** ولى خزائن ارضك **انى**



حفيظ عليم امين احفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة
والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله
واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله بعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا
غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن
النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله
من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون
تبعا له وتحت امره وطاعته قلت روى مجاهد انه كان قد اسلم وعن قتادة هو
دليل انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون
القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبى والعالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله
ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر
عن رايه ولا يعترض عليه في كل ما راى فكان في حكم التابع له والمطيع **وكذلك** ومثل ذلك التمكين
الظاهر **مكنا ليوسف في الارض** ارض مصر روى انها كانت اربعين فرسخا في اربعين **يتبوأ**
منها حيث يشاء قرئ بالنون والياء اى كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه
لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكته وسلطانه روى ان الملك توجه وختمه
بخاتمه وردّاه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروى
انه قال اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس
من لباسى ولا لباس ابائى فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على
السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه
الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت
له ولدين افراييم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنسا واسلم على يديه
الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سنى القحط الطعام بالدنانير والدراهم في
السنة الاولى حتى لم يبق معهم شىء منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار
ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه
فقال للملك كيف رايت صنع الله بى فيما خولنى فما ترى قال الراى رايك قال فانى اشهد
الله واشهدك انى اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد
من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب بلاد كنعان وبلاد الشام
نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين **نصيب برحمتنا**

في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك
ولا نضيع اجر المحسنين ان نأجرهم في الدنيا ولاجر الاخرة خير لهم قال سفيان بن عيينة
المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في
الاخرة من خلاق وتلا هذه الاية لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم في سن
الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم
بشانه ولبعد حاله التي راوه عليها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا
في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان
الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من المهابة والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل
راوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى راسه
تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما راوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب
وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال وراى زيهم
قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن
وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم وهي الزاد
وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاءوا اليه من الميرة وقرئ بجهازهم
بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لابد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجترأ
القول هذه المسألة روي انه لما راهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم
وما شأنكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار
فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب
واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر
فهلك منا واحد قال فكم انتم ها هنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا
عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وان الذي تقولون
حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة
وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت
القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم
وضيافتهم ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما
عطفا على محل قوله فلا كيل لكم لانه قيل فان لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا وان
تكونوا بمعنى النهي سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه

منه وانا لفاعلون وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او انا لفاعلون ذلك لا
محالة ولا نفرط فيه ولا نتوانى لفتيته وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان
في اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين لعلهم يعرفونها لعلهم
يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم
لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال
والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم
ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون
امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معناه لعلهم يرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم
يرجعون لعلهم يردونها منع منا الكيل يريدون قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل
لكم لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل
من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل يعني يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا
او يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه هل آمنكم يريد انكم قلتم في يوسف
وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال
فالله خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه وحافظا نصب على التمييز كقولك هو خيرهم
رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان يكون حالا وقرئ حفظا وقرئ الاعمش فالله
خير حافظ وقرئ ابو هريرة خير الحافظين وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحم
على حفظه ولا يجمع علي مصيبتين وقرئ ردت الينا بكسر الراء على ان كسرة الدال المدغمة
نقلت الى الراء كما في قيل وبيع وحكي ضرب زيد على نقل كسرة الراء المدغمة فيها
الى الضاد ما نبغي اي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من
احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا
كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبتغي شيئا وراء ما فعل
بنا من الاحسان او على الاستفهام اي اي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود
ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من
الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله هذه
بضاعتنا ردت الينا جملة مستأنفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة
عليها اي نعطى بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك
ونحفظ اخانا فلا يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائدا

على أوساق أباعرنا فأي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها أحوالنا ونوسّع ذات
أيدينا وإنما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا أنه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط
فإن قلت هذا إذا فسرت البغي بالطلب فأما إذا فسرته بالكذب والتزيد في القول
كانت الجملة الأولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت إلينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد من
قيلهم فما تصنع بالجمل البواقي قلت أعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير
أهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغي أن نمير أهلنا كأنك
تسعى في حاجة فلان وتجتهد فيه لتحصل غرضه ويجب أن نسعى وينبغي لي أن لا أقصر يجوز
أن نزداد ما نبغي وما ننطق إلا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع أخينا ثم قالوا
هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير أهلنا ونفعل ونصنع بيانا لأنهم لا يضيعون في رأيهم وأنهم
مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح **ذلك كيل يسير** أي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعني
ما يكال لهم فأرادوا أن يزدادوا إليه ما يكال لأخيهم أو يكون ذلك إشارة إلى كيل بعير
أي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا إليه الملك ولا يضايقنا فيه أو سهل عليه متيسر لا يتعاظمه
ويجوز أن يكون من كلام يعقوب وأن حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله
ذلك ليعلم **لن أرسله معكم** منافي الحالي وقد رأيت منكم ما رأيت إرساله معكم **حتى تؤتون**
موثقا من الله حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله أراد أن تحلفوا له بالله وإنما جعل الحلف
بالله موثقا منه لأن الحلف مما تؤكد به العهود وتشدد وقد أذن الله تعالى في ذلك
فهو إذن منه **لتأتنني به** جواب اليمين لأن المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به **إلا أن يحاط بكم**
إلا أن تغلبوا فلم تطيقوا الإتيان به أو إلا أن تهلكوا فإن قلت أخبرني عن حقيقة
هذا الاستثناء ففيه إشكال قلت أن يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله
لتأتنني به في تأويل النفي معناه لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم أي لا تمتنعون
منه لعلة من العلل إلا لعلة واحدة وهي أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام في المفعول
له والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا في النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره
من الإثبات المتأول بمعنى النفي قولهم أقسمت بالله لما فعلت وإلا فعلت تريد ما أطلب منك إلا
الفعل **على ما نقول** من طلب الموثق وإعطائه **وكيل** رقيب مطلع ولما نهاهم أن **يدخلوا**
من باب واحد لأنهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد اشتهرهم أهل مصر بالقربة
عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الأبصار إليهم
من بين الوفود وأن يشار إليهم بالأصابع ويقال هؤلاء أضياف الملك انظروا إليهم

ما أحسـ

ما أحسنهم من فتيان وما أحقهم بالإكرام لأمر ما أكرمهم الملك وقربهم وفضلهم
على الوافدين إليه فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة أمرهم
في الصدور ويصيبهم ما يسوؤهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الأولى لأنهم كانوا
مجهولين مغمورين بين الناس فإن قلت هل للإصابة بالعين وجه تصح عليه قلت
يجوز أن يحدث الله عز وجل عند النظر إلى الشيء والإعجاب به نقصانا فيه وخللا
من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من أهل
الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو أثر العين كما قال وما جعلنا
عدتهم إلا فتنة للذين كفروا الآية وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يعوذ
الحسن والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة
وما أغني عنكم من الله من شيء يعني إن أراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم
ما أشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة **إن الحكم إلا لله** من **ولما**
دخلوا من حيث أمرهم أبوهم أي متفرقين **ما كان يغني عنهم من الله من شيء** أي
يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من إضافة السرقة
إليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة
على أبيهم **إلا حاجة** استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة **في نفس يعقوب قضاها**
وهي شفقته عليهم وإظهارها بما قاله لهم ووصاهم به **وإنه لذو علم** يعني قوله
وما أغني عنكم وعلمه بأن القدر لا يغني عنه الحذر **آوى إليه أخاه** ضم إليه
بنيامين وروي أنهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم
وأصبتم وستجدون ذلك عندي فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين
منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه
فقال يوسف بقي أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته وجعل يواكله
وقال أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات
يوسف يضمه إليه ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين
اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي هلك فقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك
فقال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام إليه
وعانقه **وقال له إني أنا أخوك** يوسف **فلا تبتئس** فلا تحزن **بما كانوا يعملون**
بنا فيما مضى فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك وعن ابن عباس

تعرف اليه وعن وهب انما قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود ولا تبتئس
بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك
قال قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك
الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك
بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل السقاية مشربة يسقى
بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب
تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا تشبه المكوك وقيل هي المكوك
الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب
وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد
نادى اذنه اعلمه واذّن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روي
انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك
والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير
ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف
فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي
وقرئ بن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم
بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن وقرئ
ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وقرئ صواع
وصاع وصوع وصُوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة وانا به زعيم
يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اؤديه الى من رده به واراد وسق بعير من
طعام جعلا لمن حصله تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد
علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم في كرتي
مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول
زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها
في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا
فما جزاؤه الضمير للصواع فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة
منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان
حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم

فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق
زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه
ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام
المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك
من اخو زيد فتقول اخوه من يقعد الى جنبك فهو هو يرجع الضمير الاول الى من
والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه
كما تقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم تقول ومن قتله منكم
متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فبدأ باوعيتهم قيل لما قال لهم من وكل بهم
لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء
اخيه لنفي التهمة ثم بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله
لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه
وقرئ الحسن وُعاء اخيه بضم الواو وهو لغة وقرئ سعيد بن جبير إعاء اخيه
بقلب الواو همزة فان قلت لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه قلت
رجع بالتانيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف
كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية
وفيما يتصل به منه صواعا كذلك كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا
ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك
تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في
السارق ان يغرم مثلي ما اخذ الا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله اي
ما كان ليأخذه الا بمشيئة الله تعالى واذنه فيه نرفع درجات من نشاء في العلم
كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين
وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او وفوق العلماء
كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وعلا فان قلت ما اذن الله
فيه يجب ان يكون حسنا فما وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق
لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم
كاذبين قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لان قوله
انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك

القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفا براتهم وفرض
التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح بالتسريق لكان له وجه
لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب وحكم
هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب
عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابرهيم هي
اختي لتسلم من يد الكافر وما الشرايع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في
المفاسد وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما
وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا اخ له
ارادوا يوسف روي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته
روسهم حيا واقبلوا عليه وقالوا ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا
يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلا متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذي
لا يزال منكم عليهم البلا ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي
الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل
كان اخذ في صباه صنما لجده ابي امه فكسره والقاه بين الجيف في الطريق وقيل
دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان
في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السايل وقيل كانت لابرهيم عليه السلام
منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده
فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفات امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب
ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت
منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه
لي سلم افعل به ما شيت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها اضمار
على شريطة التفسير تفسيره انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة
على تسميتهم الطايفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم
شر مكانا والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من اسرها
وفي قراة ابن مسعود فاسره على التذكير يريد القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم
شر منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم
بما تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون استعطفوه

بذكرهم اباهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين
احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه
مستانس باخيه فخذ احدنا مكانه بدله على وجه الاستعباد او الاسترهان انا نراك من
المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها
معاذ الله هو كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد
الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون
ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة
او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غير من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف
الوحي ومعنى معاذ الله ان ناخذ نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فاضيف المصدر الى
المفعول به وحذف من اذن جواب لهم وجزا لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا
استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم والنجي يكون
على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى
وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل
قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم
نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال اذا ما القوم كانوا انجية
ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى
او فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم
لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان
تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان
اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور كبيرهم في السن
وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والراي وهو
يهوذا ما فرطتم في يوسف فيه وجوه ان تكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في
شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على
الابتدا وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب
عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم
موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان تكون موصولة عطفا على هذا بمعنى ومن قبل هذا
ما فرطتموه اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب

على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف اليه او
يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب
وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق وقرئ سُرِّق اي نسب الى السرقة
وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا
شيء ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق
او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرئ سُرِّق فمعناه وما شهدنا الا بقدر
ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع في
رحله ولم يشعر القرية التي كنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران
يعقوب وقيل من اهل صنعاء معناه فارجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم
فقال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق
يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم بهم جميعا بيوسف واخيه وروبيل وغيره
انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة
وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به يا اسفا اضاف الاسف وهو اشد
الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف
ويوسف مما يقع مطبوعا غير مستعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم
وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون من سبأ بنبأ وعن النبي صلى
الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة
الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفا
فان قلت كيف تاسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث
اشد على النفس واظهر اثرا قلت هو دليل على تمادي اسفه على يوسف
وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم العهد كان غضا عنده
طريا ولم ينس ذو المصيبات بعده ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته
التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه اسفا على من لحق به وابيضت
عيناه اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد
عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان
سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب
من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب
على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد
وما ساء ظنه بالله ساعة قط فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع
ذلك المبلغ قلت الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن
ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا
نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع
من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد لبعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل
يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح
وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله عليه انه بكى على ولد له او غيره فقيل له في ذلك
فقال ما رايت الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على
اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم
السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ بكظامه
تفتؤ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن
بد من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتؤ
بحذف حرف النفي لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتوء والفتور
اخوين يقال ما فتئ يفعل كذا
لما فتئت حبلى بثوب وتدعش وتلحق بها لاحق وينقطع حرضا
مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة
بهما جميعا وقرئ حُرُضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب
البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه
الى الناس اي ينشره ومنه باثثته وابثثته اياه ومعنى انما اشكو اني لا اشكو
الى احد منكم ولا من غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي
وهذا معنى توليه عنهم اي فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب
جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني

وأنا في ما ابتلاني الله به ثم هجم يوسف فأوحى الله تعالى إليه يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي
قال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي فغفرها له فكان بعد ذلك إذا سئل قال إنما أشكو
بثي وحزني إلى الله وروي أنه أوحى إلى يعقوب إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة
فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وإن أحب خلقي إلي الأنبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع
عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت عليه حتى عميت
وأعلم من الله ما لا تعلمون أي أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به أنه يأتيني بالفرج
من حيث لا أحتسب وروي أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح
يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقرئ الحسن وحزني بفتحتين وحزني بضمتين
قتادة فتحسسوا من يوسف وأخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ
بهما في الحجرات وهما تفعل من الإحساس وهو المعرفة فلما احتجت عنى منهم الكفرون
الجس هو الطلب ومنه قالوا لمشاعر الإنسان الحواس والجواس من روح الله
من فرجه وتنفيسه وقرئ الحسن وقتادة من روح الله بالضم أي من رحمته التي يحيي بها العباد
الضر الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا
لها من زجيته إذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع
الأعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والأقط
وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة فأوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق
علينا وتفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا وتصدق
علينا وتفضل علينا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لأن الصدقات
محظورة على الأنبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة
عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق علينا أراد أنها كانت حلالا لهم والظاهر أنهم تمسكنوا
له وطلبوا إليه أن يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك أن
عرفهم نفسه وقوله إن الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه
والصدقة العطية التي يبتغى بها المثوبة من الله تعالى ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول
اللهم تصدق علي إن الله لا يتصدق إنما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم أعطني
أو تفضل علي أو ارحمني قال هل علمتم أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم
مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح
ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه

يعني

يعني هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح والاست-
قباح يجر إلى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة
وتثريبا إيثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب
وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثأره الموتور فلله أخلاق
الأنبياء ما أوطأها وأسجحها ولله حصى عقولهم ما أرزنها وأرجحها وقيل لم يرد
نفي العلم عنهم لأنهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يعملوا بما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه
إلا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه إذ أنتم صبيان في حد السفه والطيش قبل
أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة وروي أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر
وتضرعوا إليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل أدوا إليه كتاب
يعقوب من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر
أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي
به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما أبي فوضع
السكين على قفاه ليقتل ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي
فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله
الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت
أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا إنه سرق وإنك حبسته لذلك وإنا
أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فإن رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة
تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره
فقال لهم ذلك وروي أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبروا كما صبروا
تظفروا كما ظفروا فإن قلت ما فعلهم بأخيه قلت تعريضهم إياه للغم والثكل
بإفراده عن أخيه لأبيه وأمه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع أن يكلم أحدا
منهم إلا كلام الذليل للعزيز أبدا وهم له بأنواع الأذى وقرئ أئنك
على الاستفهام وإنك على الإيجاب وفي قراءة أبي أئنك أو أنت يوسف على معنى أئنك
يوسف أو أنت يوسف فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب
لما يسمع فهو يكرر الاستثبات فإن قلت كيف عرفوه قلت رأوا في روايته
وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو مع علمهم أنما خاطبهم به لا يصدر
مثله إلا عن حنيف مسلم من سنخ إبراهيم لا عن بعض أعزاء مصر وقيل تبسم عند

ذلك يعرفونه بشمائله وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه
فنظروا إلى علامة بقرنه كان ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء قال أنا
قال فسألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه على أن أخاه كان معلوما
لهم قلت لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه من يتق من مخالفه وعقابه
ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فإن الله لا يضيع أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير
لاشتماله على المتقين الصابرين لقد آثرك الله علينا أي فضلك علينا بالتقوى والصبر
وسيرة المحسنين وإن شأننا وحالنا أنا كنا لخاطئين متعمدين للإثم لم نتق ولم نصبر
لا جرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك لا تثريب عليكم لا
تأنيب عليكم ولا عتب وأصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية
الكرش ومعناه إزالة الثرب كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع لأنه
إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع
الذي يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه فإن قلت بم يتعلق اليوم قلت بالتثريب
أو بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار أو بيغفر والمعنى لا أثربكم اليوم وهو اليوم
الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الأيام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم
فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر لك على لفظ الماضي والمضارع
جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم أو اليوم يغفر لكم بشارة بعاجل
غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني
فاعلا بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال
أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي أن أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس
إذا أتيت الرسول فاتل عليه لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله غفر الله
لك ولمن علمك ويروى أن إخوته لما عرفوه أرسلوا إليه إنك تدعونا إلى طعامك
بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف إن أهل مصر وإن
ملكت فيهم فإنهم ينظرون إلي بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين
درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس أنكم إخوتي
وأني من حفدة إبراهيم عليه السلام اذهبوا بقميصي قيل هو القميص المتوارث الذي
كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل عليه السلام أن يرسله إليه فإنه

ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفي يأت بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء
البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا أو يأت إلي وهو بصير وينصره قوله
وأتوني بأهلكم أجمعين أي يأتيني أبي ويأتي آله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل وقال
أنا أحزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم فأفرحه كما أحزنته وقيل حمله وهو حاف
حاسر من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عرش
مصر يقال فصل من البلد فصولا إذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس
فلما انفصل العير قال لولد ولده ومن حوله من قومه إني لأجد ريح يوسف أوجده
الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمان والتفنيد النسبة إلى الفند وهو الخرف
وإنكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لأنها لم تكن في شبيبتها
ذات رأي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم إياي لصدقتموني لفي ضلالك
القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في إفراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك
للقائه وكان عندهم أنه قد مات ألقاه طرح البشير القميص على وجه
يعقوب أو ألقاه يعقوب فارتد بصيرا يعني قوله إني لأجد ريح يوسف أو قوله ولا
تيأسوا من روح الله وقوله إني أعلم كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولك أن توقعه
عليه وتريد إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروي أنه سأل
البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال
على دين الإسلام قال الآن تمت النعمة سوف أستغفر لكم قيل أخر الاستغفار
إلى وقت السحر وقيل إلى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الإجابة وقيل ليتعرف حالهم
في صدق التوبة وإخلاصها وقيل أراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي
أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام إلى الصلاة
في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة
صبري عنه واغفر لولدي ما أتوا به إلى أخيهم فأوحى الله إليه أن الله قد غفر
لك ولهم أجمعين وروي أنهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما إن لم
يعف عنا ربنا فإن لم يوح إليك بالعفو فلا قرت لنا عين أبدا فاستقبل الشيخ
القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين
سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا أنها الهلكة نزل جبريل عليه السلام وقال إن الله
قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف

استتبا بهم **فلما دخلوا على يوسف** قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومايتي راحلة ليتجهز
اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة الاف من الجند والعظما واهل مصر باجمعهم فتلقوا
يعقوب وهو يمشي يتوكا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون
مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل
ان يوسف قال له لما التقيا يا ابه بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا قال
بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر
وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامراه وخرجوا منها مع موسى والمقاتلون منهم ستماية
الف وخمسماية وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف
الف ومايتي الف **اوى اليه ابويه** ضمهما اليه واعتنقهما قال الحسن كانت امه تحيا
وقيل هما ابوه وخالته ماتت امه فتزوجها وجعلها احد الابوين لان الرابة تدعا
اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله واله اباءك
ابرهيم واسمعيل واسحق فان **قلت** ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر
قلت كانه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت ثم فدخلوا عليه وضم اليه
ابويه ثم **قال لهم ادخلوا مصر ان شا الله امنين** ولما دخل مصر وجلس في مجلسه
مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير **وخروا له** يعني الاخوة
الاحد عشر والابوين **سجدا** ويجوز ان يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل
على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فاواهما اليه بالضم والا
عتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فان قلت بم تعلقت المشية
قلت بالدخول مكيفا بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن لان القصد الى
اتصافهم بالامن في دخولهم فكانه قيل لهم اسلموا وامنوا في دخولكم ان شا الله
ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما ان شا الله فلا تعلق المشية بالرجوع مطلقا
ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر امنين ان شا الله
دخلتم امنين ثم حذف الجزا لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزايية بين الحال وذي
الحال ومن بدع التفاسير ان قوله ان شا الله من باب التقديم والتاخير وان
موضعها ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما ادري ما اقول
فيه وفي نظايره فان قلت كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله عز وجل قلت
كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل

اليد

اليد ونحوهما مما جرت عليه عادة الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير
وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يا باه وقيل معناه
وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا ايضا فيه نبوة يقال احسن اليه وبه
قال **وقد احسن بي** اذ اخرجني من السجن **من البدو** من البادية لانهم كانوا
اهل عمد واصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع **نزغ** افسد بيننا واغرى
واصله من نخس الرايض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه **لطيف
لما يشا** لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجي على وجه الحكمة والصواب وروي ان يوسف اخذ
بيد يعقوب فطاف به في خزاينه فادخله خزاين الورق والذهب وخزاين الحلي
وخزاين الثياب وخزاين السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزانة القراطيس قال
يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني
جبريل قال او ما تساله قال انت ابسط اليه مني فسله قال جبريل الله امرني بذلك
لقولك واخاف ان ياكله الذيب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام معه اربعا
وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه و
دفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه
لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدايم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت
وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر
وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فراوا من الراي ان
عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الما
ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرايم وميشا وولد
لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده
مصر ولم تزل بنو اسرايل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وابايه الى ان بعث الله
موسى صلى الله عليه وسلم من في **من الملك ومن تاويل الاحاديث** للتبعيض لانه لم يوت
الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك مصر وبعض التاويل **انت وليي** انت الذي تتولاني
بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي **توفني مسلما** طلب للوفاة على
حال الاسلام ولان يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم
مسلمون ويجوز ان يكون تمنيا للموت على ما قيل **والحقني بالصالحين** من ابايي او على
العموم وعن عمر بن عبد العزيز ان ميمون بن مهران بات عنده فراه كثير البكا والمسالة

للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا احييت شيخا وامت بدعائك
جيفتك خير وراحة للمسلمين فما لي الا اكون كالعبد الصالح لما اقر الله
عينه وجمع له امره دعا توفني مسلما والحقني بالصالحين فان قلت علام انتصب
فاطر السموات قلت على انه وصف لقوله رب كقولك اخا زيد كريما وتجوز النصب على النداء
او على النداء ذلك اشارة الى ما سبق من نبا يوسف والخطاب لرسول الله ومحله
الابتدا وقوله من انباء الغيب نوحيه اليك خبران ويجوز ان يكون اسما موصولا
بمعنى الذي ومن انباء الغيب صلته ونوحيه الخبر فالمعنى ان هذا النبا غيب لم يحصل
لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اجمعوا امرهم وهو القاؤهم
اخاهم في البير كقوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وهذا تهكم بقريش
وبمن كذبه لانه لم يخف على احد من المكذبين انه لم يكن من حملة هذا الحديث
واشباهه ولا لقي فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به
وقصه هذا القصص العجيب الذي اعجز حملته ورواته لم يقع شبهة في انه
ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة
انه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ
قضينا الى موسى الامر وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل وما اكثر الناس
يريد العموم كقوله ولكن اكثر الناس لا يومنون وعن ابن عباس اراد اهل مكة
وما هم بمومنين ولو حرصت وتهالكت على ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم
وما تسالهم على ما تحدثهم به وتذكرهم ان ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطى حملة
الاحاديث والاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وحث على طلب
النجاة على لسان رسول من رسله من اية من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته
وتوحيده يمرون عليها ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ
والارض بالرفع على الابتدا ويمرون عليها خبره وقرأ السدي والارض بالنصب
على ويطؤن الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع
الارض والمراد ما يرون من اثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يومن
اكثرهم في اقراره بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض وهو مشرك
بعبادته الوثن وعن الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن عباس هم
الذين يشبهون الله بخلقه غاشية نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب

[illegible]

[illegible]ـعالهم وقيل الصواعق هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان
والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويونثان ثم فسر سبيله بقوله ادعو
الى الله على بصيرة اي ادعو اليه دينه مع حجة واضحة غير عمياء وانا تاكيد للمستتر
في ادعو ومن اتبعني عطف عليه يريد ادعو اليها انا ويدعو اليها من اتبعني ويجوز ان
يكون انا مبتدا وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على انا اخبارا مبتدا بانه
ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة
الرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله وانزهه من الشركا الا رجالا لا ملائكة لانهم كانوا
يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امراة وقيل في
سجاح المتنبئة ولم تكن انبيا الله ذكرانا وقرئ نوحي اليهم بالنون
من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفا والقسوة
ولدار الاخرة ولدار الساعة او الحال الاخرة خير للذين اتقوا للذين خافوا
الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ افلا تعقلون بالتاء والياء حتى متعلقة
بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى
نصرهم حتى اذا استيئسوا من النصر وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم
حين حدثتهم بانهم ينصرون او رجاهم لقولهم رجا صادق ورجا كاذب
والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتاميله
قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم
في الدنيا جاءهم نصرنا فجاة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا
وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال وكانوا بشرا وتلا قوله
وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس
فالمراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث
النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجح احد الجانبين على الاخر
فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه
متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل
قد كذبوا اي اخلفوا وظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل اي ان الرسل كذبوهم
عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل انهم قد
كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرأ مجاهد بالتخفيف

على البناء للفاعل على وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم
من النصرة اما على تاويل ابن عباس واما على ان قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا
لهم انكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان
الرسل قد كذبوا ولو قرئ هذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم
كذبوهم في موعدهم وقرئ فنجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجى على لفظ الماضي
المبني للمفعول وقرئ بتخفيف فنجا والمراد بمن نشاء المومنون لانهم الذين يشاء
ان ننجيهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين الكافرين لقد كان في قصصهم
للرسل وتنصرهم قراءة من قرئ في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخوته
فان قلت الام يرجع الضمير في ما كان حديثا يفترى فيمن قرئ بالكسر قلت
الى القران اي ما كان القران حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه
اي قبله من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي
تستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد ادلة العقل وانتصاب ما نصب بعد
لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها
وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد
مسلما

سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم تلك اشارة الى ايات
السورة والمراد بالكتاب السورة اي تلك الايات ايات السورة الكاملة العجيبة
في بابها ثم قال والذي انزل اليك من ربك من القران كله هو الحق الذي لا مزيد عليه
لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة
لا يدرى اين طرفاها تريد الكملة الله مبتدا والذي خبره بدليل قوله وهو الذي
مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الايات خبرا بعد
خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الايات رفع السموات بغير عمد ترونها كلام
مستانف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد ويعضده قراءة
ابي ترونه وقرئ عمد بضمتين يدبر الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته يفصل الايات
في كتبه المنزلة لعلكم بلقاء ربكم توقنون بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من
الرجوع اليه وقرئ الحسن ندبر بالنون جعل فيها زوجين اثنين خلق فيها من جميع انواع

الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل
اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك
من الاصناف المختلفة يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد
ما كان ابيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد وفي الارض قطع متجاورات بقاع مختلفة مع
كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة
وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية
وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الزروع
الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع
وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح
متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل وقرئ وجنات
بالنصب للعطف على زوجين او بالجر على كل الثمرات وزرع ونخيل بالجر عطفا
على اعناب او جنات والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلهما واحد
وقرئ بالضم فالكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس تسقى بالياء والتاء
ونفضل بالنون والياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا في الاكل بضم الكاف
وسكونها وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه
لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة
اهون شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب ااذا كنا الى اخر
قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول
واذا نصب بما دل عليه قوله اانا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم اولئك
الكاملون المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم وصف بالاصرار كقوله
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ونحوه لهم على لوشد اغلال واقياد او هو من
جملة الوعيد بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال
وذلك انهم قالوا لرسول الله ائتنا بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت
من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزءوا
والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب من المماثلة
وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه
والمثال القصاص وقرئ المثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين

لاتباع الفا القيس والمَثُلات بفتح الميم وسكون الثا كما يقال السَمُرة والمُثُلات
بضم الميم وسكون الثا تخفيف المُثُلات بضمتين والمُثُلات جمع مُثلة كركبة وركبات
لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال يعني ظالمين
لانفسهم وفيه اوجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر والكبائر بشرط
التوبة او يريد الستر والامهال وروي انها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم
لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد
لولا انزل عليه اية من ربه لم يعتدوا بالايات المنزلة على رسوله صلى الله عليه وسلم
عنادا فاقترحوا نحو ايات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحيا الموتى
فقيل لرسول الله انما انت منذر رجل ارسل منذرا مخوفا لهم من سو العاقبة وناصحا
كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول وصحة ذلك حاصلة
باية اية كانت والايات كلها سوى في حصول صحة الدعوى بها لاتفاوت بينها
والذي عنده كل شي بمقدار يعطي كل نبي اية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح
وتقدير لها ولكل قوم هاد من الانبيا يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله
بوجه من الهداية وباية خصها ولم يجعل الانبيا شرعا واحدا في ايات مخصوصة
ووجه اخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك ايات
ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت
الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم
بالالجا وهو الله تعالى ولكن دل بما اردف من ذكر ايات علمه وتقديره
الاشيا على قضايا حكمته ان اعطاء كل منذر ايات خلاف ايات غيره
امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى
مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني فقد دل به
على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم
باي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما
مستانفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدا
فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة
واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على
اية حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير

ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه
يقال غاض الما وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الما وما تزداده اي تاخذه زائدا
تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا
ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها
تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة
في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها
تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي
والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه
اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية
فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شي من ذلك
ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل
الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيوضة
ان تضع لثمانية اشهر واقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه
الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام بمقدار بقدر وحد
لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شي خلقناه بقدر الكبير العظيم الشان
الذي كل شي دونه المتعال المستعلي على كل شي بقدرته او الذي كبر عن صفات
المخلوقين وتعالى عنها سارب ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال
سرب في الارض سروبا والمعنى سوا عنده من استخفى اي طلب الخفا في مختبا بالليل
في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد فان قلت كان حق
العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى
الاستوا المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب قلت
فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على مستخف لا على من في معنى
الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذيب يصطحبان كانه قيل
سوا منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود
على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات
من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التا في القاف
كقوله وجا المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرا

به أو هي معقبات من عقبه اذا جاء على عقبه كما قفاه من قفاه لأن بعضهم يعقب
بعضًا أو لأنهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعًا
وليس من امر الله بصلة يحفظ كأنه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من
أجل امر الله اي من اجل ان الله امرهم بذلك يحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس
وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بامر الله أو يحفظونه من بأس الله
ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب
كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة
حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه ونوازله أو على
التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض من حذف احدى
القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا
ما بأنفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم خوفا
وطمعا لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير
حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا
منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا
طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق
يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب
فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق وقيل
يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له فيه
يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ومن له فيه نفع ويحيي به السحاب
اسم جنس الواحد سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب
ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده
ويسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان
الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد
بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول
الله اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن
ابن عباس ان اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من
الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن

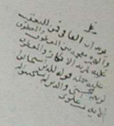
خلق الله

خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات
افئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله
ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته التامة
ووحدانيته ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا آياته
يجادلون في الله حيث يكذبون على رسول الله ما يصفه به من القدرة على البعث
واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء
والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتولدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم
بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب
بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول
الله حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله تعالى عامرا بغدة
كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتلته اخبرني
عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه
تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به
اوله اللهم اجعله لنا اي القرآن شافعا مشفعا
الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى
فرع نبع يهتش في غصن المجد غزير الندى شديد المحال المعنى انه شديد
المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرئ الاعرج بفتح
الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من ذئب اي اشد
حيلة ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما
جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا
بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقرته الفواقر
وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه دعوة الحق فيها وجهان احدهما
ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك
كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من
الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله ان
كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء
لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني
ان يضاف الى الحق الذي هو الله عز وجل على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع

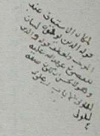
بعيب وعن الحسن رحمه الله الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق فان قلت
ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله قلت اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته
بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله عليه وعلى صاحبه
بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما
الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة دعوة
رسول الله ان دعا عليهم فيهم والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار من
دون الله تعالى لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الا استجابة
كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ
فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر على نفعهم
وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه
فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ
تدعون بالتاء وكباسط كفيه بالتنوين الا في ضلال الا في ضياع لا منفعة فيه
لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم ولله يسجد اي
ينقادون لاحداث ما اراده فيهم من افعاله شاؤوا او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا
عليه وتنقاد له ظلالهم ايضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء
والزوال وقرئ بالغدو والايصال من آصلوا اذا دخلوا في الاصيل قل الله حكاية
لاعترافهم وتاكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان
يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون
الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك
فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت
وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اي ان كعوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا
يقدرون ان ينكروه افاتخذتم من دونه اولياء ابعد ان علمتموه رب السموات والارض
اتخذتم من دونه اولياء فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم
سبب الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها
او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق
المثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم ام جعلوا بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار وخلقوا كخلقه
صفة لشركاء يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه

علیهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فا
ستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق
ولكنهم اتخذوا لله تعالى شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق
فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غير الله
ولا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد
المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور هذا
مثل ضربه الله للحق واهله والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير
والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق واهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل
به اودية الناس فيحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في
صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والالات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه
الباس الشديد لكفى به وان ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه
وتسلك روحه في العيون والابار والحبوب والثمار الذي ينبت به مما يدخر ويكنز
وكذلك الجواهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله
ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد
الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب فان قلت لم نكرت الاودية قلت
لان المطر لا ياتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض
دون بعض فان قلت فما معنى قوله بقدرها قلت بمقدارها الذي
عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس
لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة
ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف فان قلت فما فائدة قوله ابتغاء
حلية او متاع قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لانه جمع الماء
والفلز في النفع وذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع
وقوله ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة لانواع
الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك نحو
ما جاء في ذكر الاجر فاوقد لي يا هامان على الطين من لابتداء الغاية اي ومنه ينشا
زبد مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على
وجه السيل جفاء يجفؤه السيل اي يرمي به من جفات القدر بزبدها واجفات

السيل واحتمل في قراءة رؤبة جفالاً وعن أبي حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لأنه كان
يأكل الفأر وقرئ يوقدون بالياء أي يوقد الناس للذين استجابوا اللام متعلقة
بيضرب أي كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين
لم يستجيبوا أي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله
لو أن لهم كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك
يضرب الله الأمثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى
لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه وسوء
الحساب المناقشة فيه وعن النخعي رضي الله عنه أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا
يغفر منه شيء دخلت همزة الإنكار على الفاء في قوله أفمن يعلم لإنكار أن تقع
شبهة بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم أنما أنزل إليك من ربك الحق فاستجاب
بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث
والإبريز إنما يتذكر أولو الألباب الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا



الذين يوفون بعهد الله مبتدأ وأولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون
عهد الله أولئك لهم اللعنة ويجوز أن يكون صفة لأولي الألباب والأول أوجه
وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست
بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه
من الإيمان بالله وغيره من المواثيق فيما بينهم وبين الله تعالى وبين العباد تعميم بعد تخصيص
ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول



الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان إنما المؤمنون إخوة بالإحسان إليهم
على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح
التفرقة بين أنفسهم وبينهم وإفشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم
ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم
بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال
من أين أنتم قالوا من أهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا
أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من
المحسنين ويخشون ربهم أي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصاً سوء
الحساب فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا صبروا مطلق فيما يصبر عليه

من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكليف ابتغاء وجه ربهم لا ليقال ما
أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا
يشمت الأعداء كقوله ﴿ وتجلدي للشامتين أريهم ﴾ ولا لأنه لا طائل تحت الهلع ولا مرد
فيه للفائت كقوله ﴿ ما إن جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زيدا ﴾ وكل عمل له وجوه
يعمل عليها فعلى المؤمن أن ينوي منها ما به كان حسنا عند الله وإلا لم يستحق به ثوابا
وكان فعلا كلا وأنفقوا مما رزقناهم من الحلال لأن الحرام لا يكون رزقا ولا يسند إلى الله
سرا وعلانية يتناول النوافل لأنها في السر أفضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها
نفيا للتهمة ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام
ما يرد عليهم من سيئة غيرهم وعن الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا
وعن ابن كيسان إذا أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكرا أمروا بتغييره عقبى الدار عاقبة
الدنيا وهي الجنة لأنها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها جنات
عدن بدل من عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والأصل نعم فمن كسر النون نقل
كسرة العين إليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول
وقرئ ومن صلح بضم اللام والفتح أفصح أعلم أن الأنساب لا تنفع
إذا تجردت من الأعمال الصالحة وآباؤهم جمع أبوي كل واحد منهم فكأنه قيل من
آبائهم وأمهاتهم سلام عليكم في موضع الحال لأن المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين
فإن قلت بم تعلق قوله بما صبرتم قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعني
هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ
والنعم والمعنى أن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله ﴿
بما قد أرى فيها أوابس بعدنا ﴾ وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان
يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
ويجوز أن يتعلق بسلام أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم من بعد ميثاقه من بعد
ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول سوء الدار يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا
ويجوز أن يراد بالدار جهنم وسوءها عذابها الله يبسط الرزق الله وحده
هو يبسط الرزق ويقدر دون غيره وهو الذي بسط رزق أهل مكة
ووسعه عليهم وفرحوا بالحياة الدنيا وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر
لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم

الآخرة وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئا نزرا يتمتع به
كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو نحو ذلك فإن قلت كيف
طابق قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قوله **قل إن الله يضل من يشاء** قلت هو كلام
يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التي أوتيها رسول الله
لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فإذا جحدوها ولم يعتدوا
بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه قيل
لهم ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم على كفركم إن الله يضل من يشاء ممن كان على مثل صفتكم
من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كل آية **ويهدي**
إليه من كان على خلاف صفتكم **أناب** أقبل إلى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير
والذين آمنوا بدل من أناب **وتطمئن قلوبهم بذكر الله** بذكر رحمته ومغفرته بعد
القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أو تطمئن
بذكر دلائله الدالة على وحدانيته أو تطمئن بالقرآن لأنه معجزة بينة تسكن القلوب
وتثبت اليقين فيها **الذين آمنوا** مبتدأ **وطوبى لهم** خبره ويجوز أن يكون بدلا من
القلوب على تقدير حذف المضاف أي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر
من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب أو الرفع
كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله **وحسن مآب**
بالرفع والنصب تدلك على محليها واللام في لك للبيان مثلها في سقيا لك والواو
في طوبى منقلبة عن الياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الأعرابي طيبى لتكسر
الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة **كذلك أرسلناك** مثل ذلك الإرسال أرسلناك
يعني أرسلناك إرسالا له شأن وفضل على سائر الإرسالات ثم فسر كيف أرسله فقال
في أمة قد خلت من قبلها أمم أي أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهي آخر الأمم
وأنت خاتم الأنبياء **لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك** لتقرأ عليهم الكتاب
العظيم الذي أوحينا إليك **وهم يكفرون** وحال هؤلاء أنهم يكفرون **بالرحمن** بالبليغ
الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في إرسال مثلك
إليهم وإنزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم **قل هو ربي** الواحد
المتعالي عن الشركاء **عليه توكلت** في نصرتي عليكم **وإليه متاب** فيثيبني على مصابرتكم
ومجاهدتكم **ولو أن قرآنا** جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو أني قمت إليك وتركت الجواب

والمعنى

والمعنى ولو أن قرآنا **سيرت به الجبال** عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها **أو قطعت**
به الأرض حتى تتصدع وتتزايل قطعا **أو كلم به الموتى** فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن
لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف كما قال لو أنزلنا هذا القرآن
على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسرت به قوله لتتلو
عليهم الذي أوحينا إليك من إرادة تعظيم ما أوحي إلى رسول الله من القرآن وقيل معناه
ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به
ولما تنبهوا عليه كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية وقيل إن أبا جهل
بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع
لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود إن كنت نبيا كما تزعم فلست
بأهون على الله من داود وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام ثم نرجع في
يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان أو ابعث لنا به رجلين
أو ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الأرض على
هذا قطعها بالسير ومجاوزتها وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون
بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد
وقيل قطعت به الأرض شققت فجعلت أنهارا وعيونا **بل لله الأمر جميعا** على
معنيين أحدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها إلا أن
علمه بأن إظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله أن يلجئهم إلى الإيمان وهو قادر على
الإلجاء لولا أنه بنى أمر التكليف على الاختيار ويعضده **أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء**
الله يعني مشيئة الإلجاء والقسر **لهدى الناس جميعا** ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم قيل
هي لغة قوم من النخع وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليائس
عن الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن
ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي

أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ... ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

ويدل عليه أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا أفلم يتبين وهو تفسير
أفلم ييأس وقيل إنما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما
لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل
هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الإمام وكان متقلبا في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين

دون الله المهيمن عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصاً عن القانون
الذي إليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء وهو والله فريد ما فيها مزيد وعون
أن يعلموا أن لو يشاء الله ما سواء علي ولم نعط على إيمان هؤلاء الكفرة الذين من أوائل
لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولهداهم **تصيبهم بما صنعوا** من كفرهم وسوء أعمالهم **قارعة**
داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم
وأموالهم **أو تحل القارعة قريباً** منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير إليهم شرارها
ويتعدى إليهم شرورها **حتى يأتي وعد الله** وهو موتهم أو القيامة وقيل ولا يزال كفار
مكة **تصيبهم بما صنعوا** برسول الله من العداوة والتكذيب **قارعة** لأن رسول الله كان
لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم **أو تحل** أنت يا
محمد **قريباً من دارهم** بجيشك كما حل بالحديبية **حتى يأتي وعد الله** وهو فتح مكة وكان
الله قد وعده ذلك الإملاء الإمهال وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض
وأمن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول
الله استهزاءً به وتسلية له **أفمن هو قائم** احتجاج عليهم في إشراكهم بالله يعني أفالله
الذي هو قائم رقيب **على كل نفس** صالحة وطالحة **بما كسبت** يعلم خيره وشره ويعد
لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز أن يقدر ما يقع خبراً للمبتدأ ويعطف عليه
وجعلوا وتمثيله أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي
يستحق العبادة وحده **شركاء قل سموهم** أم جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه
بأسمائهم ثم قال **أم تنبئونه** على أم المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد أم
هو أقل من أن يعرف ومعناه بل أتنبئونه بشركاء لا يعلمهم **في الأرض** وهو
العالم بما في السموات والأرض فإذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم
والمراد نفي أن يكون له شركاء ونحوه قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
ولا في الأرض **أم بظاهر من القول** بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير
أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم ما تعبدون من دونه
إلا أسماء سميتموها وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على
نفسه بلسان طلق ذلق أنه ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه فتبارك
الله أحسن الخالقين وقرئ أتنبئونه بالتخفيف **مكرهم** كيدهم للإسلام بشركهم
وصدوا قرئ بالحركات الثلاث وقرئ بل زين واشتغل وصدّ بالتنوين **ومن يضلل**

الله ومن يخذله لعلمه أنه لا يهتدي **فما له من هاد** فما له من أحد يقدر على هدايته
لهم عذاب في الحياة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والأسر وسائر المحن ولا يلحقهم إلا عقوبة
لهم على الكفر ولذلك سماه عذاباً **وما لهم من الله من واق** وما لهم من حافظ من عذابه أو ما لهم
من جهته واق من رحمته **مثل الجنة** صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر
محذوف على مذهب سيبويه أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر **تجري من تحتها**
الأنهار كما تقول صفة زيد أسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها
الأنهار على حذف الموصوف تمثيلاً لما غاب عنا بما نشاهد وقرأ علي رضي الله عنه
أمثال الجنة على الجمع أي صفاتها **أكلها دائم** كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة **وظلها**
دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس **والذين آتيناهم الكتاب** يريد من أسلم من
اليهود كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً
أربعون بنجران واثنان وثلاثون بأرض الحبشة **يفرحون بما أنزل إليك**
ومن الأحزاب يعني ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة نحو
كعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما **من ينكره**
لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم
غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الإسلام ونعت رسول الله وغير ذلك مما
حرفوه وبدلوا من الشرائع فإن قلت كيف اتصل قوله **قل إنما أمرت أن أعبد**
الله بما قبله قلت هو جواب للمنكرين معناه قل إنما أمرت فيما أنزل
إلي بأن أعبد الله **ولا أشرك به** فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا
ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به قل يا أهل الكتاب
تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً وقرئ
نافع في رواية أبي خليد ولا أشرك به بالرفع على الاستيناف كأنه قيل وأنا لا
أشرك به ويجوز أن يكون في موضع الحال على معنى أمرت أن أعبد الله غير مشرك به
إليه أدعو خصوصاً لا أدعو إلى غيره **إليه** لا إلى غيره مرجعي وأنتم تقولون مثل
ذلك فلا معنى لإنكاركم **وكذلك أنزلناه** ومثل ذلك الإنزال أنزلناه مأموراً فيه
بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنذار بدار الجزاء **حكماً عربياً**
حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون
رسول الله إلى أمور يوافقهم عليها منها أن يصلي إلى قبلتهم بعدما حوله الله عنها

فقيل له لانه تابعهم في دين ما هو الا اهوا وشبهة بعد ثبوت العلم عندك
بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق
وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا
يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله من شدة الشكيمة بمكان
كانوا يعيبونه بالزواج والاولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام
وكانوا يقترحون عليه الايات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا
مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان ياتوا بايات من تلقاء انفسهم ولا ياتون بما يقترح
عليهم في ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله
ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس
بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو
كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعتهم وقيل يمحو بعض الخلائق
ويثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيوانات والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها
والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح
المحفوظ ليس كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت وإما نرينك وكيف ما دارت الحال
اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك
فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم
فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم اولم يروا انا ناتي الارض ارض الكفرة ننقصها
من اطرافها بما يفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام
وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها
افهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم
بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر به ولا يضجرك تاخره فان ذلك
لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير
الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر
على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه
قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد
طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى
الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد

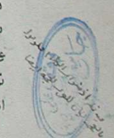
عذاب الدنيا فان قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها
النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على راسه
والقلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا
مكر بالاضافة الى مكره فقال ولله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب
كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها
فهو المكر كله لانه ياتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار
والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرئ جناح بن
حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على
رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن وما الف عليه
من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل من هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا
لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن
الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم
ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم ويعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب
على الجار اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن
عنده علم الكتاب على الجار وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن عنده علم
الكتاب فان قلت بم ارتفع علم قلت في القراءة التي وقع فيها عنده
صلة يرتفع العلم بما للمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة
اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت
بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه
وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل
سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب هو كتاب
يعني السورة وقرئ ليخرج الناس من الظلمات الى النور استعارتان للضلال والهدى
باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك
ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل

كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستئناف كانه قيل
الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى
مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم
في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله الويل ينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى
الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور
الايمان توعد الكافرين بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل
قلت المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه
كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد
ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون
او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر
للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر وقرئ
ويصدون بضم اليا وكسر الصاد يقال صده عن كذا واصده قال
اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا
لتنقله من غير المتعدي الى المتعدي واما صده فموضوع على التعدية بالهمزة
عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة
عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل في ضلال بعيد
اي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل فان قلت فما وصف الضلال
بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي
يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد
او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا الا بلسان قومه
ليبين لهم اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم
ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته فان
قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما
بعث الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم
على السنة مختلفة فان لم يكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم يكن لغيرهم حجة فلو
نزل بالعجمية لم يكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة
او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي

التطويل



التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول
لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم
ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم
العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم
المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه
وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس
وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد
من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين
كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم
الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا
لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن
قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم
اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف
وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ورووه عن الضحاك
وان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان
قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله نزل التوراة من السماء
بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله
فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدي الا من
يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق
واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته
الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ان اخرج بمعنى اي
اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج
ويجوز ان يكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض
وصلها بما يكون معه في تأويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية
والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا
عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج وذكرهم بايام الله وانذرهم
بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها



وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن
ابن عباس نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى
وفلق بهم البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون **لكل صبار شكور** يصبر على بلاء الله
ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم وافاض عليهم من النعم تنبه على
ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم
تنبيها عليهم **اذ انجاكم** ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت فان
قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام
او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة
بمعنى **اذكروا نعمة الله** مستقرة **عليكم** عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا
قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة او نحوها
والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو
من بدل الاشتمال فان قلت في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون
وهنا **ويذبحون** مع الواو فما الفرق قلت الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو
جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس
العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس آخر فان قلت كيف كان فعل
آل فرعون **بلاء من ربهم** قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء
من الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء **عظيم** والبلاء يكون
بالنعمة والمحنة جميعا قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير
فابلاهما خير البلاء الذي يبلو **واذ تأذن ربكم** من جملة ما قال موسى لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم
واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم اذن ربكم ونظير تأذن واذن توعد
واوعد وتفضل وافضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل
واذ اذن ربكم فقال **لئن شكرتم** او اجرى تأذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفي
قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لئن شكرتم اي لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من
نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح **لازيدنكم** نعمة الى
نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم **ولئن كفرتم** وغمطتم ما انعمت به عليكم **ان عذابي
لشديد** لمن كفر نعمتي **وقال موسى ان تكفروا انتم** يا بني اسرائيل والناس كلهم فانما ضررتم

انفسكم

انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج **والله غني** عن شكركم
حميد مستوجب للحمد بكثرة انعمه واياديه وان لم يحمده الحامدون **والذين من بعدهم لا
يعلمهم الا الله** جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على
قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله
وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ
هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها
عن العباد **فردوا ايديهم في افواههم** فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله
عضوا عليكم الانامل من الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او
اشاروا بايديهم الى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم **انا كفرنا بما ارسلتم به** اي هذا
جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم
في افواههم يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم واسكتوا او ردوها في افواه الانبياء
يشيرون اليهم الى السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم
يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي ردوا نعم الانبياء التي
هي اجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع والآيات في افواههم
لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت
منه على طريق المثل **مما تدعوننا اليه** من الايمان بالله وقرئ تدعونا بادغام
النون **مريب** موقع في الريبة او ذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي
قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر **افي الله شك** ادخلت همزة الانكار على الظرف
لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة
وشهادتها عليه **يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم** اي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او
يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لينصرني ودعوته ليأكل معي وقال
دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور فان قلت فما معنى
التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين
كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله
وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة
تنجيكم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان
ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد

انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويؤخركم
الى اجل مسمى الى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان امنتم والا عاجلكم بالهلاك
قبل ذلك الوقت ان انتم ما انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم
تختصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة
بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان
المبين اية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر
مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء
من عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها
لخصائص فيهم قد استاثروا بها على ابناء جنسهم الا باذن الله اراد وان الاتيان
بالاية التي اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق بمشيئة الله
وعلى الله فليتوكل المومنون امر منهم للمومنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم
قصدا اوليا وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم
ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا الا نتوكل على الله ومعناه
واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو
التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فان قلت
كيف كرر الامر بالتوكل قلت الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل
المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى
انفسهم على ما تقدم لنخرجنكم او لتعودن ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم
واما عودكم والحلف على ذلك فان قلت كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا
فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب
كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت اراه
عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال وخاطبوا به كل رسول ومن امن
فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول
او اجرى الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم
بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن
ولاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين وديارهم ونحوه واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم

وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت
هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا فيها ويوذيني فيه فمات
ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون
في دورها ويخرجون ويامرون وينهون فذكرت قول رسول الله وحدثتهم به
وسجدنا شكرا لله ذلك اشارة الى ما قضى به الله من اهلاك الظالمين واسكان المومنين
ديارهم ان ذلك الامر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب
لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيمة او على اقامة المقام وقيل خاف
قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين
واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا
الله وسالوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى اليهم ربهم وقرئ واستفتحوا بلفظ
الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا
وخاب كل جبار عنيد معناه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد
وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل
على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه من
بين يديه قال عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على
شفيرها او وصف حاله في الاخرة حين يبعث ويوقف فان قلت علام
عطف ويسقى قلت على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى
ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت
من كل مكان وما هو بميت فان قلت ما وجه قوله من ماء صديد قلت صديد
عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو
ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد
للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها
اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان لان اسباب الموت
واصنافه كلها قد تالبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من
الالام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة

ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اى فى كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد
مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون
اهل مكة قد استفتحوا اي قد استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة
رسول الله فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجا كل جبار عنيد وانه يسقى
في جهنم بدل سقياه ماء اخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير
كلام مستانف منقطع عن حديث الرسل واممهم مثل مبتدا محذوف الخبر عند سيبويه
تقديره فيما نقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة
وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة على تقدير سوال يقول كيف مثلهم فقيل
اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او يكون اعمالهم
بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقرئ
الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح
كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكور لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة
واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفدي
الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من
صنايعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة
الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون
يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من
الرماد المطير في الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم
عن طريق الحق او عن الثواب بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها
عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض ان يشا يذهبكم اى هو قادر على
ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا اخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما
منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم وعلى انه يقدر على الشيء
وجنس ضده وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات
لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف
تكون من غير توقف كتحرك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف
وهذه الاية بيان لابعادهم في الضلال وعظيم خطاهم في الكفر بالله تعالى لوضوح
عقابه وترجي ثوابه في دار الجزا وبرزوا لله ويبرزون يوم القيمة وانما جي

بلفظ الماضي لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى
اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونظاير لهم ومعنى بروزهم لله والله تعالى
لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش
ويظنون ان ذلك خاف على الله يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان
الله لا يخفى عليه خافية وخرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله تعالى وحكمه
فان قلت لم كتب الضعفوا بواو قبل الهمزة قلت كتب على لفظ من يفخم
الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علموا بني اسرايل والضعفا الاتباع
العوام والذين استكبروا ساداتهم وكبراوهم الذين استتبعوهم واستغووهم
وصدوهم عن الاستماع الى الانبيا واتباعهم تبعا تابعين جمع تابع على تبع
كقولهم خادم وخدم وغايب وغيب او ذوي تبع والتبع الاتباع يقال
تبعه تبعا فان قلت اي فرق بين من في من عذاب الله وبينه في من شيء
قلت الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون
عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض معا بمعنى هل
انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب
الله فان قلت ما معنى لو هدانا الله لهديناكم قلت الذي قال
لهم الضعفا كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوايهم وقولهم فهل انتم
مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغنا عنهم
فاجابوهم معتذرين عما كان منهم اليوم بان الله تعالى لو هداهم الى الايمان
لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم على الله واضلالهم على الله
كما حكى الله عنهم وقالوا لو شا الله ما اشركنا ولا اباونا لو شا الله ما
عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الاخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا
ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما
يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء ويجوز ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف
لطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله
طريق النجاة من العذاب لهديناكم اي لاغنيناكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا
بكم سبيل الهلكة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة
وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم وروى انهم يقولون تعالوا

ومصير واكد ذلك ثم قالوا سوا علينا فان قلت كيف اتصل قوله سوا
علينا بما قبله قلت اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه
فقالوا لهم سوا علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب
الضلاله التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فايده في الجزع
كما لا فايده في الصبر والامر من ذلك اطم او لما قالوا لو هدانا الله طمعوا في النجا لا عسا
عنكم واجبنا كم ابتعوا الاقناط من النجا فقالوا ما لنا من محيص اي منجا ومهرب جزعنا
ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفا والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سوا
علينا كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا
كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد لما قضي الامر لما قطع الامر
وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنه ودخول الاخر
النار روي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقيا من الجن والانس
فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزا على الاعمال فوفا لكم
بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من
تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجيكم اليها الا ان دعوتكم الا دعاي
اياكم الى الضلاله بوسوستي وتزييني وليس الدعا من جنس السلطان ولكنه كقولك
ما تحيتهم الا الضرب فلا تلوموني ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بي واطعتموني
اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذا دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذي
يختار الشقاوه والسعاده ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان
الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبره لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله
قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فان قلت قول الشيطان باطل لا يصح
التعلق به قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر
انكاره على انه لا طايل له في النطق بالباطل في ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله
وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما
كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان الا من اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا
بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثه وقرى بمصرخي بكسر اليا وهي ضعيفه
واستشهدوا لها ببيت مجهول قال لها هل لك يا تا في قالت له ما انت بالمرضي

وكانه

وكانه قدر يا الاضافه لا تكون الا مفتوحه ساكنه وقبلها يا ساكنه فحركها بالكسر
لما عليه اصل التقا الساكنين ولكنه غير صحيح لان يا الاضافه لا تكون الا مفتوحه
حيث قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها يا فان قلت جرت اليا الاولى
مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها يا وقعت ساكنه بعد حرف صحيح ساكن
فحركت بالكسر على الاصل قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي
هو بمنزله الخبر المتواتر تتضال اليه القياسات ما في بما اشركتمون مصدريه ومن
قبل متعلقه باشركتموني يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في
الدنيا كقوله ويوم القيمه يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبريه
منه واستنكاره له كقوله انا برآ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم
وقيل من قبل متعلق بكفرت وما موصوله اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم
بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزه قلت
اشركنيه فلان اي جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى
اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عباده الاوثان
وغيرها وهذا اخر قول ابليس وقوله ان الظالمين قول الله عز وعلا
ويحتمل ان يكون من جمله قول ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون
لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان
يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا
ما يخلصهم منه وينجيهم وقرى فلا يلوموني باليا على طريقه الالتفات كقوله حتى اذا
كنتم في الفلك وجرين بهم وقرى الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله ورضي الله عنهما
وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات على فعل المتكلم بمعنى وادخلهم انا وهذا
دليل على انه من قول الله تعالى لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم
الملايكه الجنه باذن الله وامره فان قلت فبم يتعلق في القراه الاخرى وقولك
وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتيم قلت الوجه في هذه القراه ان
يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملايكه
يحيونهم باذن ربهم وقرى الم تر ساكنه الرا كما قرى من يتق وفيه ضعف ضرب
الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمه طيبه نصب بمضمر اي جعل كلمه طيبه
كشجره طيبه وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه

حله وجمله على من ذكر ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة
مثلا يعني جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة أصلها ثابت يعني في الارض ضارب
بعروقه فيها وفرعها واعلاها ورأسها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفا
بلفظ الجنس قرأ انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها فان قلت اي فرق
بين القرائتين قلت قراءة الجماعة اقوى معنى لان في قراءة انس اجريت الصفة على
الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قائم فهو اقوى معنى من مررت برجل
قائم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل
كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس
شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجر
التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني ما هي
فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول
الله ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي
عمر يا بني لو كنت قلتها لكان احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا انها النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وقوله في السماء معناه في جهة
العلو والصعود لم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه
وشموخه تؤتي اكلها كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها
باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال
زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني ومثل كلمة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اي صفتها
كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك
وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل
والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت من فوق الارض في مقابلة قوله اصلها
ثابت ومعنى اجتثت استوصلت ومعنى اجتثت استوصلت وحقيقة الاجتثاث
اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت
ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى
انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة انه قيل لبعض
العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا

الان لم يم

الان لم يمر عنقها حيها حتى يبوا فيها يوم القيمة القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان
في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا
فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت
لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما عليهما السلام وتثبيتهم في الآخرة انهم
اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم
تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه
في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك
فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي
فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين
لم يتمسكوا بحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون
اباءهم فقالوا انا وجدنا اباءنا على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون في مواقف
الفتن وتزل اقدامهم اول شيء وهم في الآخرة اضل وازل ويفعل الله ما يشاء
اي ما توجبه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم
عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم عند
زللهم بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا
مكانه كفرا فكأنهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم
انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو انهم
بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين
بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم
قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من
الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا
نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وبقي الكفر طوقا
في اعناقهم وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة
وبقي الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة
وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين
وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر

دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان قرئ ليضلوا بفتح
الياء وضمها فان قلت الضلال والاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام
قلت لما كان الضلال او الاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك
جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب تمتعوا
ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به
قد امرهم آمر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة
والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز
ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار المقول
محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة
وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا وجوزوا ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا
ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو
قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب سرا
وعلانية قلت على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف
اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء
المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب والخلال المخالة فان قلت كيف
طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس
يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات
ومهادات الاصدقاء ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه
الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله
الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا
انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما
ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيعٌ فيه ولا خلالٌ بالرفع الله مبتدأ والذي
خلق خبره ومن الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون
من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في
معنى رزق بامره بقوله كن دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات
واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان
خلفة لمعايشكم وسباتكم وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض اي آتاكم بعض جميع

ما سألتموه نظرا في مصالحكم وقرئ من كلٍّ بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله
النصب على الحال اي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز ان تكون ما موصولة
على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه وما يصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكأنكم
سألتموه او طلبتموه بلسان الحال لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ
آخرها هذا اذا اراد ان يعدوها على الاجمال واما على التفصيل فلا يقدر
عليه ولا يعلمه الا الله لظلوم كفار يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد
الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع
والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه هذا
البلد يعني البلد الحرام اراد الله آمنا وكفاه كل باغ ظالم واجاب فيه دعوة
خليله ابرهيم آمنا ذا امن فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا
وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا قلت قد سأل في الاول ان يجعله من جملة
البلاد التي يأمن اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من الصفة التي كان
عليها من الخوف الى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا
واجنبني وقرئ واجنبني وفيه ثلاث لغات جنبه الشيء وجنّبه واجنبه
فاهل الحجاز يقولون جنّبني شره بالتشديد واهل نجد جنبني شره واجنبني والمعنى
ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وبنيّ اراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة
كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وانما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت
حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت وكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه
الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت انهن اضللن كثيرا
من الناس فاعوذ بك ان تعصمني وبني من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن
كأنهن اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بها واغتروا بسببها
فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني اي هو بعضي لفرط اختصاصه بي
وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على ان الغش
ليس من افعالهم واوصافهم ومن عصاني فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من
عصياني اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني فيما دون
الشرك من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه بواد هو وادي مكة

[3] يعني لانه مقصورة لان الاصنام مصورة على صورة الحيوان والانعام ...

[4] لم يرد ان من في قوله مني للتبعيض وان صرح بلفظ البعض بل هو اشارة اليه ولهذا قال لفرط اختصاصه بي وملابسته لي ...

بواد غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج بمعنى
لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه إلا الاستقامة لا غير وقيل للبيت **المحرم** لان
الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه أو لانه لم يزل ممنعا
عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب أو لانه محترم عظيم الحرمة
لا يحل انتهاكها أو لانه حرم على الطوفان أي منع منه كما سمي عتيقا لانه أعتق منه فلم
يستول عليه **ليقيموا الصلوة** اللام متعلقة باسكنت أي ما اسكنتهم هذا الوادي
الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق إلا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه
بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها
على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين إليك بالعكوف عند بيتك والطواف
به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك **أفئدة**
من الناس أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال أفئدة
الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم
والترك والهند ويجوز أن تكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي كأنه
قيل أفئدة ناس وإنما نكرت المضاف إليه في هذا التمثيل لتنكير أفئدة لانها في الآية نكرة
ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان أحدهما أن تكون
من القلب كقولهم آدر في أدؤر والثاني أن تكون اسم فاعل من أفدت الرحلة إذا
عجلت أي جماعة أو جماعات يرحلون إليهم ويعجلون نحوهم وقرئ أفدة وفيه وجهان
أن تطرح الهمزة للتخفيف وإن كان الوجه أن تخفف بإخراجها بين بين وأن تكون من أفد
تهوي إليهم تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله يهوي مخارمها هوي
الأجدل وقرئ تهوى إليهم على البناء للمفعول من هوى إليه وأهواه غيره وتهوى
إليهم من هوى يهوى إذا أحب ضمن معنى تنزع فعدي تعديته **وارزقهم من الثمرات** مع سكناهم
واديا ما فيه شيء منها بأن تجلب إليهم من البلاد **لعلهم يشكرون** النعمة في أن يرزقوا
أنواع الثمرات في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عز وجل أجاب
دعوته فجعله حرما آمنا تجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود
أصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثمارا وفي أي بلد
من بلاد الشرق والغرب ترى الأعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع
البواكير والفواكه المختلفة الأزمان من الربيعية والخريفية والصيفية في يوم

واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمته وأدام
لنا التشرف بالدخول تحت دعوة إبراهيم ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب
السليم النداء المكرر دليل على التضرع واللجأ إلى الله **إنك تعلم ما نخفي وما نعلن** تعلم
السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى
إنك أعلم بأحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا منا وأنت أرحم بنا وأنصح لنا منا بأنفسنا
ولها فلا حاجة إلى الدعاء والطلب وإنما ندعوك إظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك
وتذللا لعزتك وافتقارا إلى ما عندك واستعجالا لنيل أياديك وولها إلى رحمتك وكما
يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في إصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة
وعن بعضهم انه رفع حاجته إلى كريم فأبطأ عليه النجح فأراد أن يذكره فقال مثلك
لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه
حاجته أن لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن
من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين
هاجر حين قالت له عند الوداع إلى من تكلنا قال إلى الله قالت آلله
أمرك بهذا قال نعم قالت إذا لا نخشى تركتنا إلى كاف **وما يخفى على الله من شيء**
من كلام الله عز وجل تصديقا لإبراهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون
أو من كلام إبراهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان
ومن للاستغراق كأنه قيل وما يخفى على الله شيء ما قوله **على الكبر** بمعنى مع كقوله
إني على ما ترى من كبري أعلم من حيث تؤكل الكتف وهو في موضع الحال
معناه **وهب لي** وأنا كبير وفي حال الكبر روي أن إسمعيل ولد له وهو
ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقد روي
أنه ولد له لأربع وستين سنة وإسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لإبراهيم
إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة وإنما ذكر له حال الكبر لأن المنة بهبة الولد
فيها أعظم من حيث أنها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب
اليأس من أجل النعم وأحلاها في نفس الظافر ولأن الولادة في تلك السن العالية
كانت آية لإبراهيم **إن ربي لسميع الدعاء** كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال
رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما أكرمه به من إجابته فإن قلت الله
تعالى يسمع كل دعاء أجابه أو لم يجبه قلت هو من قولك سمع الملك كلام فلان إذا

إذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما أذن الله لشيء كأذنه
لنبي يتغنى بالقرآن فإن قلت ما هذه الإضافة أضافة السميع إلى الدعاء قلت أضاف
الصفة إلى مفعولها وأصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة أبنية المبالغة
العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب أخاه ومنحار إبله وحذر
أمورا ورحيم أباه ويجوز أن يكون من إضافة فعيل إلى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا
على الإسناد المجازي والمراد سماع الله **ومن ذريتي** وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في
اجعلني وإنما بعض لأنه علم بإعلام الله أنه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال
عهدي الظالمين **وتقبل دعاء** أي عبادتي وأعتزلكم وما تدعون من دون الله
وقرأ سعيد بن جبير **ولوالدي** على الإفراد يعني أباه وقرأ الحسن بن علي
ولولدي يعني إسمعيل وإسحق وقرئ لولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم
وقيل جمع ولد كأسد في أسد وفي بعض المصاحف ولذريتي فإن قلت كيف جاز له
أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين قلت هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه
إلا بالتوقيف وقيل أراد والديه آدم وحواء وقيل بشرط الإسلام ويأباه قوله إلا
قول إبرهيم لأبيه لأستغفرن لك لأنه لو شرط الإسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال
فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بإبرهيم **يوم يقوم الحساب**
أي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب
على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس إذا أشرقت وثبت ضوؤها كأنها قامت على رجل
ويجوز أن يسند إلى الحساب قيام أهله إسنادا مجازيا أو يكون مثل واسأل
القرية وعن مجاهد فاستجاب الله له فيما سأل فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد
دعوته وجعل البلد آمنا ورزق أهله وجعله إماما وجعل في ذريته من يقيم الصلوة
وأراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس أنه قال كانت الطائف من أرض فلسطين
فلما قال إبرهيم ربنا إني أسكنت الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا
للحرم فإن قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله وهو
أعلم الناس به غافلا حتى قيل **ولا تحسبن الله غافلا** قلت إن كان خطابا لرسول
الله ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا
كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر كما جاء في الأمر يا أيها الذين آمنوا
آمنوا بالله ورسوله والثاني أن المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الإيذان بأنه

عالم بما يفعل **الظالمون** لا يخفى عليه منه شيء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره
على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز
أن يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب
عليهم المحاسب على النقير والقطمير وإن كان خطابا لغيره ممن يجوز أن يحسبه غافلا
لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل
له من قال هذا فغضب وقال إنما قاله من علمه وقرئ **نؤخرهم** بالنون والياء **تشخص**
فيه الأبصار أي أبصارهم لا تقر في أماكنها من هول ما ترى **مهطعين** مسرعين إلى الداعي وقيل
الإهطاع أن تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر إليه لا تطرف **مقنعي رؤوسهم** رافعيها
لا يرتد إليهم طرفهم لا يرجع إليهم أن يطرفوا بعيونهم أي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة
ممدودة من غير تحريك الأجفان أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظرون إلى أنفسهم **هواء**
الهواء الخلاء الذي لم تشغله الأجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء إذا كان جبانا
لا قوة في قلبه ولا جراءة ويقال للأحمق أيضا قلبه هواء قال زهير ۞
من الظلمان جؤجؤه هواء ۞ لأن النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان ۞
ألا أبلغ أبا سفيان عني ۞ فأنت مجوف نخب هواء ۞ وعن ابن جريج **أفئدتهم**
هواء صفر من الخير خاوية منه وقال أبو عبيدة جوف لا عقول لهم **يوم يأتيهم**
العذاب مفعول ثان لأنذر وهو يوم القيمة ومعنى أخرنا **إلى أجل قريب** ردنا
إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة
دعوتك واتباع رسلك أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم
معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم
ربهم إلى أجل قريب كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق **أولم تكونوا أقسمتم** على
إرادة القول وفيه وجهان أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة
الجهل والسفه وأن يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا و**ما لكم**
جواب القسم وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين
لقيل ما لنا **من زوال** والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت
والفناء وقيل لا تنتقلون إلى دار أخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد
أيمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى **وسكنتم في**
مساكن الذين ظلموا أنفسهم لأن السكنى من السكون الذي هو اللبث والأصل تعديه بفي

كقولك قرّ في الدار وغني فيها وأقام فيها ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تصرف فيه
فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها وأوطنها ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أي قروا فيها
واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الأولون
من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالأخبار والمشاهدة
كيف أهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الأمثال أي صفات
ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم لا يخلو
إما أن يكون مضافاً أي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم
لا يخلو إما أن يكون مضافاً إلى الفاعل كالأول على أن المعنى ومكتوب عند الله مكرهم
فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو يكون مضافاً إلى المفعول على معنى وعند الله
مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا
يحتسبون وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال وإن عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب
زوال الجبال منه مثلاً لتفاقمه وشدته أي وإن كان مكرهم مسوّى لإزالة الجبال
معدّاً لذلك وقد جعلت إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع
إيمانكم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله
وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتاً وتمكناً وتنصره قراءة ابن مسعود وما
(... بكسر اللام الأولى وفتح الثانية ...)
كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول
منه الجبال وتنقلع عن أماكنها وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما وإن كاد مكرهم
مخلف وعده رسله يعني قوله إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي فإن
قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الأول
قلت قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلاً كقوله إن الله لا يخلف الميعاد
ثم قال رسله ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحداً وليس من شأنه إخلاف
المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله
بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل أولادهم شركائهم
عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لأوليائه من أعدائه يوم تبدل الأرض انتصابه
على البدل من يوم يأتيهم أو على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الأرض التي
يعرفونها أرضاً أخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير
وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلوداً غيرها

وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الأوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتماً إذا أذبتها
وسويتها خاتماً فنقلتها من شكل إلى شكل ومنه قوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
واختلف في تبديل الأرض والسموات فقيل تبدل أوصافها فتسير
عن الأرض جبالها وتفجر بحارها وتستوي فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً وعن ابن عباس
هي تلك الأرض وإنما تغير وأنشد
وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل
السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبواباً
وقيل يخلق بدلها أرض وسموات أخر وعن ابن عباس وابن مسعود يحشر الناس على أرض بيضاء
لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل أرضاً من فضة وسموات
من ذهب وعن الضحاك أرضاً من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الأرض
بالنون فإن قلت كيف قال الواحد القهار قلت هو كقوله لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار لأن الملك إذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا
يعاز فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار كان الأمر في غاية الصعوبة والشدة
مقرنين قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم إلى أرجلهم
مغللين وقوله في الأصفاد إما أن يتعلق بمقرنين أي يقرنون في الأصفاد
وإما أن لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والأصفاد القيود وقيل
الأغلال وأنشد لسلامة بن جندل
وزيد الخيل قد لاقى صفاداً يعض بساعد وبعظم ساق القطران
فيه ثلاث لغات قَطِران وقَطْران وقِطْران بفتح القاف وكسرها مع
سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الأبهل فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى فيحرق
الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شأنه أن يسرع
فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو أسود اللون منتن الريح فتطلى به
جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الأربع
لذع القطران وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح
على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو أوعد به في الآخرة
فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه إلا
الأسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما

يجعلنا من عداته وقرئ من قطر آن والقطر النحاس والصفر المذاب والآني المتناهي
حره وتغشى وجوههم النار كقوله أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار
على وجوههم لأن الوجه أعز موضع في ظاهر البدن وأشرفه كالقلب في باطنه ولذلك
قال تطلع على الأفئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى ليجزي يفعل بالمجرمين ما
يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت أو كل نفس من مجرميهم أو مطيعهم لأنه إذا
عاقب المجرمين لإجرامهم علم أنه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية في
التذكرة والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله إلى قوله سريع الحساب
ولينذروا به معطوف على محذوف أي لينصحوا ولينذروا وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به إذا علمه
واستعد له وليعلموا أنما هو إله واحد لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به دعتهم المخافة
إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد لأن الخشية أم الخير كله عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل من عبد
الأصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تلك إشارة إلى ما تضمنته
السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم
والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا وأي قرآن مبين كأنه
قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقرئ ربما وربما بالتشديد
وربما وربتما بالضم والفتح مع التخفيف فإن قلت لم دخلت على المضارع وقد
أبوا دخولها إلا على الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود فإن قلت
متى تكون ودادتهم قلت عند الموت أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم
وحال المسلمين وقيل إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا أيضا باب من
الودادة فإن قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب
في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الإنسان على ما فعل ولا يشكون
في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه
أو كان قليلا لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لأن العقلاء يتحرزون
من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير
وكذلك المعنى فيه لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة فبالحري أن
يسارعوا إليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة لو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم

وإنما جاء على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل لأفعلن
ولنفعلن لو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم أهوال ذلك اليوم
فيبقون مبهوتين فإن حانت منهم إفاقة في بعض الأوقات من سكرتهم تمنوا ذلك
ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة
والنصيحة وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم أملهم وتوقعهم
لطول الأعمار واستقامة الأحوال لا يلقوا في العاقبة إلا خيرا فسوف يعلمون
سوء صنيعهم والغرض الإيذان بأنهم من أهل الخذلان وأنهم لا يجيء منهم إلا ما هم فيه
وأنه لا زاجر لهم ولا واعظ إلا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل
إلى اتعاظهم قبل ذلك فأمر رسوله بأن يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل
تحته وأن يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا ندما في العاقبة وفيه
إلزام الحجة ومبالغة في الإنذار وإعذار فيه وفيه تنبيه على أن إيثار التلذذ
والتنعم وما يؤدي إليه طول الأمل وهذه هجيرى أكثر الناس ليس من أخلاق
المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من أخلاق الهالكين ولها كتاب جملة واقعة
صفة لقرية والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية
إلا لها منذرون وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال
جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم وهو أجلها الذي كتب
في اللوح وبين ألا ترى إلى قوله ما تسبق من أمة أجلها في موضع كتابها وأنث الأمة
أولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال وما يستأخرون بحذف عنه
لأنه معلوم وقرأ الأعمش يا أيها الذي ألقي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم
على وجه الاستهزاء كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون وكيف
يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء
والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب أليم
إنك لأنت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى إنك لتقول قول
المجانين حين تدعي أن الله نزل عليك الذكر لو ركبت مع ما ولا لمعنيين معنى امتناع
الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض وأما هل فلم تركب إلا مع لا وحدها للتحضيض
قال ابن مقبل لولا الحياء ولولا الدين عبتكما ببعض ما فيكما إذ عبتما عوري
والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على إنذارك

كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا تاتينا بالملائكة للعقاب
على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تاتي الامم المكذبة برسلها قرئ تنزل
بمعنى تتنزل وينزل على البناء للمفعول من نزل ويُنزِل الملائكة بالنون ونصب الملائكة
الا بالحق الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان ياتيكم عيانا تشاهدونهم
او يشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه واله وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن
اضطرار ومثله قوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
وقيل الحق الوحي او العقاب واذن جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء الشرط
مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر
رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن
فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه الذي بعث به جبريل الى
محمد ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه
في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه
لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان
التحريف ولم يكل القران الى غير حفظه فان قلت فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر
ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت قد
جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده اية لانه لو كان من قول البشر او غير اية
لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في
له لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله يعصمك من الناس في شيع الاولين
في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلنا
فيهم نبانا فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا
يدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال يقال سلكت
الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اي مثل
ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ
به غير مقبول كما لو انزلت باللئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام
يعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به
النصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه سنة الاولين
طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد

لاهل مكة على تكذيبهم قرئ يعرجون بالضم والكسر وسكرت حيرت او حبست
من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري
وقرئ سكرت من السكر اي حارت كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين
بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السما ويسر لهم معراج يصعدون
فيه اليها وراوا من العيان ما راوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد
سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة يصعدون في السما عيانا لقالوا ذلك وذكر
الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم
يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار من استرق في محل النصب على
الاستثناء والاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع او في محل الجر بدلا من كل شيطان
وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات
فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين
موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان
او له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة
والنحاس والحديد وغيرها معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوها فان
تصريح الياء فيها خطا والصواب الهمز او اخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش
بالهمز على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل
وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين او جعلنا لكم معايش ولمن
لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم
ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب
وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز
ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور
ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده
وتكوينه والانعام به وما ننزله الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب
الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور لواقح فيه وجهان احدهما ان الريح لاقح
اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح
بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة
وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين

نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن القادرون
للماء يعني نحن القادرون على خلقه في السما وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين
دلالة على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم ونحن الوارثون اي الباقون بعد هلاك
الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعله الوارث منا لقد علمنا من استقدم
ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والاخرين او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج
بعد او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تاخر وقيل المستقدمين في صفوف
الجماعة والمستاخرين وروي ان امراة حسنا كانت في المصليات خلف رسول الله وكان
بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستاخر ليبصرها فنزلت هو يحشرهم اي هو
وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم
انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط
علما بكل شي الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ
واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه
ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحما الطين الاسود المتغير
والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان
كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر
اذا حككته به والذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حما صفة
للصلصال اي خلقه من صلصال كائن من حما وحق مسنون بمعنى مصور
ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس
حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر اخر والجان ابا الجن كادم للناس
وقيل هو ابليس قرا الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله والجأن بالهمز من نار
السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين
جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان واذ قال ربك واذكر وقت قوله سويته
عدلت خلقته واكملتها وهياتها لنفخ الروح فيها ومعنى ونفخت فيه من روحي
واحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به واستثنى ابليس
من الملائكة لانه كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد
التغليب كقولك رايتهم الا هندا وان استثنى على تقدير قولك قال تقول هلا

يجد يفعل ابا ذلك واستنكف عنه وقيل معناه ولكن المستثنى بحرف الجر
مع ان محذوف فتقدير ما لك في الا تكون مع الساجدين يعني اي غرض لك في ابائك
السجود واي داع لك اليه اللام في لم اكن لاسجد لتاكيد النفي ومعناه لا يصح مني
وينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب ومطرود
من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة
والابعاد منها والضمير في منها راجع الى الجنة او السما او الى جملة الملائكة وضرب
يوم الدين حد اللعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت
السموات والارض في التابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في
السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جا ذلك اليوم عذبت بما ينسى
اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف
بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سال الانظار الى اليوم الذي
فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى اخر ايام
التكليف بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى
اقسم باغوائك اياي لازينن لهم ومعنى اغوائه تسبيبه اياه لغيه بان امره بالسجود
لادم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب
بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الابا والاستكبار فهلك والله
تعالى بري من غيه ومن ارادته والرضى به ونحو قوله بما اغويتني لازينن قوله فبعزتك
لاغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد
فرق الفقها بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب
تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بان ازين
لهم المعاصي واوسوس لهم ما يكون سبب هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار
الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال
لادم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السما فانا على التزيين لاولاده في الارض
اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزيينهم بها حتى
لا يرونها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على
الاخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يحرج في غوايتها تضليله استثنى المخلصين
لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه اي هذا طريق حق علي ان اراعيه

علم وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته
وقرئ عليٌّ وهو من علو الشرف والفضل وان جهنم لموعدهم الضمير للغاوين او من تبعك وقيل ابواب النار
اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع
للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس ان
جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود
والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جُزُؤ بالتخفيف والتثقيل
وقرأ الزهري جزّ بالتشديد لانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك خبٌّ
في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجلّ ثم اجرى الوصل مجرى الوقف
المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس المتقون الكفر
والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة القول وقرئ
ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة الغل الحقد
الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحد في الدنيا غل على
آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون
انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء
طلحة فقال له علي رضي الله عنه مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون
انا وابوك ممن قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا
الله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا ام لك
وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها
كل غل والقى فيها التواد والتحاب اخوانا نصب على الحال على سرر متقابلين
كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيث ما داروا فيكونون في جميع احوالهم
متقابلين لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا
له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم
على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط
الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما
اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما وجلون خائفون وكان خوفهم لامتناعهم
من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقرئ لا توجل بضم التاء
من اوجله يوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ

نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي
عن الوجل اراد وانك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل قال ابشرتموني على ان مسني
الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم
تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فبأي اعجوبة تبشرون
او اراد انكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء تبشرون يعني لا تبشرونني
في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا يكون صلة
لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشرونني بالولد
والبشارة به لا طريقة لها في العادة وقوله بشرناك بالحق يحتمل ان يكون الباء فيه
صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهو قول الله
ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز
عاقر وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني
وتبشرونّ بادغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من القنطين من قنط يقنط
وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
طريق الصواب او الا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها
الله فان قلت قوله تعالى الا آل لوط استثناء متصل او منقطع قلت لا
يخلو اما ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام
فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه
قيل الا قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من
المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين قلت نعم وذلك
ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين
كارسال الحجر او السهم الى المرمى في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل
انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال
وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا
بمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق
على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان
المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كأن ابراهيم صلوات الله

عليه فالهم فما جاء آل لوط قالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله إلا امرأته مما استثني
وهل هو استثناء من استثناء قلت استثنى من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء
في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط
الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر
لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل
لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء
وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت فلم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا
إنها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى
العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت فلم اسند الملائكة
فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم
من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا
كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم
وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر
منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك
بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب
الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك بالحق باليقين من عذابهم وإنا
لصادقون في الاخبار بنزوله بهم وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروى
صاحب الاقليد فسر من السير والقطع في آخر الليل قال

افتح الباب وانظر في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد
ما يمضي شيء صالح من الليل فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات
قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج
مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك
فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم
فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة
المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب
الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب
فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير

ملتفتين

ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه
اخادعه كما قال تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا
او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من
يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدي وامضوا الى حيث
تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون به
وعدي قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا
وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر
وتعظيم له وقرأ الاعمش ان بالكسر على الاستئناف وكأن قائلا قال اخبرنا عن ذلك
الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم
يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب
بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة لا تفضحون بفضيحة ضيفي
لان من اساء الى ضيفه او جاره فقد اساء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرمه
ولا تخزون ولا تذلوني باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او لا تشوروا بي من
الخزاية وهي الحياء عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا
وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه بالنهي عن
المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن
من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط
هؤلاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم
بناته فكأنه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين
شك في قبولهم لقوله كأنه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون
وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم لعمرك على ارادة
القول اي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك إنهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم
التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير
به عليهم من ترك البعول الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك
ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم
بحياته وما اقسم بحياة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا
القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك ان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك

حدثوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كاحد هوا الفعل في قولهم بالله وذكر في شكرهم وذكر ابهم الصيحة صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل دليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك اي معلمة بكتاب للمتوسمين للمتفرسين المتوسمين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشي يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها لقرى قوم لوط وانها وان هذه القرى يعني اثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الاثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين اصحاب الايكة قوم شعيب وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البنا واللوح الذي يكتب فيه لانه مما يؤتم به اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لان من كذب نبيهم واحدا فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه وعن جابر مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هولاء ثم زجر رسول الله راحلته فاسرع حتى خلفها امنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعدا وحوادث الدهر او امنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه ما كانوا يكسبون من بنا البيوت الوثيقة والاموال والعدد الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزا على الاعمال وان الساعة لاتية وان الله عز وجل ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضا وقيل هو منسوخ باية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما جرى بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد

علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب سبعا سبع ايات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما باية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هي الحواميم او سبع صحايف وهي الاسباع والمثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلوة وغيرها او من الثنا لاشتمالها على ما هو ثنا على الله الواحد منها مثناة او مثنية صفة للاية واما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثنا كانها تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان او التبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطوال وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها فان قلت كيف صح عطف القران العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشي على نفسه قلت اذا عني بالسبع الفاتحة او الطوال فما وراهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا عنيت هذه الاسباع فالمعنى ولقد اتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين هو الثني او التثنية والعظم اي لا يطمحن ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل لليهود فيها انواع البر والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد اعطيتكم سبع ايات هي خير لكم من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم يعني لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يومنوا فيتقوا بهم الاسلام وبعض

بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان
الاغنيا والاقويا وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببرهان وبيان ان عذاب الله
نازل بكم فان قلت بم يتعلق قوله كما انزلنا قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله
ولقد اتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين
جعلوا القران عضين حيث قالوا بغيا وعنادا بعضه حق موافق للتوريه
والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا
يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الاخر سورة ال عمران لي
ويجوز ان يراد بالقران ما يقراونه في كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان
اليهود اقرت ببعض التوريه وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت
ببعض وهذه تسليه لرسول الله عن صنيع قومه بالقران وتكذيبهم وقولهم
سحر وشعر واساطير بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني
ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على
المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظه والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع
وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا
القران عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين الذين يجزؤن القران الى سحر
وشعر واساطير مثلما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل
مكه ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول
الله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الاخر انه كذاب
والاخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله كالوليد بن المغيرة والعاص
بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على
ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم فان قلت اذا علق
قوله كما انزلنا بقوله ولقد اتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى اخره بينهما قلت
لما كان ذلك تسليه لرسول الله عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى
التسليه من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل
بمجامعه على المؤمنين عضين اجزاء جمع عضه واصلها عضوة فعله من عضى الشاة
اذا جعلها اعضاء ل روبه ٥ وليس دين الله بالمعضى ٥ وقيل هي فعله من
عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحر

صدره عن حذف
شدته عن رعناه

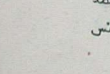
عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة ونقصانها
على الاول الواو وعلى الثاني الهاء لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم سؤال
تقريع وعن ابي العاليه يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا
اجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر فاجهر به وامضه يقال صدع بالحجة اذا تكلم
بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانه
وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف
الجار كقوله ٥ امرتك الخير فافعل ما امرت به ٥ ويجوز ان تكون ما مصدرية
اي بامرك مصدر من المبني للمفعول وعن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة
نفر ذوو اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد
يغوث والاسود بن المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا
كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلام لرسول الله امرت ان اكفيكهم فاومى
الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب
عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها
شوكه فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات
واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحرث بن قيس فامتخط
قيحا ثم مات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل الشجرة فجعل
ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات بما يقولون من اقاويل
الطاعنين فيك وفي القران فسبح فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو
الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم وادم على عبادة ربك حتى
ياتيك اليقين اي الموت اي ما دمت حيا فلا تخل بالعباده وعن النبي صلى الله
عليه واله وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوه عن رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد سورة النحل مكيه غير ثلاث ايات في
اخرها وتسمى سورة النعم وهي مايه وثلثون ايه
بسم الله الرحمن الرحيم كانوا يستعجلون
ما وعدوا من قيام الساعه او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا
بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اي هو بمنزلة الاتي الواقع وان كان منتظرا



لتقريب وقوعه **فلا تستعجلوه** روي انه لما نزلت اقتربت الساعة قال
الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون
حتى ننظر ما هو كائن فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس
حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا
مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله ورفع الناس رؤوسهم
فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا وقرئ تستعجلوه بالتاء والياء **سبحانه وتعلى**
عما يشركون تبرا عز وجل عن ان يكون له شريك وان تكون الهتهم له شركا او عن
اشراكهم على ان ما موصولة او مصدرية فان قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم
قلت لان استعجالهم استهزا وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالتاء
والياء **ينزل** قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة اي تتنزل **بالروح من**
امره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في
الجسد **وان انذروا** بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا
اي بان الشان اقول لكم انذروا او تكون ان مفسرة لان تنزل الملائكة بالوحي فيه
معنى القول ومعنى انذروا **انه لا اله الا انا** اعلموا بان الامر ذلك من نذرت
بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا **فاتقون** ثم دل
على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من **خلق السموات**
والارض وخلق الانسان وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه
وجر اثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من اصناف خلائقه ومثله متعال
عن ان يشرك به غيره وقرئ **تشركون** بالتاء والياء **فاذا هو خصيم مبين** فيه معنيان
احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان
نطفة من مني جماد لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فاذا هو خصيم
لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط
في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف
الجمحي حين جا بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال
يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم **الانعام** الازواج الثمانية
واكثر ما تقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر
قدرناه منازل ويجوز ان يعطف على الانسان اي خلق الانسان والانعام

ثم قال **خلقها لكم** اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان
والدفء اسم لما يدفا به كما ان الملء اسم ما يملا به وهو الدفاء من لباس
معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ **دف** بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفا **ومنافع**
هي نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت تقديم الظرف في قوله **ومنها تاكلون**
مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده
الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير
المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر
والحب والثمار التي تاكلونها منها وتكتسبون باكرا الابل وتبيعون نتاجها
والبانها وجلودها من الله تعلى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه
من اغراض اصحاب المواشي بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي
وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغا
والرغا انست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها
وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يواري سواتكم
وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة
اظهر اذا اقبلت ملاى البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة
لاهلها وقرا عكرمة **حينا تريحون وحينا تسرحون** على ان تريحون وتسرحون
وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعلى يوما لا تجزي وقرئ
بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق
وهو ان المفتوح مصدر شق عليه الامر شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي
هو الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد
فان قلت ما معنى قوله **لم تكونوا بالغيه** كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق
في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت معناه **وتحمل اثقالكم الى**
بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا
بالغيه في الحقيقة فان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل
اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه قلت طابقه من حيث ان معناه
وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا
ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس







وقيل انها لكم احرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرءوف رحيم حيث رحمكم
بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام
اي وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها
بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعدما ذكره في الانعام فان قلت لم انتصب وزينة
قلت لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها فان قلت فهلا
ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت لان الركوب فعل المخاطبين
واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي
وخلقها زينة لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به
ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء
المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا
علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه
لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم تسمعه اذن احد
قط ولا خطر على قلبه المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال
ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد
اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله
وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله
ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب الكلام في قوله ومنها جائر
قلت ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما
تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرئ
ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله
بريء منه ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء لكم متعلق بانزل او بشراب
خبر له والشراب ما يشرب شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة
لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهي
سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات
في الارض وقرئ ننبت بالياء والنون فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات
قلت لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها
للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية

الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرئ أبي بن كعب ينبت لكم
الزرع والزيتون والاعناب بالرفع وقرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم
مسخرات وعلى ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون
بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير
الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات
لما خلقن له ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير
من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات
بامره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ
والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون
فجمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين
شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرأ لكم معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من
حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلفا هيئته والمناظر لحما طريا هو السمك ووصفه
بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه
فان قلت ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا ياكل لحما فاكل سمكا لم
يحنث والله سماه لحما كما ترى قلت مبنى الايمان على العادة وعادة الناس
اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه
اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار ومثاله ان الله
تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا
فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث حلية هي اللؤلؤ والمرجان
والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها
زينتهم ولباسهم مواخر شواق للماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك
بالرياح وابتغوا من فضله للتجارة ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب
والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت
الملائكة عليهم السلام ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال
لم تدر الملائكة مم خلقت وانهارا لان القى فيه معنى جعل الا
ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وعلامات هي معالم الطرق
وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك

طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اى لطف به لانه عرفه من اهل اللطف
ومنهم من حقت عليه الضلالة اى ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه
مصمما على الكفر لا يأتي منه خير فسيروا في الارض فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا
يبقى لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار ثم ذكر
عناد قريش وحرص رسول الله على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة
وانه لا يهدي من يضل اى لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث
لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه وقرئ لا يُهدى اى لا تقدر انت ولا احد على
هدايته وقد خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال
الخذلان الذي هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه
الله فهدى وفي قراءة ابي فان الله لا هادي لمن يضل ولمن اضل وهي معاضدة لمن قرأ
لا يُهدى على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله يهدّي بادغام تاء يهتدي وهي معاضدة
للاولى وقرئ يُضِل بالفتح وقرأ النخعي ان تحرص بفتح الراء وهي لغة واقسموا
بالله معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان
حقيقتان بان تحكيا وتدونا توريك ذنوبهم على مشيئة الله وانكارهم البعث مقسمين
عليه بلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم وعدا الله مصدر مؤكد لما دل عليه
بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن
اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون
لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم متعلق بما دل عليه
بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين الذي يختلفون فيه
هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه
من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل
امة رسولا اى بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين
على الله الكذب قولنا مبتدأ وان نقول خبره كن فيكون من كان التامة التي
بمعنى الحدوث والوجود اى اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فهو
يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده
عند ارادته غير متوقف كوجود المأمور به عند امر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور
المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله عز وجل بهذه السهولة

يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول والذين
هاجروا هم رسول الله واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم
من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل
هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم
بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال انا رجل كبير ان كنت معكم لم
انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر قال
له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء
عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف وقد خلقها في الله في حقه ولوجهه
حسنة صفة للمصدر لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم
اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة
الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر رضي الله عنه
انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك ربك
في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة اكبر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث
اواهم اهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع
لهؤلاء المستضعفين في ايديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير
الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا
هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اى صبروا على العذاب
وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم
هو مسقط رؤوسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله قالت قريش
الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فنزل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
يوحى اليهم على السنة الملائكة فاسألوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم
ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا فان قلت بم يتعلق قوله بالبينات
قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء
مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط
لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اى رجالا ملتبسين
بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانما قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين
والاول على كلام واحد واما بيوحى اى نوحي اليهم بالبينات واما بلا تعلمون

على أن الشرط في معنى التبكيت والإلزام كقول الأجير إن كنت عملت لك فأعطني
حقي وقوله فاسألوا أهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة وأهل الذكر أهل الكتاب
وقيل للكتاب الذكر لأنه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل إليهم يعني ما نزل الله
إليهم في الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا ولعلهم يتفكرون وإرادة
أن يصغوا إلى تنبيهاته فينتبهوا ويتأملوا مكروا السيئات أي المكرات السيئات
وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم وأسباب
دنياهم على تخوف متخوفين وهو أن يهلك قومًا قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم
متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته
وتخونته إذا تنقصته قال زهير ۞
۞ تخوف الرحل منها تامكًا قردًا كما تخوف عود النبعة السفن ۞ أي يأخذهم
على أن ينقصهم شيئًا بعد شيء في أموالهم وأنفسهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه
أنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا
التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم ۞ قال شاعرنا
وأنشد البيت فقال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال
شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم فإن ربكم لرؤوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا
يعاجلكم مع استحقاقكم قرئ أولم يروا ويتفيؤا بالتاء والياء وما موصولة بخلق
الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤا ظلاله والشمائل بمعنى الأيمان وسجدًا حال من
الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله
من كل شيء له ظل وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء أو لأن في جملة ذلك من
يعقل فغلب والمعنى أولم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال متفيئة عن
أيمانها وشمائلها أي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الإنسان وشماله
لجانبي الشيء أي يرجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما
سخرها له من التفيؤ والأجرام في أنفسها داخرة أيضًا صاغرة منقادة لأفعال الله فيها
لا تمتنع من دابة يجوز أن يكون بيانًا لما في السموات وما في الأرض جميعًا على
أن في السموات خلقًا لله يدبون فيها كما تدب الأناسي في الأرض وأن يكون بيانًا
لما في الأرض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وأن يكون بيانًا
لما في الأرض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصًا من

بين الساجدين لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم ويجوز أن يراد بما في السموات
ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم فإن قلت سجود
المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد
قلت المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لإرادة الله
وأنها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك
جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد فإن قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبًا
للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لأنه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب
فكان متناولًا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم إرادة العموم ۞
يخافون يجوز أن يكون حالًا من الضمير في لا يستكبرون أي لا يستكبرون
خائفين وأن يكون بيانًا لنفي الاستكبار وتأكيدًا له لأن من خاف الله لم
يستكبر عن عبادته من فوقهم إن علقته بيخافون فمعناه يخافونه أن يرسل
عليهم عذابًا من فوقهم وإن علقته بربهم حالًا منه فمعناه يخافون ربهم عاليًا
لهم قاهرًا كقوله وهو القاهر فوق عباده وإنا فوقهم قاهرون وفيه دليل
على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهي والوعد والوعيد كسائر
المكلفين وأنهم بين الخوف والرجاء فإن قلت إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما
وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وأفراس أربعة لأن المعدود
عار عن الدلالة على العدد الخاص فأما رجل ورجلان وفرس وفرسان
فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة إلى أن يقال رجل واحد
ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى إلهين اثنين قلت الاسم الحامل
لمعنى الإفراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص
فإذا أريدت الدلالة على أن المعني به منهما والذي يساق إليه الحديث
هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد إليه والعناية به ألا ترى
أنك لو قلت إنما هو إله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت
الإلهية لا الوحدانية فإياي فارهبون نقل للكلام عن الغيبة إلى التكلم وجاز
لأن الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ في الترهيب من قوله
فإياه فارهبوا ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم الدين الطاعة واصبًا
حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لأن كل نعمة منه فالطاعة

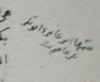
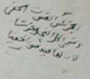
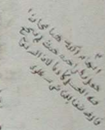
واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا
كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفاً او وله الجزاء دائماً ثابتاً سرمداً لا يزول يعني
الثواب والعقاب وما بكم من نعمة واي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فمن
الله فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة
قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طوراً سجوداً وطوراً جؤارا
وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم وقرئ قتادة كاشف الضر
على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة فان قلت
فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب في
قوله وما بكم من نعمة للناس عاماً ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب
للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال اذا فريق كافر وهو انتم ويجوز
ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم
من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا
فسوف تعلمون عليه وعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنياً للمفعول عطفاً على
ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية
واللام لام الامر ويجعلون لما لا يعلمون اي لالهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها الهة
ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها
انها جماد لا تضر ولا تنفع فهم اذاً جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للالهة
اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيباً في انعامهم وزروعهم
ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقرباً اليهم تالله لتسئلن وعيد عما كنتم تفترون
من الافك في زعمكم انها الهة وانها اهل للتقرب اليها كانت خزاعة
وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من نسبة الولد اليه
او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على
الابتداء والنصب على ان يكون معطوفاً على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون
من الذكور ظل بمعنى صار كما تستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز
ان يجيء ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتماً مسود الوجه
من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقاً على المرأة يتوارى من القوم
يستخفي منهم من اجل سوء ما بشر به من اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ا

امسكه ما بشر به على هون على هوان وذل ام يدسه في التراب ام يئده وقرئ
ايمسكها على هون ام يدسها على التانيث وقرئ على هوان الا ساء ما يحكمون
حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على
عكس هذا الوصف مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة
الاناث ووأدهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله
المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم
بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض من دابة قط ولاهلكها
كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة انه سمع رجلاً يقول ان الظالم لا
يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم
وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وعن
ابن عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن
الابناء ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم
ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له اراذل اموالهم ولاصنامهم
اكرمها وتصف السنتهم الكذب مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف
يكون يوم القيامة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب
والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالكسر
والخرق وما لا يؤبه له اما تستحيي من ذلك الموقف وتلا هذه الآية وعن مجاهد
ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ
الكذب جمع كذوب صفة للالسنة مفرطون وقرئ بفتح الراء وكسرها
مخففاً ومشدداً فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت
فلاناً وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت
فلاناً خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد
من التفريط في الطاعات وما يلزمهم فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي
كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها او فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن
زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين او يجعل فهو وليهم اليوم حكاية
للحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم

غيره نفيا لما ضر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش
وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف
اي فهو ولي امثالهم اليوم هدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على
انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل
المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعلا لفاعل الفعل المعلل والذي
اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب واشياء من التحريم والتحليل
والاقرار والانكار لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه
اصم لا يسمع ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة
الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما
في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان
احدهما ان يكون تكسير نعم على حبال في حبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى
الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله
في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه واذا انث ففيه وجهان
انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كانه
قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين
الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه
بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر
في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة
على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع
ويبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتامل
وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث
ودم سائغا سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيغا
بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين فان قلت اي فرق بين من الاول
والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت
من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء
الذي منه يبتدأ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون
حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين فرث ودم الا ترى

انه

انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة
فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في
مسلك البول بهذه الاية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر
كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا فان قلت بم تعلق قوله ومن ثمرات
النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب
اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان
وكشف عن كنه الاسقاء او يتعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك
زيد في الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله
جادت بكفي كان من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون
منه سكرا ورزقا حسنا لانهم كانوا ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر
فان قلت فالام يرجع الضمير في منه اذا جعلته ظرفا مكررا قلت الى المضاف
المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى او هم قائلون الى الاهل المحذوف
والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال
وجاؤنا بهم سكر علينا فاجلى اليوم والسكران صاحي وفيه وجهان
احدهما ان يكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني ان يجمع بين
العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا
طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد
السكر ويحتج بهذه الاية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل
شراب وباخبار جمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي قدس الله روحه
عن كتاب في تحليل النبيذ فلما شاخ واخذت منه السن العالية قيل له لو شربت
منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة وسمج
في المروءة وقيل السكر الطعم وانشد جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت
باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك في اعراض الناس فكانه تخمر بها والرزق
الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان تجعل السكر رزقا حسنا
كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن واوحى ربك الى النحل الهامها
والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه
والا فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير امرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة

شاهدة على ان الله اودعها علما بذلك وفطنها كما اولى اولي العقول عقولهم
وقرأ يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتانيثه على المعنى ان اتخذي
هي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء ويعرشون

بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل هو ما يبنون للنحل في الجبال وفي
الشجر والبيوت من الاماكن التي تتعسل فيها والضمير في يعرشون للناس
فان قلت ما معنى من في قوله ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون
وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت اريد معنى البعضية وان لا تبني بيوتها في
كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها من كل الثمرات احاطة بالثمرات

التي تجرسها النحل وتعتاد اكلها اي ابني البيوت ثم كلي من كل ثمرة تشتهينها فاذا اكلتها
فاسلكي سبل ربك ذللا اي الطرق التي الهمك وافهمك في عمل العسل او فاسلكي ما
اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا
من اجوافك ومنافذ مأكلك او اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي
الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس فقد بلغني انها ربما اجدب
عليها ما حولها فتنتجع الى البلد البعيد في طلب النجعة او اراد بقوله ثم
كلي ثم اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك ذللا جمع
ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها لها ووطأها وسهلها كقوله هو
الذي جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة
لما امرت به غير ممتنعة شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف الوانه منه
ابيض واصفر واحمر واسود فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشفية والادوية
المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس
الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء

الذي فيه او لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلا فذهب ثم رجع
فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب
بطن اخيك فسقاه فشفاه الله عز وجل فبرأ كانما انشط من عقال وعن عبد الله
بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين
القرآن والعسل ومن بدع تاويلات الرافضة ان المراد بالنحل علي وقومه



وعن بعضهم انه قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال
له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به
المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس
وسبعون سنة عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لانه لا عمر اسوأ حالا
من عمر الهرم لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان
وان يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله
الاول شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه اي جعلكم متفاوتين في الرزق
فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغي ان تردوا
فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن ابي ذر رضي الله
عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما
تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه
وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود النعمة
وقيل هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم
وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم
فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم
جميعا فهم في رزقي سواء فلا يحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم
شيئا من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم وقرئ يجحدون بالياء والتاء
من انفسكم من جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم والحفدة جمع حافد
وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى
ونحفد وقال حفد الولائد بينهن واسلمت بأكفهن ازمة الاجمال
واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل
اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون
في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم كقوله سكرا ورزقا
حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اي جامعون
بين الامرين من الطيبات يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وما طيبات
الدنيا الا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة
الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل

ولا أمارة فليس لهم إيمان إلا به كأنه شيء معلوم مستيقن وبنعمة الله المشاهدة
المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم يكفرون جاحدون لها كما يكفر
المحال الذي لا يتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم
البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم الرزق يكون بمعنى
المصدر وبمعنى ما يرزق فإذا أردت المصدر نصبت به شيئا كقولنا وإطعام يتيما
على لا يملك أن يرزق شيئا وإن أردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى ويجوز
أن يكون تأكيدا للا يملك أي لا يملك شيئا من الملك ومن السموات والأرض صلة
للرزق إن كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الأرض نباتا وصفة
إن كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لأنه في معنى الآلهة بعد ما قيل
لا يملك على اللفظ ويجوز أن يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون
أولو الألباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فإن قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد
قوله لا يملك وهل هما إلا شيء واحد قلت ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وإنما
المعنى لا يملكون أن يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم أصلا لأنهم موات ألا أن تقدر
الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد أو يراد أنهم لا يملكون الرزق
ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم فلا تضربوا لله الأمثال تمثيل للإشراك
بالله والتشبيه به لأن من ضرب الأمثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة إن
الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازنه في العظم لأن
العقاب على قدر الإثم وأنتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذاك هو الذي
جركم إليه وجرأكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله
الأمثال إن الله يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب الأمثال فقال
مثلكم في إشراككم بالله الأوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف
وبين حر مالك قد رزقه مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء فإن قلت
لم قال مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف
قلت أما ذكر المملوك فليميز من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جميعا لأنهما
من عباد الله وأما ما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لأنهما
يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك فالمذهب الظاهر أنه
لا يصح له فإن قلت من في قوله ومن رزقناه ما هو قلت الظاهر أنها موصوفة كأنه

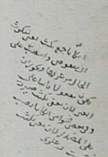
قيل

قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع أن يكون موصولة فإن قلت لم قيل
يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوي الأحرار والعبيد الأبكم الذي
ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه أي ثقل وعيال على من يلي أمره ويعوله
أينما يوجهه حيث ما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت
بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر
الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين
قويم وهذا مثل ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته
وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللأصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع وقرئ
أينما يوجه بمعنى أينما يتوجه من قولهم أينما أوجه ألق سعدا وقرئ يوجه بما
يوجه على البناء للمفعول ولله غيب السموات والأرض أي يختص به علم ما غاب
فيهما عن العباد وخفي عنهم علمه أو أراد بغيب السموات والأرض يوم القيامة على أن
علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم إلا كلمح البصر أو هو
أقرب أي هو عند الله وإن تراخى كما تقولون أنتم في الشيء الذي تستقربونه هو
كلمح البصر وهو أقرب إذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب
ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أي هو عنده
دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى أن إقامة الساعة وإماتة الأحياء وإحياء
الأموات من الأولين والآخرين يكون في أقرب وقت وأوحاه إن الله على كل شيء
قدير فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات ثم دل
على قدرته بما بعده وقرئ أمهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في أمات كما زيد
في أراق فقيل أهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال
أمهتي خندف والياس أبي لا تعلمون شيئا في موضع الحال ومعناه
غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم أخرجكم
من الضيق إلى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الأشياء إلا آلات
لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته
والقيام بحقوقه والترقي إلى ما يسعدكم والأفئدة في فؤاد كالأغربة في غراب
وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة إذ لم يرد في السماع غيرها
كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى وقرئ ألم تروا بالتاء والياء مسخرات

مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحه والاسباب المواتيه لذلك والجو الهوا
المتباعد من الارض في سمت العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن في قبضهن
وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبيه
وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع من بيت او الف سكنا
القباب والابنيه من الادم والانطاع تستخفونها ترونها خفيفه المحمل في الضرب
والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها
ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها وهي خفيفه عليكم في اوقات
السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت متاعا وشيئا ينتفع به الى حين
الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان تبلى وتفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم
بالسكون مما خلق من الشجر وشبهها من المستظلات اكنانا جمع كن وهو ما يستكن
به من البيوت المنحوته في الجبال كالغيران والكهوف سرابيل هي القمصان والثياب
من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقايه من
الحر اهم عندهم وقيل ما يقيهم البرد لكونه يستر استعمالا وقيل ما يقي من الحر
يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم باسكم يريد الدروع والجواشن
والسربال عام يقع على كل ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون اي تنظرون
في نعمته الفائضه فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامه اي
تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح
بلبس الدروع فان تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعدما اديت ما وجب
عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمه
الله التي عددناها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير
المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعه الهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها
من ابائنا وقيل قولهم لولا فلان لما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم
بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله وان اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها
واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمه الله نبوه محمد
صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون
المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلاله على ان انكارهم
امر مستبعد بعد حصول المعرفه لان حق من عرف النعمه ان يعترف لا ان ينكر

شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن
للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجه لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجه لهم
ولا عذر وكذا عن الحسن رحمه الله تعالى ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي
لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الاخره ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه
قلت معناها انهم يمنون بعد شهاده الانبيا عليهم السلام بما هو اطم منها
وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القا معذره ولا ادلا بحجه وانتصاب اليوم
بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك
واذا راوا العذاب بغتهم وتثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل
تاتيهم بغته فتبهتهم الايه ان ارادوا بالشركا الهتهم فمعنى شركاونا
الهتنا التي دعوناها شركا وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاوهم في الكفر وقرناوهم
في الغي ندعوا بمعنى نعبد فان قلت لم قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم
على الحقيقه قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عباده والدليل
عليه قول الملائكه كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم
لا نحن فهم المعبودون دوننا او كذبوهم في تسميتهم شركا والهه تنزيها لله من
الشرك وان اريد بالشركا الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون
كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا يعني الذين ظلموا والقا
السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل
عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركا وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم
حين كذبوهم وتبراوا منهم الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف
الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زياده عذابهم حيات امثال البخت
وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعه فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا
وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شده برده الى النار بما كانوا
يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله شهيدا عليهم من انفسهم
يعني نبيهم لانه كان يبعث انبيا الامم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا
على هولا على امتك تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان تلقا في كسر اوله وقد جوز
الزجاج فتحه في غير القران فان قلت كيف كان القران تبيانا لكل شي
قلت المعنى انه بين كل شي من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحاله

في السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى
وحثا على الإجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله لأمته اتباع
أصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد
اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والإجماع
والقياس والاجتهاد مستندة إلى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء العدل
هو الواجب لأن الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت
طاقتهم والإحسان الندب وإنما علق أمره بهما جميعا لأن الفرض لا بد من أن
يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن
علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت أفلح إن صدق فعقد الفلاح
بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا
فما ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل والفحشاء ما جاوز حدود
الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحين أسقطت
من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين رضوان الله عليه أقيمت هذه الآية
مقامها ولعمري إنها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا
ونكالا وخزيا إجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب إسلام عثمان بن مظعون
عهد الله هي البيعة لرسول الله على الإسلام إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله
ولا تنقضوا أيمان البيعة بعد توكيدها أي بعد توثيقها باسم الله وأكد ووكد
لغتان فصيحتان والأصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لأن
الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الأيمان كالمرأة التي
أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته أنكاثا جمع نكث وهو ما ينكث
فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع
وصنارة مثل أصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها
من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا أحد مفعولي
اتخذ يعني ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا بينكم أي مفسدة ودخلا أن تكون
أمة بسبب أن تكون أمة يعني جماعة قريش هي أربى من أمة هي أزيد عددا وأوفر
مالا من أمة من جماعة المؤمنين إنما يبلوكم الله به الضمير لقوله أن تكون أمة لأنه
في معنى المصدر أي إنما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله



وما عقدتم على أنفسكم وأكدتموه من أيمان البيعة لرسول الله أم تغترون
بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم
إنذار وتحذير من مخالفة ملة الإسلام ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة حنيفة
مسلمة على طريق الإلجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت أن
يضل من يشاء وهو أن يخذل من علم أنه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء
وهو أن يلطف بمن علم أنه يختار الإيمان يعني أنه بنى الأمر على الاختيار وعلى
ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الإجبار الذي
لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسألن عما كنتم تعملون ولو كان الله
هو المضطر إلى الضلال والاهتداء لما أثبت لهم عملا يسألون عنه ثم كرر النهي
عن اتخاذ الأيمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم وإظهارا لعظم ما يركب منه فتزل
قدم بعد ثبوتها فتزلوا عن محجة الإسلام بعد ثبوتكم عليها وتذوقوا
السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين أو بصدكم غيركم لأنهم
لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون
بها ولكم عذاب عظيم في الآخرة كان قوم ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان
لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وإيذائهم لهم ولما كانوا
يعدونهم إن رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله
فثبتهم الله عز وجل ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله
ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم
إن رجعوا إنما عند الله من إظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم
ما عندكم من أعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ
ولنجزين بالنون والياء الذين صبروا على أذى المشركين ومشاق الإسلام
فإن قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام أن تزل قدم
واحدة عن طريق الحق بعد أن تثبت عليه فكيف بأقدام كثيرة فإن قلت
من متناول في نفسه للذكر والأنثى فما معنى تبيينه بهما قلت هو مبهم صالح
على الإطلاق إلا أنه إذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر أو أنثى
على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حياة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله
ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا

وما علم

وحيث يوجب الاخره هكذا ان المومن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا
يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب
عيشه وهو القناعه والرضى بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان
معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن
ابن عباس الحيوة الطيبه الرزق الحلال وعن الحسن القناعه وعن قتاده يعني في الجنه
وقيل هي حلاوة الطاعه والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل
به قوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذه من جملة
الاعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القران
فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلوه فاغسلوا وجوهكم وكقولك اذا اكلت
فسم الله فان قلت لم عبر عن اراده الفعل بلفظ الفعل قلت
لان الفعل يوجد عند القصد والاراده بغير فاصل وعلى حسبه فكان
منه بسبب قوي وملابسة ظاهره وعن عبد الله بن مسعود قرات على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال
لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم
عن اللوح المحفوظ ليس له سلطان اي تسلط وولايه على اولياء الله يعني انهم
لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على
من يتولاه ويطيعه به مشركون الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان
على معنى بسببه تبديل الايه مكان الايه هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرايع
بالشرايع لانها مصالح وما كان مصلحه امس يجوز ان يكون مفسده اليوم وخلافه
مصلحه والله عز وجل عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشا وينسخ ما يشا بحكمته وهذا
معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا
وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من
اصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو اهون ولقد افتروا
فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق
بالاشق لان الغرض المصلحه لا الهوان والمشقه فان قلت هل في ذكر تبديل
الايه بالايه دليل على ان القران انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من الاجماع والسنه
والقياس قلت فيه ان قرانا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنه

المكشوفه المتواتره مثل القران في ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله واما
الاجماع والقياس والسنه غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القران بها وفي نزل
ونزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشاره الى ان
التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه
عن الحكمة روح القدس جبريل صلوات الله عليه اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال
حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس
المطهر من الماثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة
يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين امنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو
الحق من ربنا والحكمه حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب على
ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمه وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما
معطوفان على محل ليثبت القدم تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض
بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ارادوا بالبشر
غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش او يعيش وكان
صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان
جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكه ويقران التوريه والانجيل فكان رسول
الله اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقران فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو
يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي واللسان اللغه ويقال لحد القبر والحده وهو
ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامه فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة
عن استقامه فقالوا لحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال
مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون
قولهم عن الاستقامه اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القران لسان عربي مبين
ذو بيان وفصاحه ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء
والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان فان قلت
الجمله التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل لها لانها
مستانفه جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله
واذا جاتهم ايه قالوا لن نؤمن حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله ان الذين لا يؤمنون
بايات الله اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل

الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من أهل اللطف والثواب إنما يفتري الكذب
رد لقولهم إنما أنت مفتر يعني إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يترقب عقابا
عليه وأولئك إشارة إلى قريش هم الكاذبون أي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون أو إلى
الذين لا يؤمنون أي أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لأن تكذيب
آيات الله عز وجل أعظم الكذب أو أولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون
به في كل شيء لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين أو أولئك هم الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتر
من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا
بين البدل والمبدل منه والمعنى إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه واستثنى
منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا أي طاب
به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز أن يكون بدلا من المبتدأ الذي هو أولئك
على تقدير ومن كفر بالله من بعد إيمانه ويجوز أن ينتصب على الذم وقد جوزوا أن يكون
من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لأن جواب من شرح دال عليه كأنه قيل
من كفر بالله فعليهم غضب وروي أن ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا عن الإسلام بعد
دخولهم فيه وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان
منهم عمار وأبوه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فأما
سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا إنك أسلمت من أجل الرجال
فقتلت وقتل ياسر وهما أول قتيلين في الإسلام وأما عمار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه
مكرها فقيل يا رسول الله إن عمارا كفر فقال كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى
قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله وهو يبكي فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت
ومنهم جبر مولى الحضرمي أكرهه سيده فكفر ثم أسلم مولاه وأسلم وحسن إسلامهما
وهاجرا فإن قلت أي الأمرين أفضل أفعل عمار أم فعل أبويه قلت بل فعل أبويه
لأن في ترك التقية والصبر على القتل إعزازا للإسلام وقد روي أن مسيلمة
أخذ رجلين فقال لأحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال
أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في
قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق

هنيئا له ذلك إشارة إلى الوعيد وأن الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم
الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم وأولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة الذين لا أحد أغفل منهم لأن الغفلة عن تدبر العواقب هي
غاية الغفلة ومنتهاها ثم إن ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك وهم
عمار وأصحابه ومعنى إن ربك لهم أنه لهم لا عليهم بمعنى أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم
وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما
فتنوا بالعذاب والإكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل أي بعد ما عذبوا
المؤمنين كالحضرمي وأشباهه من بعدها من بعد هذه الأفعال وهي الهجرة والجهاد
والصبر يوم تأتي منصوب برحيم أو بإضمار اذكر فإن قلت ما معنى النفس
المضافة إلى النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس
الجملة كما هي فالنفس الأولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتي
كل إنسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة
عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله
مثلا قرية أي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم
النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه
الصفة وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة إنذارا
من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق
مع الخوف رغدا واسعا والأنعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع
أو جمع نعم كبؤس وأبؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم
بمنى إنها أيام طعم ونعم فلا تصوموا فإن قلت الإذاقة واللباس استعارتان فما
وجه صحتهما والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة
إيقاعها عليه قلت أما الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها
في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه
العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس
فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث
وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما
يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا

طرفان لابد من الاحاطة بهما فإن الاستعارة لا تقع الا موقعها احدهما ان ينظر
فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي
هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظر
فيه الى المستعار كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر

اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار
ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي
الرداء اذا تبسم ضاحكا **وهم ظالمون** في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين
توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة
وقرئ والخوف عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه اصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع **لما وعظهم**
بما ذكر من حال القرية وما امتحنه من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك الفاء في قوله
فكلوا صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بأن امرهم
بأكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال **ان كنتم اياه**
تعبدون يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة
لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بالهوى
وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه وانتصاب **الكذب**
بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب **لما تصف السنتكم** من البهائم بالحل والحرمة
في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير
استناد ذلك الوصف الى وحي من الله او الى قياس مستند اليه واللام مثلها في
قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله **هذا حلال وهذا حرام** بدل من
الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما
تصفه السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام او تكون انتصاب الكذب بتصف
ويجعل ما مصدرية ويتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا
هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل

قول ينطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج
ودعوى فارغة فإن قلت ما معنى وصف السنتهم الكذب قلت هو من فصيح
الكلام وبليغه جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد
حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر
وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب
كقوله بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ
الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب
او هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في **ليفتروا** من
التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض **متاع قليل** خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم
فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم **ما قصصنا عليك**
يعني في سورة الانعام **بجهالة** في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله
وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم **من بعدها** من بعد التوبة
كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع
صفات الخير كقوله: وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن
مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى
مأموم اي يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما
اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله اني جاعلك للناس اماما
وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان
امة قانتا لله فقلت له غلطت انما هو ابراهيم صلى الله عليه فقال الامة
الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله
عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته
ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة لله
قانت ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله
لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان
الائمة معلمو الخير والقانت القائم بما امره الله به والحنيف المائل الى ملة
الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على

ملة ابراهيم شاكرا لانعمه روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم
ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم فخيلوا له ان بهم جذاما
فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه
للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام حسنة عن قتادة هي تنويه الله ذكره
حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت
على ابراهيم لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الرحمن
عليه السلام من الكرامة واجل ما اولي من النعمة اتباع رسول الله ملته من قبل انها دلت على
تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله عليه بها السبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ
على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة
وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم
الصبر على الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت
بانعم الله مثلا وغيره مما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين
لاوامره والخالعين ربقة طاعته فان قلت ما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا
محلين او محرمين قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلافهم في فعلهم في كونهم محلين
تارة ومحرمين اخرى ووجه آخر وهو ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع
يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ
الله فيه من خلق السموات والارض وهو يوم السبت الا شرذمة منهم قد رضوا
بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختار عليه الجمعة
فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون
بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك
وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل
السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على
البناء للفاعل وقرأ عبد الله انا انزلنا السبت ادع الى سبيل ربك الى الاسلام
بالحكمة اي بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة
الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان

يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي
هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف
ان ربك هو اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن
لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه في حديد بارد سمى الفعل الثاني
باسم الاول للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه
فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار
فقفوا بمثل ما فعل بكم روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا
بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب
فوقف رسول الله على حمزة وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن فقال
اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت
فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي
عنها حتى بالكلب العقور اما ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم
ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين
موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد او وصفهم بالصفة
التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه
صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله
عز وعلا فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله
عليه السلام فاصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه
وتثبيته وربطه على قلبه ولا تحزن عليهم اي على الكافرين كقوله فلا تاس على القوم
الكافرين او على المومنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق وقرئ ولا تكن
في ضيق اي ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق
ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين
اتقوا اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم
وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا
مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها
او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية سورة بني

سورة بني اسرايل مكيه وهي مايه وعشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم **سبحان** علم للتسبيح كعثمان
للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان
منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبايح التي يضيفها اليه
اعدا الله **واسرى** وسرى لغتان **وليلا** نصب على الظرف فان قلت الاسرى
لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل
مدة الاسرى وانه اسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك
ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل
اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف
المكان الذي اسرى منه فقيل هو **المسجد الحرام** بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النايم واليقظان
اذ اتاني جبريل بالبراق وقيل اسرى به من دار ام هاني بنت ابي طالب والمراد
بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد
وروي انه كان نايما في بيت ام هاني بعد صلوة العشا فاسرى به ورجع من
ليلته وقص القصة على ام هاني وقال مثل لي النبيون فصليت بهم العشا وقام
ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هاني بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك
ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله
بحديث الاسرى فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم فحدثهم فمن بين مصفق
وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به وسعى رجال
الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال
اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وفيهم من سافر الى ثمة
فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا
اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها
وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون
ذلك اليوم نحو الثنية فقال قايل منهم هذه والله الشمس قد شرقت وقال
اخر هذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يومنوا
وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السما في تلك الليلة وكان العروج

من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما راى في السما من العجايب وانه لقي الانبيا
وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلف في وقت الاسرى فقيل كان قبل
الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف في انه كان في اليقظة
ام في المنام فعن عايشة رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول
الله ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام
رويا راها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك **والمسجد الاقصى** بيت المقدس لانه لم
يكن حينيذ وراه مسجد **باركنا حوله** يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد
الانبيا عليهم السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار
المثمرة وقرى الحسن **ليريه** بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغايب والمتكلم فقيل
اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم **من اياتنا** ثم انه هو وهي طريقة الالتفات
التي هي من طرق البلاغة **انه هو السميع** لاقوال محمد **البصير** بافعاله العالم بتهذيبها
وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك **الا يتخذوا** قرى بالياء على لئلا يتخذوا
وبالتا على اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا **وكيلا** ربا تكلون اليه
اموركم **ذرية من حملنا** نصب على الاختصاص وقيل على الندا فيمن قرى لا تتخذوا بالتا
على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا **مع نوح** وقد
يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يامركم
ان تتخذوا الملايكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير وقرى
ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرى زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال
وروي عنه انه فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة في انجا اباهم من
الغرق **انه** ان نوحا عليه السلام **كان عبدا شكورا** قيل كان اذا اكل قال الحمد لله
الذي اطعمني ولو شا اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شا اظماني
واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شا اعراني واذا احتذى قال الحمد لله
الذي حذاني ولو شا احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج
عني اذاه في عافية ولو شا حبسه وروي انه كان اذا اراد الافطار
عرض طعامه على من امن به فان وجده محتاجا اثره به فان قلت انه كان
عبدا شكورا ما وجه ملايمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني
وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من

امر بعد رجل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعلوا اباكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا
لاختصاصهم والثنا عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستاهلوا
لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا
الى بني اسرايل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في
الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التوريه ولتفسدن
جواب قسم محذوف ويجوز ان تجري القضا المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن
جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البنا للمفعول ولتفسدن
بفتح التا من فسد مرتين اولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس ارميا حين انذرهم
سخط الله والاخرى قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم عبادا لنا وقرئ
عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل
بخت نصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماهم واحرقوا التوريه وخربوا المسجد
وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك
ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان
الله عز وعلا اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي
بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمهم واسند
الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التوريه
من جملة الجوس المسند اليهم وقرئ فحاسوا بالحا وقرئ فجوسوا وخلل الديار
فان قلت ما معنى وعد اولاهما قلت معناه وعد عقاب اولاهما وكان
وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة
عليهم اي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد
والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرايل اسراهم واموالهم ورجوع
الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع
الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز
اي الاحسان
والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن
علي رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء وعد
المرة الاخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرئ
ليسوء وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة والكابة فيها كقوله سيئت وجوه

الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث لنسوءن
بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن ولنسوءن وقرئ لنسوءن
بالنون الخفيفة واللام في وليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف وهو بعثناهم ليدخلوا
ولنسوءن جواب اذا جاء ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شي غلبوه واستولوا
عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم
عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله اليهم النقمة
بتسليط الاكاسرة وضرب الجزية عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان اخر ذلك ان
بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيمة حصيرا محبسا
يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول للتي هي
اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة واينما قدرت
لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف
بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف فان قلت كيف
ذكر المومنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ
اما مومن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فان
قلت علام عطف وان الذين لا يومنون قلت على ان لهم اجرا كبيرا
على معنى انه بشر المومنين ببشارتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز
ان يراد ويخبر بان الذين لا يومنون معذبون اي ويدعو الله عند غضبه
بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس
الشر استعجالهم بالخير وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه
ويخطر بباله لا يتانى فيه تاني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دفع الى سودة
بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا الم القد
فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلى الله عليه
وسلم دعا به فاعلم بشانه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة
يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اني سالت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر
اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر

وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان
الانسان عجولا يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجاب الله له فضربت عنقه صبرا
فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار آيتان في انفسهما فتكون الاضافة في
آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الآية التي هي
الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل والنهار
آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما
لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه
الاشياء وتستبان او فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق لها شعاعا كشعاع الشمس
فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء
لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم
ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه
منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور وكل شيء مما
تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم
وما تركنا لكم حجة علينا طائره عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل
وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله
والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا ينفك عنه ومنه مثل العرب
تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذه ربقة في رقبته وعن الحسن
رحمه الله يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه
بسكون النون وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على
البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر اي يخرج الطائر كتابا وانتصاب
كتاب على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول يلقاه ومنشورا صفتان
للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرأ على ارادة القول وعن قتادة يقرأ
في ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وبنفسك فاعل كفى حسيبا تمييز وهو
بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى
متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد
فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت

لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها
الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتأول النفس بالشخص
كما يقال ثلاثة انفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك
حسيب نفسك اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس
اخرى وما كنا معذبين وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان
نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لان
معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم
العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفالهم الشرائع التي لا سبيل
اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسل من
جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين
فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل واذا اردنا واذا دنا
وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرنا هم ففسقوا اي امرناهم بالفسق
ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون
فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة
الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه
وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم
اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا
الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم فان قلت
هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل
عليه غير جائز فكيف بحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المامور به انما
حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرأ
لا يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من
مخاطبك علم الغيب ولا يلزم على هذا قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان
ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا به فكان هذا الكلام
غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مامورا به
كانه يقول كان مني امر فلم تكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويامر وينهى
غير قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يامر بالفحشاء

وانما امرنا بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك
لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان
صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف
لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو
ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشيئة انه من
اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال
صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم **أمرنا** بكثرنا وجعل امرته فأمر من باب
فعلته ففعل كثبرته فكثر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة
اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اني ارى امرك هذا حقيرا فقال عليه السلام انه سيأمر اي سيكثر وسيكثر وقرئ
آمرنا من أمر وأمره غيره وأمّرنا من أمر إمارة وأمّره الله اي جعلناهم
امراء وسلطناهم **كم** مفعول **أهلكنا** و**من القرون** بيان لكم وتمييز له كما يميز
العدد بالجنس يعني عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله **وكفى بربك
بذنوب عباده خبيرا بصيرا** على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم
بها ومعاقب عليها **من كان يريد العاجلة** همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد فقيد الامر تقييدين احدهما تقييد المعجل
بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون
ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع
عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة واما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة
فما يبالي اوتي حظا من الدنيا ام لم يؤت فان اوتي فبها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون
له على مراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع
الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل الضمير لله عز وجل فلا فرق اذا بين القراءتين
في المعنى ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من
الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي
والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه السلام من كانت هجرته
الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة
يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه **مدحورا** مطرودا من رحمة الله **سعيها**

جنفها

حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة اشترط ثلاث شرائط في كون السعي
مشكورا ارادة الآخرة بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما
كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث
لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية وشكر الله
الثواب على الطاعة **كلا** كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه **نمد** هم
نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع
والعاصي جميعا على وجه التفضل **وما كان عطاء ربك** وفضله **محظورا** اي ممنوعا
لا يمنعه من عاص لعصيانه **انظر** بعين الاعتبار **كيف** جعلناهم متفاوتين في التفضيل
وفي الآخرة التفاوت اكثر لانها ثواب واعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروي
ان قوما من الاشراف ومن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال
وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا
ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في
الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر وقرئ **اكثر
تفضيلا** وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في
المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي اكبر وافضل **فتقعد** من قولهم
شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك
الذم وما يتبعه من الهلاك من الهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا
له **وقضى ربك** وامر امرا مقطوعا به **ان لا تعبدوا** ان مفسرة ولا تعبدوا
نهي او بان لا تعبدوا **وبالوالدين احسانا** واحسنوا بالوالدين احسانا او بان
تحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ واوصى وعن ابن عباس ووصى وعن بعض ولد
معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر
لا يتقدم عليه صلته **اما** هي ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا لها ولذلك
دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن
زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه **واحدهما** فاعل **يبلغن** وهو في قراءة من قرأ يبلغان
بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين **كلاهما** عطف على احدهما فاعلا وبدلا
فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت
انه بدل قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه

لوجب ان يكون مثله فان قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه مثنى
فلفظ التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فلما
قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول اف صوت يدل على
تضجر وقرئ اف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على اصل البنا والفتح تخفيف للضمة
والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ فان قلت ما معنى عندك قلت هو ان
يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك
اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة
فهو مأمور بان يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا
اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنتهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه
في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضا
بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات
الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما
ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم اخوات
وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب والنزول
على المروءة وقيل هو ان يقول يا ابتاه يا اماه كما قال ابرهيم عليه السلام لابيه يا ابت مع
كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفا وسوء الادب وعادة الدعار ولا بأس به
في غير وجههما كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر كذا وقرئ جناح
الذل والذل بالضم والكسر فان قلت ما معنى قوله جناح الذل قلت
فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك
للمؤمنين فاضافه الى الذل او الذل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض
لهما جناحك الذليل والذلول والثاني ان تجعل لذله او لذله لهما جناحا
خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع
لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان
افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الى الله
بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فان
قلت الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا مسلمين قلت واذا كانا كافرين فله
ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس

من قال كان الدعا للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال
كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم
به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي صلى
الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار
ما يشا ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشا ان يفعل فلن يدخل الجنة
وروى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما
قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك
وانت تحب موتهما وشكى رجل الى رسول الله اباه وانه يأخذ ماله فدعا به فاذا
هو شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني
فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل
علي بماله فبكى عليه السلام وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال
للولد انت ومالك لابيك انت ومالك لابيك مرتين وشكى اليه آخر سوء خلق
امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال لم تكن كذلك حين
ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها
واظمأت لك نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال
ما جزيتها ولو طلقة واحدة وعن ابن عمر انه رأى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول
اني لها مطية لا تذعر * اذا الركاب نفرت لا تنفر * ما حملت وارضعتني اكثر *
الله ربي ذو الجلال الاكبر * تظنني جزيتها يا ابن عمر * قال لا ولو زفرة واحدة
وعنه صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة
الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء
ان الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقها لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه
منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الانا منه اذا شربها وعن ابي يوسف اذا
امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد وعن حذيفة انه استأذن رسول الله
في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل بن عياض
عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع
صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم

عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اوداهما من بعدهما فعن النبي
صلى الله عليه وآله ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه ربكم اعلم بما في نفوسكم بما
في ضمايركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ان تكونوا صالحين
قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر
مما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي الى اذاهما ثم انبتم الى الله
واستغفرتم منها فان الله غفور للاوابين للتوابين وعن سعيد بن جبير هي
البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب
الاواب الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت
منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التايب من جنايته لوروده
على اثره وآت ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية
بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين
عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة والشافعي لا يرى النفقة
الا على الولد والوالدين فحسب وان كانوا مياسير او لم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم
صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة
ونحو ذلك والمسكين وابن السبيل يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل
على ان المراد بما يؤتى ذوي القربى من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذي القربى
اقارب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي
وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر
اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر الله عز وجل بالنفقة
في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو انفاق المال في غير حقه وعن
مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا ولقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال
له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر مر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال اوفي
الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة
وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم
فيما يامرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان
لربه كفورا فما ينبغي ان يطاع لانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرئ اخوان

الشيطان

الشيطان وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل
لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سالوك وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما
ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا
رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك
عليهم واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح
لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق
مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب
ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم
الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض
بوجهه يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه
فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ان ييسر عليهم فقرهم كان معناه
قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعاء فيه يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف
وامر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما عند
الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني
ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت
على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره
بالمسالة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس اتاه صبي
فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب
الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره
ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة وقيل
اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وانشأ يقول

اتجعل نهبي ونهب العبيد ... بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان جدي في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال يا ابا بكر اقطع
لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم عما كان يرهقه من الاضافة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به

ولكن لان مشيئته في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة
ان القبض والبسط انما هما من امر الله الذي الخزائن بيده فاما العباد ويجوز ان يريد
ويحتمل انه عز وعلا بسط لعباده او قبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ فعليهم الاقتصاد
غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته بالمبسوط له
هو واد هم بناتهم كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة وهو الاملاق فنهاهم الله **قتلهم ولادهم**
لهم ارزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطأ وهو الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما
وخطأ وهو ضد الصواب اسم من اخطأ وقيل هو والخطء كالحذر والحذر
وخطاء بالكسر والمد وخطأ بالفتح والمد والسكون وعن الحسن خطاء بالفتح والمد
الهمز كالحيب على ... بكسر الخاء غير مهموز فاحشة فعلة زائدة على حد القبح
وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان تغصب على غيرك امرأته او اخته او بنته
من غير سبب والسبب ممكن وهو المهر الذي شرعه الله الا بالحق الا باحدى ثلاث
الا بان تكفر او تقتل مؤمنا متعمدا او تزني بعد احصان مظلوما غير راكب
واحدة منهن لوليه للذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان
لم يكن له ولي فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه
او حجة يثبت بها عليه فلا يسرف الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا
اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كانوا اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة
حتى ان مهلهل حين قتل بجير بن الحارث رغما ... بؤ بشسع كليب وان ركل
قتيل في كليب غرة حتى ينال القتل آل مرة وكانوا يقتلون غير القاتل
اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف المثلة وقرئ ابو مسلم صاحب الدولة
فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليثبت في الامر وعن
مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي او
قاتل المظلوم وفي قراءة ابي فلا تسرفوا رده على ولا تقتلوا انه كان منصورا
الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على
ذلك وبان الله نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا
يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله
وينصره في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه
منصور بايجاب القصاص على المسرف بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن

يحطه عليه وتمامه ان العهد كان مسؤلا اي مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا
يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك
تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد
كان مسؤلا ترى قرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان
صغيرا وكبيرا من موازين الدراهم وغيرها واحسن تأويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من
آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قفا اثره وقافه
ومنه القافة يعني ولا تتبع ما لا علم لك به من قول او فعل كمن تبع مسلكا
لا يدري انه يوصله الى مقصده وقيل المراد النهي عن ان تقول للرجل ما لا تعلم
وان تعمل بما لا تعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم
صحته من فساده وعن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم
اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورأيته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع وقيل
القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله
في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وانشد
ومثل الدمى شم العرانين ساكن بهن الحياء لا يشعن التقافيا اي التقاذف
وقال الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا وقد
استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع
غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد
كقوله والعيش بعد اولئك الايام عنه في موضع الرفع بالفاعلية
ان كل واحد منها كان مسؤلا عنه فيسأل مسندا الى الجار والمجرور كالمغضوب
في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت
الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه وقرئ والفواد بقلب
الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها في الفواد ثم استعمل ... مع الفتح
مرحا ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل
لما فيه من التأكيد لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك
وقرئ لن تخرق بضم الراء ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وكل ذلك
سيئه وسيئه على اضافة شيء الى ... كل ذلك وسيئا في المصاحف وسيئا
قراءة ابي بكر الصديق رضي الله عنه كان شانه فان قلت كيف قيل سيئه مع

مكروها قلت السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات
فلا اعتبار بتأنيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة ومن قرأ سيئا الا تراك تقول الزنا سيئة
كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث فان قلت ثم
ذكر من الخصال بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرئ من قرأ سيئه بالاضافة فما
من قرأ سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة
ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها اخر الى هذه الغاية وسماه حكمة
لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه الثماني عشرة
اية كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها اخر قال الله تعالى
وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر ايات في التورية ولقد جعل
الله عز وعلا فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد هو راس كل حكمة وملاكه
وعلومه وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار
الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم افاصفاكم خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله
والهمزة للانكار يعني افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون
لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ ادونهم وهي البنات وهذا خلاف
الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشياء واصفاها
من الشوب ويكون اردأها وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما
باضافتكم الى الله الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم
حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم ادون
خلق الله وهم الاناث ولقد صرفنا في هذا القرآن يجوز ان يريد بهذا القرآن ابطال
اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا
المعنى او اوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز ان يشير بهذا القرآن
الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير
لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرئ مشددا ومخففا اي
كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم الا نفورا عن الحق
وقلة طمأنينة اليه وعن سفيان كان اذا قرأها قال زادني لك خضوعا ما زاد
اعداءك نفورا قرئ كما تقولون بالتاء والياء واذن دالة على ان ما بعدها
وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا الى ذي العرش سبيلا

لطلبوا

لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض
كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة من
ذلك والنزاهة ووصفه به بعد وصفه بالعلو بالكبير المبالغة في معنى البراءة والبعد مما
وصفوه به المراد انها تسبح تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع
وعلى قدرته وحكمته فكأنها تنطق بذلك وكأنها تنزه الله تعالى مما لا يجوز عليه
من الشركاء وغيرها فان قلت فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا
التسبيح مفهوم معلوم قلت الخطاب للمشركين وهم وان كانوا اذا سألتهم عن
خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم
فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف
ما كانوا عليه فاذن لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فان
قلت من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على
السموات والارض فما وجهه قلت التسبيح المجازي حاصل في الجميع
فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة
والمجاز انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم
وجهلكم بالتسبيح وشرككم حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم
ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور بغيره او حجاب يستر ان يبصر
فكيف يبصر المحتجب وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة
مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كأنه قال واذا قرأت
القرآن جعلنا على زعمهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه او لان لا يفقهوه وجعلنا
على قلوبهم اكنة فيه معنى المنع من الفقه كأنه قيل ومنعناهم ان يفقهوه
يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع
عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد مسد الحال
اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى التولية او جمع نافر
كقاعد وقعود اي يحبون ان تذكروا معه آلهتهم لانهم مشركون واذا سمعوا بالتوحيد
نفروا بما يستمعون به من الهزؤ بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا
قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون

عليه بالاشعار وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء اي هازئين اذ
يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما يستمعون به اليك واذ هم نجوى
وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى اذ يقول بدل من اذ هم مسحورا سحر فجن
وقيل هو من السحر وهو الرئة اي هو بشر مثلكم ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر
والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه
فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع لما قالوا ابذا كنا عظاما قيل
لهم كونوا حجارة او حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا
حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون
ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحيوة والى رطوبة الحي وغضاضته بعد
ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى
عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى ولكن
لو كنتم ابعد شيء من الحيوة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان
تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعها الجساوة والصلابة لكان
قادرا الى ان يردكم الى حال الحيوة او خلقا مما يكبر في صدوركم يعني او خلقا مما
يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه
وقيل ما يكبر في صدوركم الموت وقيل السموات والارض فسينغضون
فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز
والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده
حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بركوب
ما يشق عليه فيتابى ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر
قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير
ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون
وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض
يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في اعينهم حين عاينوا الاخرة وقل لعبادي
وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن والين ولا يخاشنوهم كقوله
وجادلهم بالتي هي احسن وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان
يشا يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار

وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان
ينزغ بينهم اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم
المشارة والمشاقة وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم
على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول اية السيف وقيل
نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين
للمسلمين فشكوا الى رسوله فنزلت وهي الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم
الله وقرا طلحة ينزع بينكم وهما لغتان نحو يعكفون ويعكفون هو رد
على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون
العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك في
بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم
وبما يستاهل كل واحد منهم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض
اشارة الى تفضيل رسول الله وقوله واتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله
وهو خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود قال الله
تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون
وهم محمد صلى الله عليه وسلم وامته فان قلت هلا عرف الزبور كما عرف
في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس
وعباس والفضل وفضل وان يريد واتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وان
يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا
لانه بعض الزبور كما سمى بعض القران قرانا هم الملائكة وقيل عيسى ومريم
وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي
ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان
يحولوه من واحد الى اخر او يبدلوه اولئك مبتدا الذين يدعون صفة ويبتغون
خبره يعني ان الهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله عز وجل
ايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف
الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه
قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير

والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم الهة
عذاب ربك كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم ان
نحن مهلكوها بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب
الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم
في تفسيرها اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة
بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب وذكرها
بلدا بلدا في الكتاب في اللوح المحفوظ استعير المنع لترك ارسال الايات
من اجل صارف الحكمة وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا
ارسال الايات الا تكذيب الاولين والمراد بالايات التي اقترحتها قريش من قلب
الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم
اية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستيصال فالمعنى وما صرفنا
عن ارسال ما يقترحونه من الايات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع
على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا
سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستاصل وقد عزمنا
ان نؤخر من بعثت اليهم الى يوم القيمة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها
الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان
اثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة
بينة وقرى مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالايات ان اراد
بها الايات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة
والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل
من الايات كايات القران وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الاخرة واذ
قلنا لك ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش
يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصر عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر
قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كان قد كان ووجد
فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحفا الفريقان يوم بدر
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول
اللهم اني اسئلك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول

سيهزم

سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان
يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض
ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول
الله من امر بدر وما اري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون
ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها
سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها
الشجر وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجر من
جنس لا تاكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه
مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه
النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحمرة كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم
اقرب من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة
لا تحرقها والمعنى ان الايات انما نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب
الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة
لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الاخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال
ونخوفهم اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والاخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا
فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الايات وقيل الرؤيا هي الاسرى
وبه تعلق من يقول كان الاسرى في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا
بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رايتها
وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله
فراغ الى الهتهم اين شركاي ذق انك انت العزيز الكريم وقيل هي رؤياه انه
سيدخل مكة وقيل راى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول
الصبيان الكرة فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم في القران قلت لعنت حيث
لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت
بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي
في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار
ملعون وسالت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس
هي الكشوث الذي يلتوي بالشجر يجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل

الحمد لله رب العالمين [illegible]

وقرئ والشجرةُ الملعونة بالرفع على انها مبتدا محذوف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة
في القران كذلك طينا حال اما من الموصول والعامل فيه ااسجد على ااسجد له وهو
طين اي اصله طين او من الراجع اليه من الصلة على ااسجد لمن كان في وقت خلقه طينا
ارايتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمت علي اي
فضلته لم كرمته علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدا فقال لئن اخرتن
واللام موطئة للقسم المحذوف لاحتنكن ذريته لاستاصلنهم بالاغوا من احتنك الجراد
الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احنك
الشاتين اي اكلهما فان قلت من اين علم ان ذلك يتسهل له وهو من الغيب قلت
اما ان سمعه من الملئكة صلوات الله عليهم وقد اخبرهم الله به او خرجه من قولهم
اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم في مخايله انه خلق شهواني وقيل قال
ذلك لما علمت وسوسته في ادم والظاهر انه قال ذلك قبل اكل ادم من الشجرة
اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجي وانما معناه امض لشانك الذي اخترته
خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سو اختياره في قوله فمن تبعك منهم فان
جهنم جزاؤكم كما قال موسى صلوات الله عليه للسامري فاذهب فان لك في الحيوة
ان تقول لا مساس فان قلت اما كان من حق الضمير في الجزا ان يكون على لفظ الغيبة
ليرجع الى من تبعك قلت بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب
المخاطب على الغايب فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريقة الالتفات
وانتصب جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريقة
الالتفات من معنى تجازون او باضمار تجازون او على الحال لان الجزا موصوف
بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة استفزه استخفه
والفز الخفيف واجلب من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة ومنه قول
رسول الله يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب
وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك
الرجل ويضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات لهما
يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك فان قلت ما معنى استفزاز
ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل
مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا

اماكنهم ويقلقلهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى
استاصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وبخيله ورجله كل راكب وماش من
اهل العيث وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال واما المشاركة في
الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة
والسائبة والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكوة والتوصل الى الاولاد بالسبب
الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحارث والتهويد
والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم المواعيد
الكاذبة من شفاعة الالهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة
ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج
من النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل على الاجل ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان اي لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به
في الاستعاذة منك ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين فان قلت كيف
جاز ان يامر الله تعالى ابليس بان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر
صادا عن الخير قلت هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال
للعصاة اعملوا ما شئتم يزجي يجريه ويسيره الضر خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه
ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم
لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون
ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم في ذلك الوقت او لم يهتد لانقاذكم احد غيره
من سائر المدعوين ويجوز ان يراد ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم ولكن
الله وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثنا المنقطع افامنتم الهمزة
للانكار والفا للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض
فان قلت بم انتصب جانب البر قلت بيخسف مفعولا به كالارض
في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان يخسف جانب البر اي يقلبه
وانتم عليه فان قلت ما معنى ذكر الجانب قلت معناه ان الجوانب والجهات
كلها في قدرته سوا وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة
ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما
هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الما فالبر والبحر

عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه من
الله تعالى في جميع الجوانب وحيث كان أو يرسل عليكم حاصبا وهو الريح التي تحصب اي
ترمي بالحصباء يعني او ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها
عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر وكيلا من يتوكل بصرف
ذلك عنكم أم أمنتم ان نعيدكم يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي
نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت
الشديد كانها تتقصف اي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء الا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء اي الريح
وبالنون وكذا نخسف ونرسل ونعيدكم قرئت بالياء والنون تبيعا مطالبا
من قوله تعالى فاتباع بالمعروف اي مطالبة قال الشماخ ○ كما لاذ الغريم من التبيع ○
يقال فلان على فلان تبيع بحقه اي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل
ما نفعل بهم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا
وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم
قيل في تكرمة بني آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط
والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم
على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شيء يأكل بفيه الا بني آدم وعن الرشيد انه احضر
طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس
قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت الملاعق
فردها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة صلوات الله عليهم
وحسب بني آدم تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم
والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على
العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم
وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى قربهم وكيف نزلهم من انبيائه
منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها
قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا
ذلك فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت
له كن فكان ورووا عن ابي هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله من الملائكة
الذين عنده ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع وهذه الآية وحدها [illegible]

الدرق

الدرق فلم يحسوا بشناعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا اشجا لحلوقهم
واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتاويلات
البعيدة في عداوة الملأ الاعلى كان جبريل غاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط فتلك
السخيمة لا تنحل عن قلوبهم يوم ندعو بالياء والنون ويدعى كل اناس على البناء
للمفعول وقرئ يدعو كل اناس على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو في افعى
ويجوز ان تكون الواو علامة الجمع كما قيل واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في
يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة بامامهم بمن ائتموا به من نبي
او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا او كتاب
كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر
وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم
القيامة بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء بالامهات دون الآباء رعاية حق عيسى واظهار
شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه
ام بهاء حكمته فمن اوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم قيل
اولئك لان من اوتي في معنى الجمع فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم
كان اصحاب الشمال لا يقرءون كتابهم قلت بلى ولكن اذا اطلعوا على ما في كتابهم
اخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه امام التنكيل
به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز
عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة واما
اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرءون كتابهم احسن قراءة و
ابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرءوا
كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شيء كقوله ولا
يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما معنا ومن كان في الدنيا أعمى فهو في الآخرة
اعمى كذلك وأضل سبيلا من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد
حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما في الدنيا فلفقد النظر واما في الآخرة
فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم
قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت
الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقوله اعمالكم واما الاول فلم

يتعلق به شي مكان الثقة وانفعه في الطرف معرضة للامالة روي ان ثقيفا قالت
للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر
ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا
باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند راس الحول وان تمنع من قصد وادينا وج
فعضد شجره فاذا سالتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني بذلك وجاوا بالكاتب
فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون
ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون
والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال اسعرتم قلب
نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك اياك انما نكلم محمدا
وروي ان قريشا قالوا له اجعل اية رحمة مكان اية عذاب واية عذاب مكان
اية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك
فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري
علينا لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما ارادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد
وعدا وما اقترحته ثقيف من ان يضيف الى الله ما لم ينزل عليه واذا لاتخذوك
اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا
ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل
الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين اذا
لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي لاذقناك
عذاب الاخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت كيف حقيقة هذا الكلام
قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان
عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حيوة الاخرة وهو عذاب النار
والضعف يوصف به نحو قوله فاتهم عذابا ضعفا من النار بمعنى مضاعفا فكان
اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف
الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف
فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات ويجوز
ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب

النار

النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما
بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب
المضاعف في الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع
منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة المجبرة
القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة
مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا
تلا هذه الاية ان يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبان يستشعر
الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله عز وجل وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وان كادوا وان
كان اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض مكة
واذا لا يلبثون لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا فان الله مهلكهم
وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك
لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل
من ارض المدينة وذلك ان رسول الله لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه
منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي بلاد
مقدسة وكانت مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك
وقد علمنا انك لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله
مانعك منهم فعسكر رسول الله على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى
يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس
في دين الله فنزلت فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي لا يلبثوا على اعمال اذن
فان قلت ما وجه القراءتين قلت اما الشائعة فقد عطف فيها الفعل
على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع
~~فقد عطف فيها الفعل على الفعل~~ الاسم واما قراءة ابي رضي الله عنه ففيها الجملة برأسها
التي هي اذا لا يلبثوا عطفت على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك وقرئ خلافك
عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اي بعدهم سنة من قد
ارسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت
نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة دلوك الشمس غروبها وقيل

زالت وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس
فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر
اليها فان كان الدلوك الزوال فالاية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب
فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلاة العشا وقران
الفجر صلاة الفجر سميت قرانا وهي القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي
حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن مشهودا يشهده ملائكة الليل
والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في اخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده
الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون
وقران الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس
القران فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة ومن الليل وعليك
بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلاة ونحوه التاثم والتحرج ويقال
ايضا في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة
موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد
والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك
لانه تطوع لهم مقاما محمودا نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك
مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام
محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من راه وعرفه وهو مطلق
في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله
وعن ابن عباس رضي الله عنه مقاما يحمدك فيه الاولون والاخرون وتشرف فيه على
جميع الخلائق تسال فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس
في صعيد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه واله وسلم فيقول لبيك
وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك
لا منجا ولا ملجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا
قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر
ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق اي ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا
مرضيا على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا

ملقيا

ملقيا بالكرامة امنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين
امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها
بالفتح واخراجه منها امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما
وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من
غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان
سلطانا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا
له عليه فاجيبت دعوته بقوله تعالى والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم
الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس
والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وسلم انه استعمل عتاب بن اسيد على
اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا على المريب
لينا على المؤمن وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت
عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد
استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اني رايت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ
بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام
لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير كان حول
البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس كانت لقبائل
العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله فقال اي رب حتى متى
تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت اني ساحدث لك نوبة
جديدة فاملوك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك
حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الاية يوم الفتح قال جبريل
لرسول الله خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه
ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي
صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون
ما راينا رجلا اسحر من محمد وشكاية البيت والوحي اليه تمثيل وتخييل وزهق الباطل
وذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام والباطل

الشرك كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت وننزل وقرئ بالتخفيف
من القرآن من للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض اي كل شي نزل من القرآن ما هو
شفا للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع
الشفا من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله
ولا يزداد به الكافرون الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله فزادتهم
رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله
مستغنيا عنه مستبدا بنفسه ونأى بجانبه تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشي ان يوليه
عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار
لان ذلك من عادة المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل
كان يؤسا شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى ويجوز ان يكون
من ناء بمعنى نهض قل كل يعمل على شاكلته اي على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله
في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل
عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد مذهبا وطريقة الاكثر
عن الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اي
مما استأثر بعلمه وعن ابن عباس لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح
وقيل هو خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل وقيل القرآن
ومن امر ربي اي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش
ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت
فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر
الروح وهو مبهم في التورية فندموا على سؤالهم وما اوتيتم الخطاب عام
وروي انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب ام
معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم تؤتوا من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك
ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت
ولو انما في الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوا بلازم لان القلة والكثرة تدوران
مع الاضافة فيوصف الشي بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته
فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا اضيف الى علم الله فهي

فلله

قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد
اوتينا التورية وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل
لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله لنذهبن جواب قسم محذوف مغن
عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن
ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب
ثم لا تجد لك به بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا
مسطورا الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه
بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به
وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه
فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله
تعالى عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ وعن
ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر ما تفقدون
الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون منه يوما وما
فيكم منه شي فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا
نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه
فقرا ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا
اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم
لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان يأتوا بمثل القرآن في البلاغة
وحسن النظم وتبيينه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله
والعجب من الثوابت ومن زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما
يكون العجز حيث يكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد
عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كالثاني
القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله
بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال
فان رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا رددنا وكررنا
هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته والكفور الجحود فان قلت
كيف جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى

مثلا فابى اكثر الناس الا كفورا لمعنى كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا لما تبين اعجاز القران وانضمت
اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح
الايات فعل المبهوت المحجوج المتعثر في امره الحيران فقالوا لن نؤمن لك حتى
تفجر لنا وقرئ تفجر بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من
شانها ان تنبع بالماء لا تنقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء كما زعمت يعنون
قول الله تعالى ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وقرئ كسفا بسكون
السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحها قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والقبيل
او تاتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا ، فاني وقيار بها
لغريب او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا
او جماعة حالا من الملائكة من زخرف من ذهب في السماء في معارج السماء فحذف المضاف
يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك ولن نؤمن لاجل رقيك حتى تنزل
علينا كتابا من السماء فيه تصديقك وعن ابن عباس قال عبد الله بن امية لن نؤمن لك
حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور
معه اربعة من الملائكة يشهدون لك بما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الا
قتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل اية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
وحين انكروا الاية الباقية التي هي القران وسائر الايات وليست بدون ما
اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى تبصرتهم سبيل قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي
اي قال الرسول سبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه هل كنت الا بشرا رسولا كسائر
الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل عليهم السلام لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله
عليهم من الايات فليس امر الايات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي
ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحي اي
وما منعهم الايمان بالقران وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في
صدورهم وهو انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما
انكروه فخلافه هو المنكر عند الله عز وجل لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي
الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون
على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها

ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى
مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان قلت هل يجوز ان
يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له اجوب
شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وكذبتم انه كان
بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية
لرسول الله ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز او حال ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف
به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم
انصارا على وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر
على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا
ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الاخرة كذلك لا يبصرون ما
يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في
هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ويجوز ان يحشروا موقرين في الحواس من الموقف الى
النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع اخر انهم يقرءون ويتكلمون كلما
خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت
ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان
سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة
ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد
دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله ءانا لمبعوثون خلقا جديدا فان قلت
علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على محل اولم يروا لان المعنى قد علموا
بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق
امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال ءانتم اشد خلقا ام السماء
وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيامة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا
لو حقها ان يدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون
وتقديره لو تملكون تملكون فاظهر ضمير تملك اضمارا على شريطة التفسير وابدل
من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ

وهو يملك وانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه
علم البيان لأن انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح
المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس
ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر
برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ
هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما
اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها قتورا
ضيقا بخيلا فان قلت هل يقدر لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه
لبخلتم من قولك للبخيل ممسك عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد
والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن
الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد
العزيز انه سأل محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا
هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور نصفين وجوز
مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود
سأل رسول الله عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا
بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا
ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا
تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فسل بني اسرائيل
فقلنا له سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم
عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك
ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير
همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله
بن سلام واصحابه رضي الله عنهم لتزداد يقينا وطمأنينة قلت لان الادلة اذا
تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي فان قلت
بم تعلق اذ جاءهم قلت اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا
له سلهم حين جاءهم او بسال في القراءة الثانية واما على الاخير فبآتينا او باضمار
اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء آباءهم مسحورا سحرت فخولط عقلك لقد

علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الآيات الا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات ولكنك
معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى
اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض
ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك
لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها
واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري ان لاظنك مسحورا قول كذاب
وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما
منعك وصرفك وقرأ ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي
الفارقة فاراد فرعون ان يستفز موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم
عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه
اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة يعني قيام
الساعة جئنا بكم لفيفا يعني جمعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم
واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القرآن
الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية
الى كل خير او ما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول
الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما ارسلناك الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار
ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك وقرآنا منصوب بفعل يفسره فرقناه
وقرئ فرقناه بالتشديد اي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قرأه
مشددا وقال لم ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة
يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب على مكث بالفتح والضم على مهل وتؤدة
وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا امر بالاعراض
عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم وانه لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه
وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك فان
خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرأوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد
آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم
خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به
من بعثة محمد صلى الله عليه وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد

ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا أي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فإن قلت
الذين أوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز أن يكون تعليلا لقوله آمنوا به أو لا
تؤمنوا وأن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله وتطييب نفسه كأنه قيل تسل
عن إيمان الجهلة بإيمان العلماء وعلى الأول إن لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم فإن قلت
ما معنى الخرور للأذقان قلت السقوط على الوجه وإنما ذكر الذقن وهو مجمع اللحيين لأن
الساجد أول ما يلقى به الأرض من وجهه الذقن فإن قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى
إذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال
فخر صريعا لليدين وللفم قلت معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لأن
اللام للاختصاص فإن قلت لم كرر يخرون للأذقان قلت لاختلاف الحالين وهما
خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين عن ابن عباس
رضي الله عنهما سمعه أبو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو
يدعو إلها آخر وقيل إن أهل الكتاب قالوا إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله في
التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى إلى مفعولين
تقول دعوته زيدا ثم يترك أحدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن
المراد بهما الاسم لا المسمى وأو للتخيير يعني ادعوا الله أو ادعوا الرحمن سموا بهذا
الاسم أو بهذا واذكروا إما هذا وإما هذا والتنوين في أيا عوض من المضاف
إليه وما صلة للإبهام المؤكد لما في أي أي أيا هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله
الأسماء الحسنى والضمير في فله ليس براجع إلى أحد الاسمين المذكورين ولكن إلى
مسماهما وهو ذاته عز وعلا لأن التسمية للذات لا للاسم والمعنى أيا ما تدعوا فهو حسن
فوضع موضعه قوله فله الأسماء الحسنى لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان
لأنهما منها ومعنى كونها أحسن الأسماء أنها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم
بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف المضاف لأنه لا يلبس من قبل أن الجهر والمخافتة صفتان
تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله يرفع صوته بقراءته
فإذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأمر أن يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع
المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا
وروي أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته في صلاته بالقراءة ويقول أناجي
ربي وقد علم حاجتي وكان عمر رضي الله عنه يرفع صوته ويقول أزجر الشيطان وأوقظ

الوسنان فأمر أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر
بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل
وتخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم إلى أن الآية منسوخة بقوله
ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة ولم يكن له ولي
من الذل ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به أو لم يوال أحدا من أجل مذلة به
ليدفعها بموالاته فإن قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة
التحميد قلت لأن من هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة فهو الذي
يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه
الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند
ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية

سورة الكهف مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية في البصري وعشر في الكوفي وست في الشامي وخمس في الحجازي

بسم الله الرحمن الرحيم لقن الله عباده
وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام وما
أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم
ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج
في الأعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة
والإصابة فيه فإن قلت بم انتصب قيما قلت الأحسن أن ينتصب
بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لأن قوله ولم يجعل معطوف على أنزل فهو داخل في
حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وهو
قوله ولم يجعل له عوجا وتقديره ولم يجعل له عوجا بل جعله قيما لأنه إذا نفى عنه
العوج فقد أثبت له الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر قلت فائدته التأكيد فرب
مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما
على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه
من الشرائع وقرئ قيما لينذر متعد إلى مفعولين كقوله إنا أنذرناكم عذابا قريبا
فاقتصر على أحدهما وأصله لينذر الذين كفروا بأسا شديدا والبأس من قوله
عذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة من لدنه صادرا من عنده
وقرئ من لدنه بسكون الدال مع إشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتثقيل

فان قيل لم اقتصر على أحد مفعولي أنذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق
اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ
الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله أن لهم أجرا
حسنا استغناء بتقدم ذكره والأجر الحسن الجنة ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه
يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد اشتمله آباؤهم
من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم
به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء
اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به
كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه
معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما
لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم وان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في
قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا
به السنتهم بل يكظمون عليه تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت
بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت الام يرجع الضمير في كبرت قلت الى
قولهم اتخذ الله ولدا وتسميته كلمة كما يسمون القصيدة بها شبهه واياهم
حين تولوا عنه لم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه
احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا
على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو
للاستقبال فيمن قرأ إن لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ أن لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا
بهذا الحديث بالقرآن أسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف
المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف وأسيف ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون
زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن
العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون
ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد
ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة
من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الآيات
الكلية في الارض ما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازاله ذلك كله

كان

كان لم يكن ثم قال أم حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء
حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن
ابي الصلت ... وليس بها الا الرقيم مجاورا ... وصيدهم والقوم في الكهف همد
وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل ان الناس
رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل
قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا
بالمصدر او على ذات عجب من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن
من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه
راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رأيت منك اسدا فضربنا على آذانهم
اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى
المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب
كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل
ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة
من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج
الى ان يعد اي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو
معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون
الجملة كأنه قيل ليعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا
في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم
اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول
او اي الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اي أضبط أمدا لاوقات لبثهم
فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد
وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو أعدى من الجرب وأفلس من
ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولأن أمدا لا يخلو
اما ان ينتصب بافعل وافعل لا يعمل واما ان ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان
زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله
واضرب منا بالسيوف القوانسا * على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب
حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره فان قلت

كيف حفظ الله تعالى العلم باحصائهم المدة عرضا في الضرب على آذانهم قلت الله عز
وعلا لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا
واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفاره وزدناهم هدى بالتوفيق
والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين
الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدي
الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا
رب السموات والارض شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من
شط اذا بعد ومنه اشط في السوم وغيره هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان واتخذوا
خبر وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون عليهم بسلطان هلا يأتون على عبادتهم بحذف
المضاف بسلطان بين هو التبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال
وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت افترى على
الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين
صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون نصب على عطف الضمير يعني واذ اعتزلتموهم
واعتزلتم معبوديهم الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روي انهم
كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام
معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله مرفقا قرئ بفتح الميم
وكسرها وهو ما يرتفق به اي ينتفع انما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في
رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان يخبرهم به نبي في عصرهم واما ان
يكون بعضهم نبيا اصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي او حذفها وقد قرئ
بهما وقرئ تزور وتزوار نحو تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه
زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها
الجهة المسماة باليمين تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو
الرمة ۞ الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس ۞ وهم
في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم
الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس
لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل في متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم
ولا يحسون كرب الغار ذلك من آيات الله اي ما صنعه الله عز وجل بهم من ازورار

الشمس

الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني ان ما كان في ذلك السمت تصيبه
الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات
نعش فهم في مقنأة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من آيات الله من يهد
الله فهو المهتدي ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم
وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقهم
المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان
فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله وتحسبهم ايقاظا بكسر السين وفتحها خطابا
لكل احد والايقاظ جمع يقظ كانكاد في نكد قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم
الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل
تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل وقرئ
وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه
قيل وترى وتشاهد تقلبهم وقرأ جعفر الصادق رضي الله عنه وكالبهم اي وصاحب
كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان
في معنى المضي واضافته اذا اضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نوي حكاية
الحال الماضية بالوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وانشد ۞
۞ بارض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر ۞ وقرئ ولملئت
بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء رعبا بالتخفيف والتثقيل
وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملؤه وذلك لما البسهم الله تعالى من الهيبة
وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن
معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له
ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم
لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا
فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ لو اطلعت
بضم الواو وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا
بقدرته على الاماتة والبعث جميعا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع
الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقينا ويشكروا
ما انعم به عليهم وكرموا به قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن

وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان
جاز ان يكون خطأ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم وان الله اعلم
بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالادلة او بالالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها
مبهم لا يعلمه الا الله وروي انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال
فظنوا انه في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك فان قلت
كيف وصلوا قولهم فابعثوا بما قبله قلت كأنهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا
طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة
ومنه الحديث ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو
مفتوحة او مكسورة وقرئ بورقكم بكسر الواو وادغام القاف في الكاف وعن
ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده الى
المدينة طرسوس وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان
حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الانفاق
وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة لمن سألها عن محرم يشد عليه
هميانه اوثق عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد
الحنين الى ان يرزق حج بيت الله تعالى ويعولم منه ذلك وكانت مياسير اهل
بلده كلما عزم منهم فوج على الحج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر
اليهم ويحمد لهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان
شد الهميان والتوكل على الرحمن ايها اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله واسأل
القرية ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف
والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف
ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمى
ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه الضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها
يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهو الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او يصيروكم
في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم
يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم
في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة

اطلعنا

اطلعنا عليهم ليعلموا الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان
حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث اذ يتنازعون متعلق باعثرنا
اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث
وكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد
مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها
كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي
على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين
وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون
ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس بينهم امر
اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله عز وجل من الاية فيهم او يتنازعون
بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا
ابنوا على باب كهفهم بنيانا

روي ان اهل الانجيل عظمت

فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها
وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم
بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا
بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال ما تريدون مني انا احب احباء الله
عز وجل فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع ومعه كلب فتبعهم على دينهم
ودخل الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقبل ان يبعثهم
الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين
وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه
ان يبين له الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف
ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج
الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى
الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم
وحمدوا الله على الاية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك
الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فتوفى الله انفسهم

فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد منهم تابوت من ذهب فرآهم في المنام
كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم أعلم بهم من كلام
المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم
فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد
لقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله
من اهل الكتاب سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اهل الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله عنهم فأخر الجواب إلى أن يوحى
اليه فيهم فنزلت إخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم
من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس انا من أولئك القليل وروي أن
السيد والعاقب وأصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى
ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال
العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة
وثامنهم كلبهم فحقق الله تعالى قول المسلمين وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله
عن لسان جبريل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر
أسماؤهم يمليخا ومكشليتيا ومشلينيا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن
يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة
في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم
مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير فإن قلت لم جاء بسين الاستقبال في الأول
دون الآخرين قلت فيه وجهان أن يدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد
أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وان تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي
هو صالح له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب
اي يأتون به او وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لأنهم أكثروا ان
يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين ألا ترى إلى قول
زهير وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون وقرئ ثلاث رابعهم كلبهم
بإدغام الثاء في التاء وثلاثة خبر مبتدأ محذوف اي هم ثلاثة وكذلك خمسة
وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم
كلبهم وثامنهم كلبهم فإن قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم

وحل

وحلت عليها دون الأولين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة
كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد
وفي يده سيف ومنه قوله عز وجل وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب
معلوم وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها
أمر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم
قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله سبحانه
أتبع القولين الأولين قوله رجما بالغيب وأتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم إلا قليل وقال
ابن عباس رضي الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد
يلتفت إليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقيل إلا قليل
من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لأهل الكتاب خاصة اي سيقول
اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين
فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شأن اهل الكهف إلا مراء ظاهرا غير
متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا
تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي أحسن ولا تستفت ولا تسأل أحدا
منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لأن
ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لأن الله قد أرشدك
بأن أوحى إليك قصتهم ولا تقولن لشيء ولا تقولن لأجل شيء تعزم عليه إني فاعل ذلك الشيء
غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة إلا أن يشاء الله متعلق بالنهي
لا بقوله إني فاعل لأنه لو قال إني فاعل كذا إلا أن يشاء الله كان معناه إلا أن تعترض
مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين
أحدهما ولا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه والثاني
ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله اي إلا بمشيئة الله قائلا إن شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان
يكون إن شاء الله لأن عودهم في ملتهم مما لن يشاء الله وهذا نهي تأديب من الله لنبيه
صلى الله عليه وسلم حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي
القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه
وكذبته قريش واذكر ربك اي مشيئة ربك وقل إن شاء الله إذا فرط منك نسيان
لذلك والمعنى إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس

ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة
وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطا يستثنى على مقدار حلب
ناقة غزيرة وعند عامة الفقها انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور
ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثنى المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا
يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان أفترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا
عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى فاذكر ربك بالتسبيح والاستغفار
اذا نسيت كلمة الاستثنى تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت
بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على
اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وهذا اشارة الى نبا اصحاب الكهف ومعناه لعل
الله يوتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب
رشدا من نبا اصحاب الكهف وقد فعل سبحانه ذلك حيث اتاه من قصص الانبيا والاخ
بار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت
شيا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ان يهدين ربي لشي اخر بدل
هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله
او ننسها نات بخير منها ولبثوا في كهفهم ثلث مائة يريد لبثهم فيه احيا
مضروبا على اذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف
سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم
بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة رضي الله عنه انه حكاية لكلام اهل الكتاب
وقل الله اعلم رد عليهم وفي قراة عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان
لثلثمائة وقري ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله
بالاخسرين اعمالا وفي قراة ابي رضي الله عنه ثلثمائة سنة وازدادوا تسعا تسع سنين لان ما
قبله يدل عليه ثم ذكر تعالى اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيها من
احوال اهلها وغيرها وانه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من ادراكه المسموعات
والمبصرات للدلالة على ان امره تعالى في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين
والمبصرين لانه يدرك الطف الاشيا واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك
البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي من متول لامورهم
ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم وقرى الحسن رضي الله عنه ولا تشرك بالتاء

ايت بقران غير هذا او بدله فقيل له **كانوا يقولون له**
والجزم على النهي واتل ما اوحي اليك من القران ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات
ربك اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا اردنا
قال تبديله بدلناه
اية مكان اية ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل اليه اذا هممت بذلك
من روسا الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هولا الموالي الذين كان ريحهم ريح الضان
وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقرا المسلمين رضي الله عنهم حتى نجالسك كما قال قوم
نوح انومن لك واتبعك الارذلون فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال
ابو ذويب فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع بالغداة
والعشي دائبين على الدعا في كل وقت وقيل المراد صلوة
الفجر والعصر وقري بالغدوة وبالغداة اجود لان غدوة علم في اكثر الاستعمال وادخال
اللام على تاويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم
يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاني القوم عدا زيدا وانما
عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا
اقتحمته ولم تعلق به فان قلت اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم
عيناك او لا تعل عنهم عيناك قلت الغرض فيه اعطا مجموع معنيين وذلك اقوى
من اعطا معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك متجاوزتين الى
غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها اكلين لها وقري
ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه
قوله فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه فعد همك عما ترى نهي رسول الله
صلى الله عليه ان يزدري بفقرا المومنين ان تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى
زي الاغنيا وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال من اغفلنا قلبه
من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته
واعلنته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر
ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه
وقري اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا
وجدته غافلا فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم
للخيل وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدا محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا

او بعثت صابرة من الخوف تكسر المعنى وهو الصبر ... الجبان

وقد كان منهم حاجب ... المعارك

واما العقوق على غيره انه ... [illegible]

اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكّن من
اختيارهما فكانه مخير مامور بان يتخير ما شاء من النجدين شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق
وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط
بالكفار وقيل حائط من نار يطيف بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله
فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت
يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه
وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت
النار مرتفقا متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل
النار ولا اتكاء الا ان يكون من قوله

اني ارقت فبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح

اولئك خبر إن وانا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل اولئك
كلاما مستانفا بيانا للاجر المبهم فان قلت اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير
الراجع منه الى المبتدا قلت من احسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما
معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن
منوان بدرهم من الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها
في الحسن جمع بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ
منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم واضرب
لهم مثلا رجلين اي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل
احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة
الصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار
فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف
دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف
فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف
فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور فتصدق به ثم اشترى اخوه خدما
ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم
اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على
التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله

بن عبد

بن عبد الاسد جنتين من اعناب بستانين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا
النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار
المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله فهو متعد الى
مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيه وغشيته به وجعلنا
ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم
يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء الثمار
وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما
يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر وقرئ بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص
آتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز
وقرئ وفجرنا على التخفيف وقرأ عبد الله كلا الجنتين آتى اكله رد الضمير على كل وكان
له ثمر اي انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة
اي كان له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما
وكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء واعز نفرا يعني
انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث يحاوره
يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسألته فما احار كلمة يعني قطروس اخذ
بيد اخيه المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما
ملك من المال دونه فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية قلت معناه
ودخل ما هو جنته ماله جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد
المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة
منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك
نفسه لسخط الله عز وجل وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة
جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه
النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا
السنتهم فان السنة احوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن رددت الى ربي اقسام
منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في
الآخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته
عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق

اي بوجه كقوله ان لي عنده للحسنى لانه تمنى مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا
على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب
هذه لانها فانية وتلك باقية خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه
فكان خلقه خلقا له سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا
بالله اي جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول صلى الله عليه وسلم كافرا
لكنا هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان
فكان الادغام ونحوه قول القائل ۵
وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي ۵ اي لكن انا لا اقليك
وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وقرا
ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من
حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو
الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرا ابي بن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله
لكن انا لا اله الا هو ربي فان قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله اكفرت قال
لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر ما شاء
الله يجوز ان تكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف تقديره
الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان
ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت
عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل
خير فيها انما حصل بمشيئة الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان
شاء خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير
امرها هو بمعونته وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله وعن
عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد
هذه الاية حتى يخرج من قرا اقل فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدا
واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد
في قوله واعز نفرا والمعنى ان ترن افقر منك فانا اتوقع من صنع الله عز وجل
ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك
ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان

والبطلان بمعنى الحساب اي مقدارا قدره الله عز وجل وحسبه وهو الحكم بتخريبها
وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا
مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا
وغورا كلاهما وصف بالمصدر واحيط به عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو
لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا
ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم وتقليب الكفين كناية
عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في
اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها
اي انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها
على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله سبحانه عليها نارا فاكلتها يا ليتني
تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك
الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في
الايمان وقرئ ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله
فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة ترونهم فان قلت ما معنى قوله ينصرونه
من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله اي هو وحده
القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه
ان يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله الولاية بالفتح
النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اي في ذلك
المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا
لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب
ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله
يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا
ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على
الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه
المؤمن وصدق قوله فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من
السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقيل هنالك اشارة
الى الاخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ الحق

بالرفع والحق صفة للولاية والجر صفة لله وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد كقولك هذا
عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس
وقرئ عقبى بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة فاختلط به نبات
الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء حتى روي
ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه
صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه فاصبح هشيما الهشيم ما تهشم وتحطم
الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الرياح وعن ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبه حال
الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر وارفا
ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء الباقيات
مقتدرا الباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان وتفنى عنه كل ما
تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله عز وجل خير ثوابا
اي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يؤمل في الدنيا ثواب الله
ونصيبه في الاخرة وقرئ تسير من سير ونسير من سيرنا وتسير من سارت اي تسير
في الجو ويذهب بها بان نجعلها هباء منبثا وقرئ وترى الارض على البناء للمفعول
بارزة ليس عليها ما يسترها وقرئ مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف
وقرئ فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدير ما غادره
السيل شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا مصطفين ظاهرين
ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا اي قلنا لهم لقد جئتمونا
وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى لقد
بعثناكم كما انشأناكم اول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم اولا
كقوله ولقد جئتمونا فرادى فان قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى
قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال
والعظائم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على
السنة الانبياء من البعث والنشور الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال يا ويلتنا
ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة هنة
صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا تترك شيئا من المعاصي الا احصاه

الا احصاها

اي احصاها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار واما
كبار ويجوز ان يريد وما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت
عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد
بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان اذا قرأها قال ضجوا والله من
الصغائر قبل الكبائر الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا
في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في
عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين
بذنوب آبائهم كان من الجن كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس
من الساجدين كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفاء
للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم
عليه السلام لم يفسق عن امر الله لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز
على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام
المعترض تعمد من الله لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون
بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده فزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن
ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن امر ربه خرج عما امره ربه به من
السجود قال فسقت الرطبة عن قشرها اي من جلدها او صار فاسقا كافرا بسبب امر ربه
الذي هو قوله اسجدوا لآدم افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجيب كانه قيل اعقيب
ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي بئس للظالمين بدلا
من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم
يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في
الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد
بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا
انفسكم وما كنت متخذ المضلين يعني وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين
موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء
لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى
وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقرأ علي رضي الله عنه وما كنت
متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرأ الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها

الى الغير وقرئ عَضْدا بالفتح وسكون الضاد وعُضُدا بضمتين وعَضَدا بفتحتين جمع عاضد
كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه واعانه يقول بالياء والنون حمزة واضافة
الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق
وبقا اذا هلك او بقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد بمعنى وجعلنا بينهم
واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه
وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا
ولا بغضك تلفا وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم
القيمة ويجوز ان يريد الملئكة وعزيرا وعيسى ومريم عليهم السلام وبالموبق البرزخ
البعيد اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم
وهم في اعلى الجنان فظنوا فايقنوا مواقعوها مخالطوها واقعون فيها مصرفا معدلا
قال ابو كبير ازهير هل عن شيبة من مصرف ام لا خلود لباذل متكلف اكثر شيء جدلا اكثر الاشياء التي
يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب
جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين
ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان
والاستغفار الا انتظار ان تأتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك وانتظار ان يأتيهم
العذاب يعني عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين
مستقبلا ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن
موطئها وما انذروا يجوز ان يكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي
وما انذروه من العقاب او مصدرية بمعنى انذارهم وقرئ هزوا بالسكون اي
اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل
ملئكة وما اشبه ذلك بايات ربه بالقران ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله
ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت
يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء
ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع ... اكنة ... حملا على
لفظ من ومعناه فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة كأنه محال منهم لشدة تصميمهم
ابدا مدة التكليف كلها واذن جواب وجزاء يدل على نفي اهتدائهم لدعوة الرسول
صلى الله عليه وسلم بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه

وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل
وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف
بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في
عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا
منجا ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يريد قرى
الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار اليها لتعتبروا وتلك مبتدأ والقرى صفته
لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى
نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا
مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون
عنه كما ضربنا لاهل مكة والمهلك الاهلاك او وقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم والكلام معنى
او مكانه او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل احدكم
فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن نون فانما قيل لفتاه لانه كان
يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول
من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد
من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه
اما الحال فانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين
غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ
مجمع البحرين ووجه اخر وهو ان يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى
ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب
الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى
لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول
لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام
وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع
التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع وهو في
الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا
والحقب ثمانون سنة روي انه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني اسرائيل
واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله تعالى ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم

خطيبا فذكر نعمة الله تعالى وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا قد علمنا هذا فاي
الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه عز وجل اذ لم يرد العلم الى الله فاوحى الله
بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر عليه السلام في ايام افريدون
قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى عليه السلام وقيل ان
موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى
قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه
عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني
عليه فقال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب
كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال
لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني [illegible] فذهبا يمشيان فرقد موسى
عليه السلام فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى
الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه
موسى فقال وانى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله
لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور
فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما
اخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما
جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يامر فيه
بشيء قيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الخبز والحوت في المكتل
فنزلا ليلا على شاطئ عين تسمى عين الحيوة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده
عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل توضى يوشع من تلك العين فانتضح الماء على
الحوت فعاش ووقع في الماء سربا امسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه
الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى او للخضر فلما جاوزا فلما جاوزا الموعد
وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر
لموسى ما راى من حيوته ووقوعه في البحر قيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة
والغد الى الظهر والقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع
قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا نصبا اشارة الى مسيرهما وراء
الصخرة الليلة والغد الى الظهر قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة

لما

لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول
منها وقيل ما كان ذلك الا شيء مكنه وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب
منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى
طلب موسى الحوت قلت قد شغله الشيطان بوسواسه فذهب بفكره كل مذهب
حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه لما ضري بمشاهدة امثاله عند موسى من العجائب
واستانس باخوانه فاعان الالف على قلة الاهتمام ارايت بمعنى اخبرني فان قلت
ما وجه التئام هذا الكلام فان كل واحد من ارايت واذ اوينا وفاني نسيت الحوت
لا متعلق له قلت لما طلب موسى عليه السلام الحوت ذكر يوشع ما راه منه وما اعتراه
من نسيانه الى تلك الغاية فدهش فطفق يسال موسى عن سبب ذلك كانه قال ارايت
ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون
نهر الزيت وان اذكره بدل من الهاء في انسانيه اي وما انساني ذكره الا الشيطان
وفي قراءة عبد الله ان اذكركه وعجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ
سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب او قال عجبا في اخر كلامه تعجبا من
حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقوله وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية
لتعجب موسى عليه السلام وليس بذاك ذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي
كنا نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها
احسن وهي قراءة ابي عمرو واما الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا للخط المصحف
فارتدا فرجعا على ادراجهما قصصا يقصان قصصا يتبعان اثارهما اتباعا
او فارتدا مقتصين رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم
وهو الاخبار عن الغيوب رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون اي علما ذا رشد
ارشد به في ديني فان قلت اما دلت حاجته الى التعلم من اخر في عهده انه
كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم اهل زمانه
وامامهم المرجوع اليه في ابواب الدين قلت لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي مثله
وانما يغض منه ان ياخذ ممن دونه وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن
امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشا فقال
كذب عدو الله نفى استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم

وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا
اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا راى ذلك وياخذ في الانكار وخبرا
تمييز اي لم يحط به خبرك او لانه لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصب نصب المصدر ولا اعصي
في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او لا في محل عطفا على ستجدني
رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح
الخضر عليه السلام عن حقيقة الامر فوعد بالصبر معلقا بمشيئة الله سبحانه علما منه بشدة
الامر وصعوبته وان الحمية التي تاخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شي لا يطاق هذا مع علمه
ان النبي المعصوم الذي امره الله تعالى بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس العلم منه بري
من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا
لم يعلم وقرى فلا تسالني بالنون الثقيلة يعني ان شرط اتباعك لي انك اذا رايت
مني شيا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك
الا تفاتحني بالسوال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم
والمتبوع مع التابع فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال
اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة اري وجوه
الانبيا وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس
فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الما فجعل موسى عليه السلام
يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتهلك اهلها وقرى لتغرق بالتشديد
وليغرق اهلها من غرق اهلها مرفوع جيت شيا امرا اتيت شيا عظيما
من امر الامر اذا عظم قال داهية دهيا ادا امرا ۝ بما نسيت بالذي نسيته او بشي
نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مواخذة على الناسي او اخرج الكلام في معرض
النهي عن المواخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض
الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابرهيم عليه السلم هذه اختي
واني سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت من وصيتك اول
مرة يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه
اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضا وترك المناقشة وقرى عسرا
بضمتين فقتله قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحايط وعن سعيد
بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين فان قلت لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها

بغير فا وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفا قلت جعل خرقها جزا للشرط
وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزا قال اقتلت فان قلت فلم
خولف بينهما قلت لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقا
الغلام وقرى زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده
لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم تقتل
نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد
نهى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال
الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل نكرا وقرى بضمتين وهو المنكر وقيل
النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل
معناه جيت شيا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا
لا سبيل الى تداركه فان قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب
على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية بعدها بعد هذه الكرة والمسالة
فلا تصاحبني فلا تقاربني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرى فلا تصحبني
فلا تكن صاحبي وقرى فلا تصحبني اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك من لدني عذرا
قد اعذرت وقرى من لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون
كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم رحم الله اخي موسى
استحيا فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لابصر
اعجب الاعاجيب اهل قرية اهل انطاكية وقيل الابلة وهي ابعد ارض
الله عز وجل من السما ان يضيفوهما وقرى يضيفوهما يقال ضافه اذا كان
له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من
الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه
واله وسلم كانوا اهل قرية لياما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف
فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد ان ينقض استعيرت الارادة للمداناة
والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي ۝
في مهمه قلقت به هاماتها ۝ قلق الفووس اذا اردن نصولا ۝ وقال
يريد الرمح صدر ابي برا ۝ ويعدل عن دما بني عقيل ۝ وقال حسان
ان دهرا يلف شملي بجمل ۝ لزمان يهم بالاحسان ۝ وسمعت من يقول

نجدة الحروري ذكر ابن الاثير كان خارجيا من الخوارج وحروري اسم موضع قريب من الكوفة

عزم السراج ان يطفا وطلب ان يطفا واذا كان القول والنطق والسكات والصد والكره
والسكوت والتمرد والاباء والعزم والبكا والنية وغيره لك مستعاره للجماد ولما لا يعقل قال
الارادة ق ٥ اذا ان لست الانساع للبطن الخفق ٥ تقول سقى للنواة بطني ٥ لاحب
لا ينطو الهوى حتى بطن العود ٥ شكا الي بعيري وحمحم ٥
ان يكن طبي صادقا وهو صادق ٥ ولما تكسر عوسي الغضب تنزد مازن وعن الابلق ٥
ولعصيهم ٥ ما وعلى احبانه اعفاة هم اذا تقاد الهموم مرداه ٥ من ابيات الحماسة
اتنا الرواد في الندى لعصيها مثل البطون وان تسن ظهورا ٥ قالتا اتينا طائعين
ولقد بلغني ان بعض الحرس لولا انه سبحانه محرم علم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه
من افة الجهل وسقم الفهم اراه اعلا الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده
اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز وانقض اذا اسرع سقوطه
من انقضاض الطاير وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة
وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة
منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى
وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء
مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى اخر كسب المرء
وهو المسالة فلم يجدوا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى عليه السلام لما راى من الحرمان
ومساس الحاجة ان قال لو شئت لتخذت عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا حتى تنتعش به وتستدفع
به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع
وليس من الاخذ في شيء فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما
عند حلول ميعاده على ما قال موسى ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله
مبتدا واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان
يكون اشارة الى السؤال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق
بيني وبينك وقد قرئ به على الاصل فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول لمساكين
قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم امامهم
كقوله ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم
خبره فاعلم الله سبحانه به الخضر وهو جلندي فان قلت قوله فاردت ان
اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم عليه قلت

اليه

اليه بالتاخير وانما قدم للعناية به ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن
مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة ابي وعبد الله كل
سفينة صالحة وقرئ الجحدري فكان ابواه مومنان على ان كان فيه ضمير الشان فخشينا ان
يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه
وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد
مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا
بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله عز وعلا اعلمه بحاله واطلعه على سر
امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة ابي فخاف ربك
والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا
حكاية لقول الله تعالى والمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكاة الطهارة
والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف روي انه ولدت لهما جارية تزوجها
نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما
ابنا مؤمنا مثلهما وقيل اسما الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول الحيسور واختلف
في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن
يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف
يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف
يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه
انه مال لما روي عن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا
اراد قوله تعالى والذين يكنزون الاية وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظا
لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد رضي الله عنه كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه
سبعة اباء وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم
حفظ الله مال الغلامين الا بصلاح ابيهما قال ابي وجدي خير منه فقال قد انبانا
الله انكم قوم خصمون رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى
رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رايت عن امري عن رايي وانما فعلته بامر الله

ذو القرنين

هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان
ذو القرنين وسليمان عليه السلام وكافران نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود
واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه

والهيبة وسخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه
وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر أنه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا
أما رضيتم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه سخر له
السحاب ومدت له الأسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال أحبه الله فأحبه وسأله
ابن الكوا ما ذو القرنين أملك أم نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب
على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمي
ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى وعن النبي
صلى الله عليه سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان
أي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لأنه ملك الروم وفارس
وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان
وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا
كأنه ينطح أقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود
سألوه على جهة الامتحان وقيل سأله أبو جهل وأشياعه والخطاب في **عليكم**
لأحد الفريقين **من كل شيء** أي من كل أسباب كل شيء أراده من أغراضه ومقاصده في
ملكه سببا طريقا موصلا إليه والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة
فأراد بلوغ المغرب **فأتبع سببا** يوصله إليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فأتبع
سببا وأراد بلوغ السدين فأتبع سببا وقرئ فاتبع قرئ **حمئة** من حمئت البئر إذا
صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن أبي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه
قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن
عمر وابن عمرو والحسن وقرأ ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية حامية
فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير المؤمنين
ثم وجه إلى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب فقال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة
وروي في ثأط فحكى ذلك لابن عباس وكان ثمة رجل فأنشد قول تبع
فرأى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثأط حرمد
ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة
فخيره الله تعالى بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإسلام فاختار الدعوة والاجتهاد

في استمالتهم **فقال أما من** دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك
فذاك المعذب في الدارين **وأما من آمن وعمل** ما يقتضيه الإيمان **فله جزاء الحسنى** وقيل
خيره بين القتل والأسر وسماه إحسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى أن يجازى المثوبة
الحسنى أو فله الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى فله الفعلة الحسنى
جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه
من أمرنا يسرا أي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير
ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين وقرئ مطلع بفتح اللام
وهو مصدر والمعنى **بلغ مكان مطلع الشمس** كقوله كأن مجر الرامسات ذيولها
يريد كأن آثار مجر الرامسات **على قوم** قيل هم الزنج والستر الأبنية وعن كعب أرضهم
لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى
معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم
مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى ومعي صاحب
يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك إذ
سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي فأفقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس
على الماء إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا
إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس
وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض **كذلك**
أي أمر ذي القرنين كذلك أي كما وصفناه تعظيما لأمره **وقد أحطنا بما لديه** من الجنود
والآلات وأسباب الملك **خبرا** تكثيرا لذلك وقيل **لم نجعل لهم من دونها سترا** مثل
ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس
والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أي كما بلغ مغربها وقيل تطلع
على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل
حكمهم وتغريبه لمن بقي منهم على الكفر وإحسانه لمن آمن منهم **بين السدين** بين الجبلين
وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله سبحانه
فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لأن السد بالضم فعل بمعنى مفعول
أي هو مما فعله الله تعالى وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب
بين على أنه مفعول به مبلوغ كما انجر على الإضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما

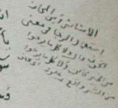
اربع في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسما وظروفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة يأجوج ومأجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ رؤبة آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطوا الطول وقصار مفرطوا القصر قرئ خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان فما آتاني الله خير مما آتاكم قرئ بالادغام وبفكه فاعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات ردما حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوى وسووى وعن رسول الله ان رجلا اخبره به فقال كيف رأيته فقال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لانه يقطر قطرا منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال ائتوني اي جيئوني فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرأ بادغام التاء في الطاء فلاق بين ساكنين على حد



لحد

لكيلا ان يظهروه ان يعلوه اي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته هذا اشارة الى السد اي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا الاقتدار والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربي يعني فاذا دنا مجيء يوم القيمة وشارف ان ياتي جعل السد دكا مدكوكا مبسوطا مستوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي يأتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا في اقفائهم فيدخل اذانهم فيموتون وعرضنا جهنم وبرزناها لهم فراوها وشاهدوها عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتامل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصميت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع عبادي من دوني اولياء هم الملئكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقرئ بن مسعود افظن الذين كفروا وقراه علي رضي الله عنه افحسب الذين كفروا اي افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله عز وجل كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة انزلها يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي رضي الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه ان ابن الكوا سأله عنهم فقال منهم اهل حروراء وعن ابي سعيد الخدري ياتي اناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم وليس لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء فان قلت الذين ضل سعيهم في اي محل هو قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون

نصبا على الذم او جرا على البدل **جهنم** عطف بيان لقوله **جزاؤهم** الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عظمت عظما اى صغر عودا يعنى لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاعراضهم وامانيهم **وهذه** غاية الوصف لان الانسان فى الدنيا فى اى نعيم كان تطمح نفسه الى ارفع منه وليس بعد الجنة مزيد وهذا فى الخلود والمداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان **البحر مدادا** لها والمراد بالبحر الجنس **لنفد البحر قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثله مددا** لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لى مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس بمثله مدادا وقرأ الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهى ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيى بن اخطب فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعنى ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله **فمن كان يرجوا لقاء ربه** فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبول وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهى عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائى بعمله وان لا يبتغى به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت فى جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرنى فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروى انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصدت ان يقتدى بك وعنه صلى الله عليه واله وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له فى مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ ۞ تم الجزء الثانى من اربعة اجزاء من كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيين واله الطاهرين ۞ **بعناية مالكه الفقير** جمال محمد صلاح الدانى رزقه الله حفظ معانيه والعمل بما فيه والحشر لنا وله [illegible]





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد واله الفاضل

وعنه خصلتان الحرص وطول الأمل وقد أخذ ابو مالك صاحب التسهيل من معنى الحديث فقال رضى الله عنه

عجبت من نفسى صغيرا اعتقدها ... رمتنى الليالى بالمشيب وبالكبر ۞

أطعت الهوى اعكس القضية ليتنى ... ولدت كبيرا ثم عدت الى الصغر ۞

ولما اطلع ولده العلامة البدر على هذين البيتين فعل تخميسا

أبوه يقول لو أشاع بنى البدو والحضر ... وحث على الحاجات خير وما قصر ۞

هنيئا له إذ لم يكن مثل ابنه ... أطاع الهوى فى الحالتين وما زجر ۞

ولما اطلع الشيخ العلامة الزمخشرى رضى الله عنه فعل تخميسه

وما قال التجاذ باقاح إنما ... بتبدّان نظم النفس يا من له النظر ۞

ولا تذكر الوفود فى حقيقة ... تحذر من حدثنى ما أتى ذا الخبر ۞

[illegible] حسبه محمد

